الأذكياء

لأبي الفرج بن علي بن الجوزي

تحقيق وتعليق

عادل عبد المنعم أبو العباس

obeikandl.com

ابن الجوزي/ عبد الرحمن بن علي بن محمد، ١١١٦- ١٢٠١.
الأذكياء/ لأبي الفرج بن علي بن الجوزي؛ تحقيق وتعليق عادل عبد المنعم أبو العباس.
ط١- القاهرة: مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩ .
١٩٢ ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٩ ٨٨٣ ٢٧١ ٩٧٧
١- الذكاء. أ- أبو العباس، عادل عبد المنعم (محقق- معلق)
ب- العنوان

١٥٣.٩

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٩٣٦
الترقيم الدولي: 977-271-883-9--

تصميم الغلاف: إبراهيم محمد إبراهيم
إخراج فني: وليد مهني علي

تطلب جميع مطبوعاتنا من وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية

مكتبة الساعي للنشر والتوزيع

ص.ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣ ـ هاتف: ٤٣٥٣٧٦٨ ـ ٤٣٥١٩٦٦ ـ ٤٣٥٩٠٦٦
فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥ جوال: ٠٥٥٠٦٧١٩٦٧
جدة: هاتف/ فاكس: ٦٢١٤٣٦٧ جوال: ٠٥٥٠٦٧١٩٧٦
E-mail: alsaay99@hotmail.com

مطابع العبور الحديثة – القاهرة
تليفون: ٤٦٦٥١٠١٣ فاكس: ٤٦٦٥١٥٩٩

مكتبة ابن سينا

للنشر والتوزيع والتصدير

نافذتك على الفكر العربي والعالمي من خلال ما تقدمه لك من روائع الفكر العالمي والكتب العلمية والأدبية والطبية ونوادر التراث واللغات الحية. شعارنا: قدم الجديد..
وبسعر أرخص

يشرف عليها ويديرها
مهندس
مصطفى عاشور

٧٦ شارع محمد فريد ـ النزهة ـ مصر الجديدة ـ القاهرة
تليفون: ٢٦٢٧٩٨٦٣ - ٢٦٢٨٩٣٧٢ فاكس: ٢٦٢٨٠١٨٣
Web site: www.ibnsina-eg.com
E-mail : info@ibnsina-eg.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز طبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل أو اقتباس أي جزء من الكتاب أو تخزينه بأية وسيلة ميكانيكية أو إليكترونية بدون إذن كتابي سابق من الناشر.

obeikandl.com

تقديم

الحمد لله الذي مجَّد العقل أحسن تمجيد ، وكرَّمه أعظم تكريم ، والصلاة والسلام على أعظم الفطناء ، وسيد الأذكياء ، وخاتم الأنبياء ، سيدنا محمد وعلى آله ، وأصحابه ، والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد ،،

فمن منّة الله وإنعامه أن قيَّض لهذه الأمة رجالاً أفنوا حياتهم في خدمتها بالفكر السليم ، والفهم المستقيم،والعمل الدائب القويم – وتركوا لنا تراثا زاخرًا بشتى أنواع العلوم والمعارف .

وهذا التراث الضخم الذي آل إلينا من أسلافنا صانعي الثقافة الإسلامية العربية ، جدير بأن نقف أمامه وقفة إكْبَارٍ وإجلال ، ثم نسمو بروحنا في اعتزاز وشعور صادق بالفخر والغبطة .

والعجيب أن هناك صيحات يرددها دعاة الاستعمار الثقافي ، يبغون بها أن ننبذ هذا التراث الأصيل ، ولكنها بحمد الله محاولات يائسة فاشلة .

إن الواجب علينا أن نخدم هذا التراث ونعمل على تحقيقه ونشره ، وعلى الدفاع عنه ، فقد آن الأوان لنؤمن بأن من لا ماضي له لا حاضر له ، هذا وقد اخترتُ لك – أيها القارئ الكريم – من كتب تراثنا كتاب "الأذكياء" لشيخ الإسلام ابن الجوزي ، فمن هو ابن الجوزي؟ وماذا عن كتابه؟ تعال بنا لنتعرف على المؤلف وكتابه الذي قمنا بتحقيقه .

obeikandl.com

التعريف بالمؤلف

لقد ذكر المؤرخون نسب الإمام ابن الجوزي ، فقالوا : إنَّ نسبه يتصل بالصدِّيق أبي بكر - رضوان الله تعالى عليه - فهو من سلالة طاهرة مباركة وإليك نسبه كما ذكره أهل التاريخ : إنه عبد الرحمن ابن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر ابن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق - ، وكنيته أبو الفرج ابن الجوزي.

مولده ونشأته :

وقد ولد الإمام ابن الجوزي سنة ثمان أو عشر وخمسمائة ٥١٠ هـ ، ونشأ يتيما ، وتولت أمه وعمته تربيته والعناية به ، وقد كانت عمته من الصالحات القانتات ، ولما قوى عوده وترعرع حملته عمته إلى مسجد الشيخ الأجل الحافظ محمد بن نصر فاعتنى به عناية شديدة ، وأسمعه الحديث وكان ذلك سنة ست عشرة وخمسمائة ٥١٦ هـ .

وهأنذا أدع الإمام ابن الجوزي يحدثنا عن نفسه وقت الصغر يقول رحمة الله عليه : «أذكر نفسي ولي همة عالية ، وأنا في المكتب ابن ست سنين ، وأنا قرين الصبيان الكبار ، قد رُزقت عقلا وافرًا في الصغر يزيد على عقل الشيوخ ، فما أذكر أني لعبتُ في طريق مع الصبيان قط ، ولا ضحكت ضحكا خارجًا، حتى أني أذكر أني كنتُ ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع، فلا أتخير حلقة مشعبذ، بل أطلب المحدّث ، فيتحدث بالسير ، فأحفظ جميع ما أسمعه ، وأذهب إلى البيت فأكتبه» أ هـ.

شيوخه :

ولقد تعلم ابن الجوزي العلم على يد كبار العلماء في عصره ، فمن شيوخه الحسين بن محمد البارع ، وعلي بن عبد الواحد الدينوري ، وهبة الله بن الطبري وابن ناصر ، وأبي السعادات أحمد بن أحمد المتوكلي، وغيرهم كثير وكثير .

علمه :

وبرع ابن الجوزي في الوعظ والإرشاد منذ صغره ، وتأثر الناس بوعظه ، فكان مجلسه من أكبر مجالس العلم ، وهدى الله على يديه كثيرًا من الذين ضلوا طريق الصواب ، فقد ذكر في كتابه «القصاص والمذكرين»: «ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى ، فقد تاب على يديَّ - إلى أن جمعتُ هذا الكتاب - أكثر من مائة ألف رجل ، وقد قطعتُ من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة ، وأسلم على يديَّ أكثر من مائة ألف . ولا يكاد يُذكر لي حديث إلا ويمكنني أن أقول صحيح أو حسن أو محال ، ولقد قدر لي الله على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ".

ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى كثير من العلماء المشهود لهم بالثقة والمكانة على الإمام ابن الجوزي ثناء يدل على مكانة الرجل العلية:
يقول الإمام العلامة ابن كثير : الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي، القرشي التميمي الحنبلي ، أحد أفراد العلماء ، برز في علوم كثيرة ، وانفرد بها عن غيره ، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحوًا من مائتي مجلد ، وتفرّد بفن الوعظ الذي لم يُسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله ، وفي فصاحته وبلاغته ، وعذوبته ، وحلاوة ترصيعه ، ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعية ، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية ، بعبارة وجيزة ، سريعة الفهم والإدراك بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة ، هذا وله في العلوم كلها اليد الطولى» ، أهـ .

* وقال الشيخ موفق الدين المقدسي : كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ ، وصنّف في فنون العلم تصانيف حسنة ، وكان صاحب فنون ، وكان يدرّس الفقه ويصنف فيه ، وكان حافظًا للحديث وصنّف فيه .

* وقال الحافظ الذهبي : ما علمت أنَّ أحدًا من العلماء صنّف ما صنّف هذا الرجل .

مؤلفاته :

يُعدُّ الإمام ابن الجوزي في العلماء المكثرين في التأليف والتدوين كما ذكر الحافظ الذهبي، ومن المؤلفات المطبوعة لابن الجوزي :

١ ـ مناقب عمر بن الخطاب . طبع في مصر سنة ١٩٢٤ م .
٢ ـ مناقب عمر بن عبد العزيز . طبع في مصر سنة ١٣٣١ هـ .
٣ ـ مناقب أحمد بن حنبل . طبع في مصر سنة ١٩٤٩ م .
٤ ـ الحسن البصري - سيرته وآدابه - طبع في مصر سنة ١٣٥٠ هـ .
٥ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - في بضعة عشر جزءًا طبع منه ستة أجزاء في حيدر آباد سنة ١٣٥٧ هـ .
٦ ـ صيد الخاطر - بتحقيق الشيخ محمد الغزالي .
٧ ـ صيد الخاطر - طبع مرة أخرى في الكليات الأزهرية بتحقيق المرحوم عبد القادر أحمد عطا سنة ١٩٧٩ م .
٨ ـ أخبار النساء . طبع في مصر .
٩ ـ أخبار الحمقى والمغفلين . طبع في مصر بمطبعة القدسي .
١٠ ـ أخبار الظراف والمتماجنين طبع في مصر بالكليات الأزهرية .

وله - رحمة الله عليه - من المؤلفات كثير وكثير وذلك مثل جامع المسانيد - كتاب الموضوعات - كتاب منهاج القاصدين وهو مطبوع - كتاب الأحاديث الرائقة - كتاب تلبيس إبليس وهو مطبوع - كتاب ذم الهوى وقد حققه الدكتور مصطفى عبد الواحد وراجعه الشيخ الغزالي - تحفة الواعظ .. إلى غير ذلك من المؤلفات المباركة .

مجالس علمه ونُصحه :

كان العلامة ابن الجوزي ، ينصح الحكام ، ويدلهم على طريق الله ، فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: أن ابن الجوزي التفت إلى ناحية الخليفة المستضيء وهو في الوعظ فقال : ياأمير المؤمنين : إن تكلمتُ خفتُ منكَ، وإن سكتُّ خفتُ عليك، وإنَّ قول القائل لك : اتقِّ الله خيرٌ لك من قوله لكم : إنكم أهل بيت

مغفور لكم ، كان عمر بن الخطاب يقول : إذا بلغني عن عامل لي أنه ظلمَ فلم أغيره ، فأنا الظالم! وكان يوسف لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع ، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول : قرقرا ولا تقرقرا ، والله لا ذاق عمر سمنًا ولا سمينا حتى يخصب الناس . قال: فبكى المستضيء ، وتصدق بمالٍ كثير ، وأطلق المحابيس ، وكسا خلقا من الفقراء .

وسئل الإمام ابن الجوزي : أيهما أفضل : أسبح أو أستغفر؟ فقال : الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور . ومن مناجاة ابن الجوزي قوله : إلهي لا تعذب لسانًا يخبر عنك ، ولا عينًا تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولا قدمًا تمشي إلى خدمتك ، ولا يدًا تكتب حديث رسولك ، فبعزتك لا تدخلني النار ، فقد علم أهلها أني كنت أذب عن دينك .

وفاته :

وفي ليلة الجمعة ، وبعد مرض خمسة أيام انطفأ نورٌ طالما أضاء الطريق للحيارى ، ومات العلم المرتفع، وصعدت روح ابن الجوزي إلى بارئها ، وحُمِل الجسد الطاهر إلى مقبرة أحمد بن حنبل ، ليبقى في مثواه الأخير ، بعد خدمة طويلة ، وعمل مستديم من أجل دين الله ، وكُتب على قبر ابن الجوزي – رحمات الله عليه – ما كان قد أوصى به :

يا كثير العفو عمن ... كثُر الذنبُ لديه
جاءك المذنبُ يرجو ال ... عفو عن جُرم يديه
أنا ضيفٌ وجزاء ال ... ضيفِ إحسان إليه

فرحمة ونورًا لروحه الطاهرة .

التعريف بالكتاب الذي بين أيدينا :

أمَّا الكتاب الذي تركه لنا ابن الجوزي ضمن مؤلفاته فهو كتاب «الأذكياء» ، وهو عبارة عن مجموعة أدبية ظريفة تتضمن خصائص معينة تختلف في بعض جوانبها عن خصائص الفنون الأدبية الأخرى.

فهو يتحدث عن الذكاء الذي هو أهم عناصر تكوين الشخصية في الإنسان ، وهو عبارة عن حضور الذهن ، وصفاء القريحة ، وحسن التخلص ، فقد يكون الرجل مثقفا ، واضح التفكير ، واسع الاطلاع، ولكنه قد لا يكون متقد العقل ، حاضر البديهة ، فلا يعرف المراد بالإشارة كما لا يفهمه باللفظ . ولا شك أنَّ للذكاء تأثيرًا حسنا في شخصية الإنسان ، وفي ارتفاع منزلته بين إخوانه وأقرانه، وأن للغباوة وقلة الفطنة أثرا سيئا في خمول الشخص وتأخره ، ولا عجب إذ قرَّر علم النفس الحديث أن معظم المجرمين من الأغبياء وضعاف العقول .

وتبدو شخصية الأذكياء في أعمالهم ، وأقوالهم ، وقدرتهم على التخلص بسهولة من المشكلات التي تعترضهم بما أوتوا من نشاط عقلي ، وصفاء ذهني عميق .

وكتاب الأذكياء هذا ، يحدثنا فيه الإمام ابن الجوزي عن أهل الفطنة وحسن أقوالهم ، وتخلصهم من المآزق ، وإجابتهم الرفيعة السريعة التي قد تنفع الإنسان إذا وقع في مأزق ما ، أن يسير على منوال أفعالهم.

❁ سبب تأليف الكتاب :

ومن هنا ذكر الإمام ابن الجوزي سبب تأليفه للكتاب في المقدمة وبيّن أنه ألف هذا الكتاب لثلاثة أسباب فقال : ولمّا كان العقلاء يتفاوتون في موهبة العقل ، ويتباينون في تحصيل ما يتقنه من التجارب والعلم ، أحببت أن أجمع كتابًا في «أخبار الأذكياء» الذين قويت فطنتهم وتوقد ذكاؤهم لشدة جوهرية عقولهم، وفي ذلك أغراض ثلاثة. أحدها: معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم.

والثاني : تلقيح ألباب السامعين إذا كان فيهم نوع استعداد لنيل تلك المرتبة ، وقد ثبت أن رؤية العاقل ومخالطته تفيد ذا اللب ، فسماع أخباره تقوم مقام رؤيته كما قال الرضي :

فـاتـبـنـي أن أرى الـديـار بـطـرْفي فـلـعـلـي أعـي الـديـار بسمعي

الثالث : تأديب المعجب برأيه إذا سمع أخبار من تعسّر عليه لحاقه .

❁ طبعات الكتاب :

هذا . وقد طبع كتاب الأذكياء عدة طبعات :

١ – طبع بمكتبة المعاهد العلمية بالصناديقية بمصر . بدون تاريخ .

٢ – طبع بمكتبة القدسي بمصر بدون تاريخ .

٣ – طبعات أخرى في بيروت وغيرها ليس لها سند أو أصل .

وكل هذه الطبعات خالية من التحقيق ، والتعليق ، والتدقيق .

وقد وفقنا الله تعالى إلى تحقيقه والتعليق عليه ، ولا ندّعي له الكمال فالكمال لله وحده ، فما كان فيه من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ فمن نفسي ، والله ورسوله منه بريئان .

❁ منهج التحقيق :

سرتُ في تحقيق هذا الكتاب على المنوال التالي :

* قمت بوضع علامات الترقيم ، بين الجمل والفقرات ، ليتاح للقارئ تذوق الجمال ومعايشة النص.
* قمت بالترجمة للأعلام الذين ذكرهم الإمام ابن الجوزي ما استطعت إلى ذلك سبيلا .
* ذكرت أرقام الآيات وسورها وضبطتها .
* خرجت الأحاديث وبينت الصحيح منها ، وغير الصحيح .
* وضعت عناوين لكل الحوادث لأتيح للقارئ معرفة بداية القصة ونهايتها ، وهذه العناوين توافق مضمون الحادثة .
* وضعت نصب عيني الأمانة العلمية لكلام المؤلف بنصه .
* فسرت الغامض من الكلمات التي يصعب معرفتها إلا بالرجوع إلى قواميس اللغة .
* حذفنا الأسانيد حتى لا نطيل على القارئ .

والله أسأل أن يمنحنا القبول والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير . وما توفيقي إلا بالله ،،

عادل عبد المنعم علي أبو العباس

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الباب الاول فى فضل العقل

قال عبّاد ابن كثير عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس
انه دخل على عايشه رضى الله عنها فقال يا ام المومنين اراءيت
الرجل يذل قيامه ويكثر رقاده واخر يكثر قيامه ويقل
رقاده ايهما احب اليك قالت قد سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما سالتنى فقال احسنهما عملا فعلمت
ان الله سائلك عن عبادتهما فقال يا عايشة انما
يسابق على عقولها من كان اعقل كان اسبق فى الدنيا والاخرة
وعن اسحاق بن عبد الله ابن ابى فروة عن نافع عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجبوا باسلام
امرء حتى يعرف عقله وعن ابى صالح عن ابى هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول
ما خلق الله تعالى خلق العقل وهى الدواة ثم قال له اكتب

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أحلّنا محلة الفهم ، وحلاّنا حلية العلم ، وملكنا عقال العقل ، وزيننا بنطق المنطق ، ونعوذ به من كدر صفاء الفكر ، وعكر ذهن الذهن ، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث بجوامع الكلم إلى أعقل الأمم ، وعلى جميع أتباعه ، والسائرين في منهاج أتباعه وسلّم تسليما كثيرًا .

أما بعد :

فإن أجَلَّ الأشياء موهبة العقل ، فإنه الآلة في تحصيل معرفة الإله ، وبه تضبط المصالح ، وتُلحظ العواقب ، وتُدرك الغوامض ، وتُجمع الفضائل ، ولمّا كان العقلاء يتفاوتون في موهبة العقل ، ويتباينون في تحصيل ما يُتْقِنُهُ من التجارب والعلم ، أحببتُ أن أجمع كتابا في «أخبار الأذكياء» الذين قويت فطنتهم، وتوقد ذكاؤهم لقوة جوهرية عقولهم ، وفي ذلك ثلاثة أغراض:

أحدها : معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم.

والثاني : تلقيح[1] ألباب[2] السامعين إذا كان فيهم نوع استعداد لنيل تلك المرتبة ، وقد ثبت أن رؤية العاقل ومخالطتَهُ تفيد ذا اللُّب ، فسماع أخباره تقوم مقام رؤيته كما قال الرضى[3]:

فاتني أن أرى الديار بطرفي[4] فلعلي أعي الديار بسمعي

وقد أنبأنا جماعة من أشياخنا[5] قالوا : أخبرنا مضر بن محمد ، قال : سمعت يحيى بن أكثم[6] يقول: سمعت المأمون[7] يقول لإبراهيم[8]: لا نزهة أطيب من النظر في عقول الرجال .

والثالث : تأديب المعجب برأيه إذا سمع أخبار من تعسّر عليه لحاقه[9].

والله الموفق بمنّه وكرمه .

---

(١) التلقيح : التهذيب والتجريب ، ومنه قول الشاعر :

تُلقّح أيديهم كأنّ زبيبهُم زبيبُ الفحول الصِّيد وهي تلمح

(٢) ألباب : جمع لُبّ ، وهو العقل ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي يا أهل العقول .

(٣) الرضى هو : أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ، المعروف بالشريف الرضي ، من ذرية جعفر الصادق ، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي ، وهو سادس خمسة من الأدباء والنقاد ، وقد كان متدينا فاضلا شيعي المذهب معتدلا ، وللرضي مؤلفان جليلا الشأن هما : المجازات النبوية ، ومجازات القرآن . توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٤) الطرف : العين وهو اسم جامع للبصر .

(٥) الأشياخ : جمع شيخ ، والشيخ في لغة القرآن : من بلغ سن الكبر ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ ، أما في اصطلاح العلماء : فهو من بلغ رتبة أهل العلم ولو صغيرا .

(٦) يحيى بن أكثم : هو أحد القضاة الأذكياء في الدولة العباسية : ينتهي نسبه إلى أكثم بن صيفي ، وقد ولاه المأمون قضاء البصرة ، ثم بغداد ، كما أنه أحد الفقهاء النبهاء ، دافع عنه الإمام أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٤٢ هـ .

(٧) المأمون هو : عبد الله بن هارون الرشيد ، أحد خلفاء الدولة العباسية ، وكان فصيحا بليغا ، يقرب الفقهاء والعلماء والمحدثين ، وهو الذي قال : «خلق القرآن» في السنة الأخيرة من حياته ، وقد ذكر السيوطي أن الذي دعاه إلى القول بهذا هو اعتناؤه بالفلسفة وكتب الأوائل ، توفي بطرسوس سنة ٢١٨ هـ .

(٨) إبراهيم هو : إبراهيم بن المهدي العباسي عم الخليفة المأمون . قال الخطيب : كان إبراهيم بن المهدي هذا وافر الأدب ، غزير العلم ، واسع النفس ، توفي سنة ٢٢٤ هـ .

(٩) إذ أنه لو سمع أخبار من قبله لاستحقر رأي نفسه بجانب آرائهم .

باب في ذكر تراجم أبواب الكتاب وهي ثلاثة وثلاثون بابا

الباب الأول : في ذكر فضل العقل .
الباب الثاني : في ذكر ماهية العقل ومحله .
الباب الثالث : في بيان معنى الذهن ، والفهم ، والذكاء .
الباب الرابع : في ذكر العلامات التي يُستدل بها على ذكاء الذكي .
الباب الخامس : في سياق المنقول عن الأنبياء المتقدمين مما يدل على قوة الفطنة .
الباب السادس : في سياق المنقول من ذلك عن الأمم السالفة .
الباب السابع : في سياق المنقول من ذلك عن نبيِّنا صلى الله عليه وسلم .
الباب الثامن : في سياق المنقول من ذلك عن أصحاب نبيِّنا عليه الصلاة والسلام .
الباب التاسع : في سياق المنقول من ذلك عن الخلفاء .
الباب العاشر : في سياق المنقول من ذلك عن الوزراء .
الباب الحادي عشر : في سياق المنقول من ذلك عن السلاطين والأمراء والحجاب والشرطة .
الباب الثاني عشر : في سياق المنقول من ذلك عن القضاة .
الباب الثالث عشر : في سياق المنقول من ذلك عن كبار علماء هذه الأمة وفقهائها .
الباب الرابع عشر : في سياق المنقول من ذلك عن العبَّاد والزهاد .
الباب الخامس عشر : في سياق المنقول من ذلك عن العرب وعلماء العربية .
الباب السادس عشر : في ذكر من احتال بذكائه لبلوغ غرض .
الباب السابع عشر : فيمن احتال فانعكس عليه مقصوده .
الباب الثامن عشر : فيمن وقع في آفة فتخلص بالحيلة منها .
الباب التاسع عشر : في ذكر من استعمل بذكائه المعاريض .
الباب العشرون : في ذكر من فلج على خصمه بالجواب المسكت .
الباب الحادي والعشرون : فيمن غلب من العوام بذكائه كبار الرؤساء .
الباب الثاني والعشرون : في أقوال وأفعال صدرت من أواسط الناس وعوامهم، تدل على قوة الذكاء.
الباب الثالث والعشرون : في احترازات الأذكياء .
الباب الرابع والعشرون : في طرف من أحوال الشعراء والمدَّاحين .
الباب الخامس والعشرون : في طرف من حيل المحاربين .
الباب السادس والعشرون : في طرف من فطن المتطيِّبين .
الباب السابع والعشرون : في طرف من فطن المتطفلين .
الباب الثامن والعشرون : في طرف من فطن المتلصصين .
الباب التاسع والعشرون : في طرف من أخبار فطناء الصبيان .
الباب الثلاثون : في طرف من فطن عقلاء المجانين .
الباب الحادي والثلاثون : في طرف من أخبار النساء المتفطنات .
الباب الثاني والثلاثون : فيما ذُكر عن الحيوان البهيم مما يشبه ذكاء الآدميين .
الباب الثالث والثلاثون : في ذكر ما ضربته العرب ، والحكماء مثلا على ألسنة الحيوان .

obeikandl.com

الباب الأول : ذكر فضل العقل

عن ابن عباس [١] أنه دخل على عائشة [٢]، فقال : يا أمَّ المؤمنين! أرأيت الرجُلَ يقل قيامه ويكثر رقاده، وآخر يكثرُ قيامه ، ويقل رقاده أيهما أحب إليك؟ قالت : سألت رسول الله ﷺ كما سألتني عنه فقال : "أحسنهما عقلاً» ، قلت : يا رسول الله أسألك عن عبادتهما، فقال : «يا عائشة إنما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة» [٣].

عن نافع [٤] عن ابن عمر [٥] قال : قال رسول الله ﷺ: «لا تعجبوا بإسلام امرئ حتى تعرفوا عقدة عقله» [٦]. عن أبي هريرة [٧] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وعزتي لأكملنَّك فيمن أحببت، ولأنقصنك ممن أبغضت» [٨].

عن ابن عباس قال : «لما خلق الله العقل له له : أدبر فأدبر ، ثم قال له : أقبل فأقبل . قال: وعزتي ما خلقت خلقا قط أحسن منك ، فبك أعطى ، وبك آخذ، وبك أعاقب» [٩].

المؤمن العاقل شديد على الشيطان :

عن وهب بن منبه [١٠] قال : إني وجدت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه أن الشيطان لم يكابد [١١] شيئا أشد عليه من مؤمن عاقل ، وأنه يكابد مائة جاهل فيستجرهم حتى يركب رقابهم، فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيتصعب عليه حتى لا ينال منه شيئا من حاجته .

وقال وهب : لإزالة الجبل صخرة صخرة، وحجرًا حجرًا أيسر على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل، لأنه إذا كان مؤمنا عاقلا، ذا بصيرة ، فهو أثقل على الشيطان من الجبال، وأصعب من الحديد، وإنه ليزاوله [١٢] بكل حيلة، فإذا لم يقدر أن يَسْتَزِلَّهُ قال: يا ويله، ماله ولهذا، لا طاقة لي بهذا ، ويرفضه ويتحول إلى الجاهل ، فيستأسرهُ ويستمكن من قيادهِ حتى يسلمه إلى الفضائح التي يتعجلها في عاجل الدنيا ،

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله ﷺ يطلق عليه حبر الأمة وترجمان القرآن . ولد في مكة قبل الهجرة ونشأ بها، ولازم النبي وروى عنه . كف بصره في آخر حياته وتوفي بالبصرة سنة ٦٨ هـ .

(٢) عائشة : هي بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين وزوج النبي ﷺ

(٣) رواه الحارث في مسنده . وهو موضوع . قال الدارقطني : كتاب العقل وضعه أربعة أوهم ميسرة "الفوائد" .

(٤) هو مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب وأحد فقهاء الأمة وقرائها .

(٥) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب صحابي فاضل من أصحاب رسول الله كان يتبع آثار الرسول العظيم توفي سنة ٧٤ هـ.

(٦) رواه ابن عدي بنحوه وهو ضعيف الإسناد . انظر الفوائد المجموعة .

(٧) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي على أرجح الأقوال كناه رسول الله ﷺ بأبي هريرة وقد دعا له بالحفظ والفهم توفي سنة ٥٩ هـ .

(٨) قال ابن عدي : الحديث باطل منكر آفته "محمد بن وهب" . وقال في الميزان : صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل "انظر الفوائد المجموعة".

(٩) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين ، ورواه عبد الله بن أحمد مرسلا . والمرسل أحد أنواع الضعيف .

(١٠) هو أبو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني مؤرخ مسلم . كان له ولع بكتب الأولين وأخبار الأمم ، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء صنعاء وهو فارسي الأصل توفي سنة ١١٤ هـ .

(١١) يكابده : المكابدة : المشقة والشدة . (١٢) يزاوله : أي يراوده ويحاوره ليتصر عليه .

كالجلد ، والرجم ، والحلق ، وتسخيم الوجوه[١] ، والقطع ، والصلب ، وإن الرجُلَيْن ليستويان في أعمال البر ، ويكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد إذا كان أحدهما أعقل من الآخر .

من فضائل العقل :

أخبرنا إدريس عن جده وهب بن منبه أن لقمان عليه السلام قال لابنه : «يا بني اعْقِل عن الله عزَّ وجل ، فإن أعقل الناس عن الله عز وجلَّ أحسنهم عملا ، وإن الشيطان ليفر من العاقل ، وما يستطيع أن يكابده ، يا بنيَّ ما عُبدَ الله بشيء أفضل من العقل» .

عن مطرف[٢] أنه قال : ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل .

عن خليد بن دعلج قال : سمعت معاوية بن قرة يقول : إن القوم ليحجون ، ويعتمرون ، ويجاهدون ، ويصلون ، ويصومون ، وما يعطوْن يوم القيامة إلا على قدر عقولهم .

حدثنا عبد الله بن ضريس ، عن أبي زكريا قال : إن الرجل ليتلذّذ في الجنة بقدر عقله . وقد ذكر ابن أبي الدنيا[٣] في كتاب العقل أحاديث كثيرة في فضل العقل إلا أنها بعيدة الثبوت[٤] ، فلنقتصر على هذا.

الباب الثاني : في ذكر ماهية العقل

حقيقة العقل :

نقل إبراهيم الحربي[٥] عن أحمد بن حنبل[٦] أنه قال : العقل غريزة . ومثله عن الحارث المحاسبي . وروي عن المحاسبي أيضا أنه قال : هو نور .

وقال آخرون : هو قوة يُفْصَل بها بين حقائق المعلومات .

وقال قوم : هو نوع من العلوم الضرورية ، وهو العلم بجواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات.

وقال آخرون : هو جوهر بسيط[٧] . وقال آخرون : هو جسم شفاف .

وسُئل أعرابي عن العقل فقال : لُبٌّ اغتنمته بتجريب .

---

(١) تسخيم الوجوه : جعلها سوداء . وكأن الشيطان يسوّد وجه الجاهل بارتكابه المخالفات من قتل وسفك يوجب الجلد والرجم .. إلخ .

(٢) هو أبو عبد الله مطرّف بن عبد الله بن الشخير البصري ، فقيه زاهد وتابعي جليل توفي سنة ٩٥ هـ .

(٣) هو الإمام العلاّمة عبد الله بن محمد بن عبيْد بن أبي سفيان بن قيس القرشي أبو بكر بن أبي الدنيا وهو من موالي بني أمية وُلد ببغداد ، ونشأ بها ، بل إنه لم يغادرها إلا في القليل النادر ، اشتهر بالوعظ والفصاحة،توفي رحمه الله ببغداد سنة ٢٨١ هـ . «انظر البداية والنهاية»

(٤) وقد ذكرنا آنفًا أن الإمام الدارقطني بيّن أن أحاديث العقل وضعها أربعة وأن أكثرها بل كلها بعيدة الثبوت وهذا ما قاله أكثر أئمة الحديث وعلماء الجرح والتعديل فتأمل .

(٥) هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحربي كان علما من أعلام المحدثين ، عارفا بالفقه ، بصيرًا بالأحكام ، أديبا زاهدًا من مؤلفاته «غريب الحديث» توفي سنة ١٨٥ هـ .

(٦) هو الإمام الأجل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي ، وأحد أئمة الفقه ، ولد ببغداد ورحل في طلب العلم إلى المغرب وفارس وغيرهما . له كتاب «المسند» في الحديث يحتوي على ثلاثين ألف حديث . توفي رحمه الله سنة ٢٤١ هـ وقد ترجم له الإمام ابن الجوزي وذكر مناقبه في كتاب مستقل .

(٧) الجوهر هو . ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت . وهو ينقسم إلى قسمين بسيط روحاني كالعقول والنفوس وبسيط جسماني كالعناصر وغيرها.

ابن الجوزي يجمع بين الآراء :

واعلم أن التحقيق في هذا أن يقال : هذا الاسم -أعني العقل- ينطبق بالاشتراك على أربعة معان:

أحدها ؛ الوصف [١] الذي يفارق به الإنسان البهائم ، وهو الذي استعد لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية ، وهو الذي أراده من قال : غريزة ، وكأنه نور يُقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشياء .

والثاني ؛ ما وضع في الطبع من العلم بجواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات .

والثالث ؛ علوم تستفاد من التجارب تُسمى عقلاً .

والرابع ؛ أن منتهى قوته الغريزية إلى أن تقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ، والناس يتفاوتون في هذه الأحوال إلا في القسم الثاني الذي هو العلم الضروري ، وقد شرحنا هذا وذكرنا فضائل العقل في كتابنا المسمى «بمنهاج القاصدين» [٢] وهذه الإشارة تكفي هاهنا .

فائدة لغوية :

أما اشتقاق هذا الاسم - أعني العقل - فقال ثعلب [٣]: أصله الامتناع ، يقال : عقلت الناقة إذا منعتها من السير ، وعقل بطن الرجل إذا حبس .

أين يوجد العقل؟

وأمّا محله ؛ فنقل الفضل بن زياد عن أحمد [٤] أن محله الدماغ ، وهو قول أبي حنيفة [٥] ، وذهب جماعة من أصحابنا إلى أنه في القلب كما يروى عن الشافعي [٦] واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾[الحج : ٤٦] . وقوله تعالى : ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ق : ٣٧] أي عقل . فعبر بالقلب عنه لأنه محله [٧] والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) الوصف والصفة مصدران ، والمتكلمون فرّقوا بينهما فقالوا : الوصف يقوم بالواصف ، والصفة تقوم بالموصوف ، والوصف هو عبارة عمّا دلّ على الذات باعتبار معنى ، أو باعتبار صفة كآخر وأعقل وغيرهما . «انظر التعريفات للجرجاني» .

(٢) كتاب منهاج القاصدين ، مطبوع .

(٣) ثعلب : هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زياد بن بشار الشيباني . إمام أهل الكوفة في النحو واللغة وكان محدثًا ، راوية للشعر ، ثقة ، من مصنفاته: «مجالس ثعلب» توفي رحمه الله سنة ٢٩١ هـ .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) هو النعمان بن ثابت التميمي إمام الأئمة في الفقه وأحد الأئمة الأربعة ، وهو أقدمهم وفاة قال فيه الشافعي : الناس كلهم عيال في الفقه على أبي حنيفة . توفي رحمه الله سنة ١٥٠ هـ .

(٦) هو محمد بن إدريس الشافعي أحد أئمة المذاهب الأربعة وأحد علماء الأمة وفقهائها جاء إلى مصر وانتشر مذهبه فيها وأحبه العلماء والعامة ومات بها رحمة الله عليه .

(٧) اختلف العلماء كما رأينا في محل العقل ومكانه ، فمنهم من قال إنه في الدماغ وهؤلاء هم الإمام أحمد وأصحابه والإمام أبو حنيفة وأصحابه، ومنهم من قال إن محله القلب وهؤلاء هم الشافعية استنادًا على ظاهر الآية القرآنية الكريمة ، ومن فضل الله تعالى وتوفيقه أن جمع الطب الحديث بين القولين بعد تجارب التشريح الطويلة ، وبين أنه يوجد عرق يصل العقل بالقلب أعني الدماغ والقلب ، وبهذا صحّ رأي كل العلماء وأذهب الطب ما كان من أمر هذا الخلاف .

obeikandl.com

الباب الثالث : في بيان معنى الذهن ، والفهم ، والذكاء

تعريفات لا بد منها

حَدُّ الذهن [١]: قوة النفس المهيأة المستعدة لاكتساب الآراء .

وحدُّ الفهم : جودة التهيئ لهذه القوة .

وحد الذكاء : جودة حدس من هذه القوة تقع في زمان قصير غير ممهل ، فيعلم الذكيُّ معنى القول عند سماعه ، وبهذا حدوا الفهم ، فإنهم قالوا : حد الفهم العلم بمعنى القول عند سماعه .

وقال بعضهم : حد الذكاء : سرعة الفهم وحدته ، والبلادة [٢] جموده .

وقال الزجاج [٣]: الذكاء في اللغة : تمام الشيء ، ومنه الذكاء في السن ، وهو تمام السن ، ومنه الذكاء في الفهم ، وهو أن يكون فهماً تاماً ، سريع القبول . وذكيْتُ النار إذا أتممتُ إشعالها . أخبرنا أبو بكر بن الأنباري [٤] قال : قولهم : فلان ذكي ، معناه كامل الفطنة ، تامها ، من قول العرب : قد ذكت النار تذكو إذا تَمَّ وقودها ، ويقال : أذكيتها أنا إذا أتممت وقودها ، ويقال : مسك ذكيّ إذا كان تام الطيب ، كامل نفاذ الريح ، قال جميل [٥]:

صَادَتْ فُؤادي بعَيْنَيْهَا ومبتسم ... كأنه حين أبدته لنا بَرَدُ [٦]

عذْبٌ كأنَّ ذكيَّ المسْكِ خالطَهُ ... والزنجبيل وماء المُزْنِ [٧] والشَّهْد

ويقال : قد ذكيت الشاة إذا أتممت ذبحها ، وبلغت الحد الواجب فيه ، قال الشاعر :

نعم هو ذكاها وأنت أضعتها ... وأفلتَ منها خرفة وفطيم [٨]

والعرب تقول : جرى المذكيات غلاب ، أي جرى المسان [٩] مغالبة ، وذلك أن المذكية من الخيل ، وهي التي تمت قوتها وشبابها ، تحمل على الخشن من الأرض للثقة بقوتها ، وصلابتها ، وأنها ليست كالجذاع [١٠] والصغار التي تطلب لها الرخاوة من الأرض لضعفها وصغرها ، فإنها لا تثبت ثبات المذكيات ، وبعضهم يقول : جرى المذكيات غلاء ، والغلاء جمع غلوة وهو مدى الرمقة ؛ قال الشاعر في الذكاء الذي معناه تمام الفطنة :

سهمُ الفؤاد ذكاؤُهُ ما مِثْله ... عِنْد العزيمةِ في الأنام ذَكَاءُ

---

(١) حدُّ الشيء . معناه وهو عند العلماء قول دال على ماهية الشيء . (٢) البلادة : سوء التفكير ، وضعف العقل.

(٣) هو : إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، عالم لغوي أصيل ، له آراء نحوية فائقة ، وله مصنفات جليلة القدر . توفي رحمه الله سنة ٣١١ هـ .

(٤) هو محمد بن القاسم بن بشار الأنباري . عالم من علماء الأدب واللغة كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن ، وله مصنفات منها «شرح معلقة زهير بن أبي سلمى» و«الأضداد» وغيرها . توفي – رحمه الله تعالى – سنة ٣٢٨ هـ.

(٥) هو : جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان . شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية وهو قائد الشعراء العشاق . لأنه عشق "بثينة" وهو غلام فلما بلغ خطبها فمُنع منها فكان يقول فيها الأشعار حتى اشتهر بها فأطلق عليه "صاحب بثينة" وهو أحد كبار شعراء العهد الأموي.

(٦) البرد : حب الغمام . (٧) ماء المزن : أي ماء السماء ومنه قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ .

(٨) الفطيم : هو كل ما كان صغيرًا حان وقت فطامه . والخرفة : مفرد خرافٍ . (٩) المسان : هي التي بلغت وكبرت وأصبحت مسنة .

(١٠) الجذاع : جمع جذعة ، ويقال لولد الشاة إذا بلغ سنتين جذعة ، وللبقر إذا بلغ ثلاث سنوات ، وللإبل إذا بلغ خمس سنوات.

وقال زهير[١] في الذكاء الذي معناه تمام السن :

ويفضلها إذا اجتهدت عليه تمام السن منه والذكاء

والذكاء في هذين المعنيين ممدود ، والذكاء تمام اتقاد النار مقصور يكتب بالألف ، قال الشاعر :

وتضرمُ[٢] في القلبِ اضطِرامًا كأنَّهُ ذكَا النارِ ترفيه الرِّياح النوافِحُ

ويقال : مسك ذكيٌّ ، ومسك ذكيَّةٌ ، والذي يذكرُ المسك يذكّرْ ، والذي يؤنث يقول : ذهبت إلى الرائحة : أنشدنا أبو العبَّاس عن سلمة عن الفرَّاء[٣] :

لقد عاجلتْني بالسِّبابِ وثوبُها جديدٌ ومن أثوابِها المسكُ تنفحُ

وقد أراد به رائحة المسك .

قال ابن الأنباري[٤] : أخبرنا أبي ، أخبرنا أبو عفَّان المهزمي قال : المسك والعنبر يؤنثان ويذكَّران.

الباب الرابع : في ذكر العلامات التي يستدل بها على عقل العاقل وذكاء الذكي

قال مؤلف الكتاب : هذه العلامات تنقسم إلى قسمين :

أحدهما ؛ من حيث الصورة ، والثاني ؛ من حيث المعنى والأحوال ، والأفعال .

علامات العاقل البدنية :

قال الحكماء : الخلق المعتدل ، والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل، وجودة الفطنة ، وإذا غلظت الرقبة دلت على قوة الدماغ ووفوره[٥] ، ومن كانت عينه تتحرك بسرعة وحدةٍ فهو مكار ، محتال ، لصٌّ ، وأحمد العيون الشهل[٦] ، وإذا لم تكن الشهلاء شديدة البريق ولا يظهر عليها صفرة ولا حُمرة دلت على طبع جيد، وإذا كان العين صغيرة غائرة[٧] فصاحبها مكّار حسود ، ومن كان نحيف الوجه فهو مهتم بالأمور، واللطف في النحاف[٨] القِصَار[٩] أظهر، والمعتدلون في الطول صالحو الحال .

---

(١) هو زهير بن أبي سُلمى بن ربيعة من قبيلة مزينة من مضر كان يقيم هو وقومه في بلاد غطفان وهو من فحول شعراء الجاهلية توفي قبل مجيء الإسلام ، والبيت الذي استشهد به ابن الجوزي يوجد في ديوان زهير هكذا :

يفضّله إذا اجتهدا عليه تمام السن منه والذكاء

أي يفضل الحمار على الأتان إذا اجتهدا في سيرهما لأنه أتمّ سنًا منها "انظر ديوان زهير ص ٩٥"

(٢) تضرم : أي تحدم غضبا يقال : تضرمت النار إذا اشتعلت .

(٣) الفرّاء هو : يحيى بن عبد الله بن منظور أبو زكريا المعروف بالفرّاء . إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة . قال ثعلب . "لولا الفرّاء ما كانت اللغة" وكان مع تقدمه في اللغة فقيها طبيبًا توفي سنة ٢٠٧ هـ .

(٤) ابن الأنباري : تقدمت ترجمته (٥) وفوره : أي اكتماله واتساعه .

(٦) الشهل : يقال : هو أشهل العين ، وفي عينه شهلة أي يشوب سوادها زرقة ، وتقول : في عينها شهلة وهي العجوز .

(٧) غائرة : نازلة متداخلة يقال : غارت عينك غورًا ، وغار ماؤك غورًا ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أي متداخلا في جوف الأرض وباطنها .

(٨) النحاف : جمع نحيف ؛ ورجل نحيف : لست عليه سنة ، ويقال : أنحفه المرض فهو نحيف

(٩) القصار : جمع قصير وهو عكس الطويل .

حدثني عجلان قال : قال لي زياد : أَدْخِل عليَّ رجلا عاقلا . قلت : لا أعرف من تعني . قال : لا يخفى العاقل في وجهه وقده[١] ، فخرجت فإذا أنا برجل حسن الوجه ، مديد القامة[٢] ، فصيح اللسان . قلت : ادخل ، فدخل ، فقال زياد : يا هذا إني قد أردت مشاورتك في أمر ، فما عندك؟ قال : إني حاقن[٣] ولا رأي لحاقن . قال : يا عجلان! أدخله المتوضأ[٤] ، فلما خرج قال : إني جائع ولا رأي لجائع . قال : يا عجلان! ائته بالطعام ، فأتي به فطُعِمَ ، ثم قال : سل عما بدا لك ، فما سأله عن شيء إلا وجد عنده بعض ما يريد .

خمس خصال يرجى لصاحبها السعادة :

أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون[٥] يقول : من وجدت فيه خمس خصال رجيت له السعادة ولو قبل موته بساعتين . قيل : ما هي؟ قال : استواء الخَلْق ، وخفة الروح ، وغزارة العقل ، وصفاء التوحيد ، وطيب المولد .

علامات أخرى :

قال المؤلف : يستدل على عقل العاقل بسكوته ، وسكونه ، وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها ، ومراقبته للعواقب ، فلا تستفزه شهوة[٦] عاجلة عقباها ضرر ، وتراه ينظر في الفضاء فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ، ومشرب ، وملبس ، وقول ، وفعل ، ويترك ما يخاف ضرره ، ويستعد لما يجوز وقوعه .

عن شهر بن حوشب[٧] قال : قال أبو الدرداء[٨] : ألا أنبئكم بعلامة العاقل؟ يتواضع لمن فوقه ، ولا يزدري من دونه ، يمسك الفضل[٩] من منطقه ، يخالق الناس بأخلاقهم ، ويحتجز الإيمان فيما بينه وبين ربه عز وجل ، فهو يمشي في الدنيا بالتقية والكتمان .

تمام العقل في عشر خصال :

قال القرشي : وأخبرني إدريس عن جده وهب بن منبه أن لقمان قال لابنه : يا بني ما يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال .. الكبر منه مأمون ، والرُّشد[١٠] فيه مأمول . يصيب من الدنيا القوت ، وفضل ماله مبذول ، التواضع أحب إليه من الشرف ، والذل أحب عليه من العز . لا يسأم[١١] من طلب الفقه طول دهره ، ولا يتبرم[١٢] من طلب الحوائج من قبله ، يستكثر قليل المعروف من غيره ،

---

(١) القدّ : يطلق في لغة العرب على معان متعددة ، وهو هنا مجاز : يقال : جارية حسنة القد أي معتدلة القوام حسنة التقطيع . وهو المقصود هنا.

(٢) مديد القامة : طويل القوام . (٣) حاقن : أي محتقن البول يريد أن يتبول .

(٤) المتوضأ : المكان الذي يتوضأ فيه وهو الحمام .

(٥) هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المعروف بذي النون المصري أحد الزهاد العبّاد المشهورين له فصاحة وبيان وحكمة ، اتهمه المتوكل العباسي بالزندقة ، فاستحضره وسمع كلامه ، ثم أطلقه ، فعاد إلى مصر ، وتوفي في الجيزة سنة ٢٤٥ هـ . وقيل ٢٤٨ هـ .

(٦) تستفزه شهوة : تسيطر عليه وتتحكم فيه .

(٧) هو شهر بن حوشب الأشعري الشامي ، تابعي ، قرأ القرآن على عبد الله بن عيّاش بن عبد المطلب ، وكان كثير الرواية للحديث ثقة . توفي ابن حوشب سنة ١٠٠ هـ .

(٨) أبو الدرداء صاحب المسند في علم الحديث الشريف . (٩) الفضل : الزيادة يقال : الحال فضلة : أي زيادة

(١٠) الرشد : العقل والفهم ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾.

(١١) لا يسأم : لا يتضجر ولا يتعب .

(١٢) لا يتبرم : أي لا يَمَلّ . يقال : برم فلان بحجته إذا لم يحضره كأنها ملّ من الحجة أو المنطق فتركه .

ويستقل كثير المعروف من نفسه ، والخصلة العاشرة التي بها مجده ، وأعلى ذكره ، أن يرى جميع أهل الدنيا خيرا منه وأنه شرهم ، وإن رأى خيرا منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به ، وإن رأى شرا منه قال : لعل هذا ينجو وأهلك أنا ، فهنالك حين استكمل العقل .

حسن العقل غاية الشرف :

عن مكحول[١] أن لقمان[٢] قال لابنه : غاية الشرف والسؤدد حُسْنُ العقل ، ومن حسن عقله غطى ذلك جميع ذنوبه ، وأصلح ذلك مساويه ، ورضي عنه مولاه .

يُعجبني !

حدثنا شهاب بن الحسن العكبري قال : سمعت الأصمعي[٣] يقول : سمعت أبان بن جرير يقول : قال المهلب بن أبي صفرة[٤] : يعجبني أن أرى عقل الكريم زائدًا على لسانه ، ولا يعجبني أن أرى لسانه زائدًا على عقله .

الباب الخامس : في سياق المنقول عن الأنبياء المتقدمين مما يدل على قوة الفطنة

من ذكاء الأنبياء :

معلوم أن فطن الأنبياء فوق الفطن[٥] ، ولكنا أحببنا أن لا نخلي كتابنا هذا من شيء عنهم .

أبو الأنبياء :

فمن المنقول عن إبراهيم الخليل[٦] عليه الصلاة والسلام .

عن ابن عباس قال : لما رأت سارة[٧] إبراهيم قد شغف بأم إسماعيل غارت غيرة شديدة، وحلفت لتقطعن عضوا من أعضاء هاجر[٨] فبلغ ذلك هاجر ، فلبست درعا ، وجرت ذيلها، فهي أول نساء العالمين جرت الذيل، وإنما فعلت ذلك لتخفي أثرها في الطريق على سارة ، فقال إبراهيم: هل لك في خير؟ أن تعفي عنها وترضى بقضاء الله عز وجل. قالت : وكيف لي بها قد حَلفت؟ قال : اخفضيها[٩] فتكون سُنّة النساء ، وتبر يمينك . قالت : قد فعلت ، فخفضتها ، فمضت السُّنة للنساء بالخفض منها[١٠] .

---

(١) مكحول : تابعي جليل من علماء التفسير وأكثر رواياته عن ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) لقمان : هو لقمان الحكيم الذي صرح القرآن باسمه واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وقيل كان رجلاً صالحًا . وسوف تأتي قصته التي ذكر فيها ابن الجوزي أنه كان عبدًا حبشيا مملوكا والله أعلى وأعلم .

(٣) الأصمعي هو : عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان تصانيفه كثيرة منها «الخيل» توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٤) المهلب بن أبي صفرة الأزدي هو أحد الأمراء الشجعان وسيد أهل العراق ولي البصرة وخراسان توفي سنة ٨٣ هـ

(٥) ذلك لأنها صفة من صفاتهم فلجميع الأنبياء صفات يتفقون فيها وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة.

(٦) هو أبو الأنبياء رسول الله إبراهيم الخليل . كان من نسله أكثر الأنبياء وخاتمهم محمد رسول الله ﷺ .

(٧) سارة : هي زوجة إبراهيم وابنة عمّه وهي التي بشرها الله بالولد وقد بلغت من الكبر عتيا .

(٨) هاجر : هي أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

(٩) الخفض للإناث كالختان للذكور .

(١٠) انظر الخبر في صحيح البخاري ٢ / ٢٣٦ ، والبداية والنهاية ١ / ١٥٤ .

عن سعيد بن جبير[١] قال: قال ابن عباس: لمَّا شب إسماعيل، تزوج امرأة من جرهم[٢]، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم، فقالت: نحن بشَرٍّ، في ضيق وشدة، وشكت إليه، فقال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له: يغير عتبة بابه، فلما جاء، فأخبرته قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك. الحقي بأهلك.

«قال المؤلف»: وهذا الحديث يدل على فطنة إسماعيل أيضا.

سليمان بن داود:

ومن المنقول عن سليمان[٣] عليه الصلاة والسلام: عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "خرجت امرأتان ومعهما صبيَّان، فعدا الذئب على أحدهما، فأخذتا تختصمان في الصبي الباقي، فاختصمتا إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى منهما، فمرتا على سليمان عليه السلام فقال: ما أمركما؟ فقصتا عليه القصة، فقال: ائتوني بالسكين أشق الغلام بينكما، فقالت الصغرى: أتشقه! قال: نعم، قالت: لا تفعل - حظِّي منه لها، فقال: هو ابنك، فقضى به لها" أخرجاه في الصحيحين[٤].

حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول: بعث سليمان عليه السلام، إلى مارِدٍ من مردة الجن[٥]، فأتى به، فلما كان على باب سليمان أخذ عودًا، فذرعه بذراعه، ورمى به وراء الحائط، فوقع بين يدي سليمان، فقال: ما هذا؟ فأخبر بما صنع المارد، قال: أتدرون ما أراد؟ قالوا: لا. قال: يقول اصنع ما شئت فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض.

عن مكحول[٦] قال: قال أبو هريرة: بينا[٧] سليمان بن داود عليه السلام يسعى في موكبه، إذ مرَّ بامرأة تصيح بابنها يالدين، فوقف سليمان، وقال: إن دين الله ظاهر[٨]، فأرسل إلى المرأة، فسألها، فقالت: إن زوجها سافر، وله شريك، فزعم شريكه أنه مات، وأوصى إن ولدت غلاما أن أسميه يالادين، فأرسل إلى الشريك، فاعترف أنه قتله، فقتله سليمان عليه السلام.

جيراني يسرقون إوزي:

محمد بن كعب القرظي[٩] قال: جاء رجل إلى سليمان النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا نبي الله! إن

---

(١) هو سعيد بن جبير الأسدي الوالبي. يقال له: أبو عبد الله الكوفي المكّي من أكابر أصحاب ابن عباس، كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم. وكثرة العمل الصالح، وقد رأى خلقا من الصحابة وروى عن جماعة منهم. وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج الثقفي ثم ظفر به بعد مدة وقتله. قال عنه سفيان الثوري: لقد مات سعيد وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه. وكانت وفاته سنة ٩٤ هـ "انظر البداية".

(٢) جرهم. قبيلة من القبائل التي سكنت مكة بجوار إسماعيل عليه السلام وتزوج إسماعيل منها.

(٣) هو نبي الله سليمان بن نبي الله داود عليهما أفضل الصلاة وأتم السلام، أعطاه الله الملك والنبوة ومنحه فضلا عظيما، وخيرا وفيرا، وعلمه لغة الطير ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ج١٢ ص١٨ باب اختلاف المجتهدين، واللفظ للبخاري ولفظ مسلم مقارب له.

(٥) وكانت الجنُّ تحت سيطرة سليمان عليه السلام وأمره.

(٦) مكحول: هو أحد الرواة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، وقد اختلف العلماء في روايته (٧) بينا: أي بينما.

(٨) دين الله واضح بيِّن.

(٩) هو أبو حمزة وقيل أبو عبد الله، محمد بن كعب القرظي المدني عالم مفسر محدث بارع حُجَّة قال ابن حبّان: كان من أفضل أهل المدينة علما وفقها، وقال عون بن عبد الله: ما رأيت أحدًا أعلم بتأويل القرآن منه، وقيل إنه كان مجاب الدعوة. كان يقص بالمسجد فسقط عليه السقف هو وجماعة من أصحابه فمات سنة ١٢٠ هـ.

لي جيرانا يسرقون إوزي ، فنادى الصلاة جامعة ، ثم خطبهم فقال في خطبته : وأحدكم يسرق إوز جاره ، ثم يدخل المسجد ، والريش على رأسه ، فمسح رجل برأسه ، فقال سليمان : خذوه فإنه صاحبكم .

عيسى بن مريم :

ومن المنقول عن عيسى [١] عليه السلام . أن إبليس جاء إليه فقال له : ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟ قال : بلى ، قال : فارم بنفسك من هذا الجبل فإن قدّر لك السلامة تسلم . فقال له : يا ملعون ، إنَّ لله - عز وجل - أن يختبر عباده ، وليس للعبد أن يختبر ربه [٢] عز وجل.

الباب السادس : في سياق المنقول من ذلك عن الأمم السابقة

لقمان الحكيم :

فمن المنقول عن لقمان . حدثنا مكحول ، أن لقمان الحكيم كان عبدًا نوبيا أسود ، وكان قد أعطاه الله تعالى الحكمة ، وكان لرجل من بني إسرائيل اشتراه بثلاثين مثقالا ونش - يعني نصف مثقال-، وكان يعمل له ، وكان مولاه يلعب بالنرد [٣] ويقامر عليه ، وكان على بابه نهر جارٍ، فلعب يوما بالنرد على أنَّ من قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كله ، أو افتدى منه [٤] وإن هو قمر صاحبه فعل به مثل ذلك، قال : فقمر سيد لقمان ، فقال له القامر : اشرب ما في النهر ، وإلا فافتد منه ، قال : فسلني الفداء . قال : عينيك أفقؤهما ، أو جميع ما تملك ، قال : أمهلني [٥] يومي هذا، قال: لك ذلك. قال: فأمسى كئيبا حزينا إذ جاءه لقمان ، وقد حمل حزمة على ظهره ، فسلم على سيده ، ثم وضع ما معه ، ورجع إلى سيده، وكان سيده إذا رآه عبث به، ويسمع منه الكلمة الحكيمة، فيعجب منه، فلما جلس إليه ، قال لسيده: مالي أراك كئيبا حزينا، فأعرض عنه، فقال له الثانية مثل ذلك: فأعرض عنه، ثم قال له الثالثة مثل ذلك : فأعرض عنه، فقال له: أخبرني فلعل لك عندي فرجًا [٦]، فقص عليه القصة، فقال له لقمان : لا تغتم ، فإن لك عندي فرجًا، قال: وما هو؟ قال : إذا أتاك الرجل فقال لك : اشرب ما في النهر ، فقل له : أشرب ما بين ضفتي النهر ، أو المد ، فإنه سيقول لك : اشرب ما بين الضفتين ، فإذا قال لك ذلك ، فقل له : احبس عني المد حتى أشرب ما بين الضفتين ، فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد، وتكون قد خرجت مما ضمنت له ، فعرف سيده أنه قد صدَق ، فطابت [٧] نفسه، فلما أصبح جاءه الرجل، فقال له : فِ لي بشرطي ، قال له : نعم أشرب ما بين الضفتين أو المد ، قال : لا بل ما بيْن الضفتين ، قال : فاحبس [٨] عني المد، قال : كيف أستطيع؟ قال : فخصمه [٩] قال : فأعتقه [١٠] مولاه .

---

(١) عيسى بن مريم هو عبد الله ورسوله وآية منه عبدٌ من عباد الله .

(٢) ومن هنا كان تحذير القرآن الكريم في قوله : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا﴾.

(٣) نرد : النرد . لفظة معرَّبة وضعها أزدشيرُ بن بابك ، ولهذا يقال : النَّردشير . (٤) افتدى منه : أخذ منه الفداء .

(٥) أمهلني : أي ارفق بي واتركني يومي هذا . (٦) فرجا : مخرجًا . (٧) طابت نفسه أي : استراحت .

(٨) احبس : أي امنع ، والحبس : المنع .

(٩) خصمه : أي غلبه بالحجة ، فالخصومة : الجدل يقال : خاصمه مخاصمة فخصمهُ : غلبه .

(١٠) أعتقه : جعله حرًا . والله سبحانه أعلم بحقيقة أمر لقمان ذلك أن المفسرين قد اختلفوا في شأنه . والخلاصة : أنه عبد من عباد الرحمن الذين امتن عليهم بالهداية والصلاح والتوفيق .

- يا بُنيَّ .. كيف تؤاخي رجلاً؟

حدثنا محمد بن إسحاق [١] قال : قال لقمان لابنه : يا بني ! إذا أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره .

احتيال ونجاة :

ومن ذلك ما نقل عن عبد الله بن عامر الأزدي في الاحتيال للسلامة من سيل العرم . عن ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ [سبأ : ١٥] . قال: كانت لا تنقطع عنهم جنتهم شتاء ولا صَيْفا، فكفروا ما أنعم الله عليهم ، فأرسل عليهم «سيل العرم»، فسلط على الردم الذي بنوه على غير شربهم جُرُذًا [٢] له مخاليب وأنياب من حديد، فأول من علم بذلك عبد الله بن عامر الأزدي، فانطلق نحو الردم، فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ، ويقرض بأنياب من حديد ، فانصرف إلى أهله، فأخبر امرأته وأراها ذلك ، وأرسل إلى بنيه ، فقال : هل ترون ما رأينا؟ قالوا : نعم . قال : فإن هذا الأمر ليس لنا إليه سبيل اضمحلت الحيل فيه لأن الأمر لله، وقد أذن في هلاكه ، فأتى بهرَّة والجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة [٣] ، فلما رأت الهرة ذلك ولَّت وهربت ، فقال عبد الله: احتالوا لأنفسكم . قالوا : يا أبت كيف نحتال؟ قال: إني محتال لكم بحيلة . قال : فدعا أصغر بنيه، ثم قال له: إذا جلستُ اليوم في المجلس - وكان الناس يجتمعون إليه ، وينتهون إلى رأيه -، فإذا اجتمعوا أمرت أصغركم بأمر فليغفل عنه ، فإذا شتمته فليهُمَّ إليَّ فليلطمني [٤] ، ولا تتغيروا أنتم عليه [٥] ، فإذا رأى الجلساء أنكم لم تتغيروا على أخيكم لم يجسر [٦] أحد منهم أن يتغير عليه ، فأحلف أنا عند ذلك يمينا لا كفارة لها أن لا أقيم بين أظهُر قوم قام إليَّ أصغر بَنيَّ فلطمني، فلم يتغيروا عليه لذلك . قالوا : نفعل. فلمَّا راح الناس إليه أمر ابنه ببعض أمره فلهى عنه ، ثم أمره فلهى عنه ، فشتمه ، فقام إليه فلطم وجهه، فعجبوا من جرأة ابنه، فنكسوا رءوسهم [٧] ، وظنوا أنَّ ولده يتغيرون عليه ، فلمَّا لم يتغير أحد منهم قام الشيخ ، فحلف أن يتحول عنهم ، ويستبدلوا بداره ، فلا يقيم بين أظهر قوم لم يتغيروا على ابنه، فقام القوم معتذرين، وقالوا: أما كنا ظننا أن ولدك لا يتغيرون ، فذلك الذي منعنا. قال: قد سبق مني ما ترون، وليس إلى غير التحويل سبيل ، فعرض ضياعه على البيع، وكان الناس يتنافسون فيها ، واحتمل بثقله، وعياله فتحول عنهم [٨] ، فلم يلبث القوم إلا قليلا حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله فلم يفاجئ القوم ليلة بعد ما هدأت العيون إذا هم بالسَّيْل [٩] قد أقبل، فاحتمل أنعامهم [١٠] ، وأموالهم، وخرَّب ديارهم.. وقد جاءت أخبار عن القدماء ستراها في أبوابها إن شاء الله تعالى .

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق المدني . من أقدم مؤرخي العرب ، ومن أشهر كُتَّاب السِّيَر . قال عنه ابن حبان : لم يكن أحد في المدينة يقارب ابن إسحاق في علمه ، أو يوازيه في جمعه . ووثقه الذهبي فقال عنه : إنه حسن الحديث ، صالح الحال ، صدوق احتج به الأئمة . توفي سنة ١٥١هـ. انظر البداية والنهاية ، والأعلام

(٢) الجرذ : هو الفأر . (٣) لا يكترث بالهرّة : أي لا يهتم بها ولا بخافها والهرّة : القطة .

(٤) يلطمني : يضربني على وجهي . (٥) لا تتغيروا عليه : لا تعاتبوه ولا تلوموه ولا تضربوه . (٦) يَجْسر : أي يقدمُ .

(٧) نكسوا رءوسهم : خفضوها وأنزلوها على الأرض . ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ .

(٨) تحوّل عنهم : ترك أرضهم وبلادهم

(٩) السيل : هو سيل العرم الذي ذكره الله تعالى في سورة سبأ في قوله تعالى :﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾. قال المفسرون : سيل العرم أو سد مأرب : هو أعظم سدود اليمن ، وقد استطاع هذا أن يحوّل مساحات كثيرة كانت جرداء إلى جنّات وبساتين ، وقد اختلفت أقوال المؤرخين فيمن بناه ، كما تعددت الأقوال في أسباب تهدمه والسبب الذي هو من أوضح الأسباب على التهدم هو ما ذكرته الآية الكريمة من أن أهل هذا البلد أعرضوا عن شكر النعمة . وبطروا معيشتهم . فأطلق الله عليهم ذلك السيل الجارف الذي أعقب تصدع السدود ، فأهلكت البساتين وردمتها ، وهذا الجزاء من جنس أعمالهم . والله لا يعاقب إلا شديد الكفر به وبأفضاله . انظر المتخب في التفسير .

(١٠) الأنعام : الحيوانات من إبل وبقر وماعز وغيرها

الباب السابع : في سياق المنقول من ذلك عن نبينا عليه الصلاة والسلام

فأما ما حصل له بتلقي الوحي وتثقيفه فذلك كثير ، وليس هو مرادنا هاهنا ، إنما المراد القسم الأول.

كم عدد القوم ؟

عن علي عليه السلام [١] قال : لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر ، وجدنا عندها رجلين ، رجلا من قريش، ومولى عقبة بن أبي معيط ، فأما القرشي فأفلت ، وأما مولى عقبة فأخذناه ، فجعلنا نقول له : كم القوم؟ فيقول : هم والله كثيرٌ عددهم ، شديد بأسهم [٢] .

فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ. فقال له : كم القوم؟ فقال: هم والله كثير عددهم ، شديد بأسهم ، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم؟ فأبى ، ثم إن النبي ﷺ سأله : كم ينحرون من الجزر؟ [٣] فقال : عشرا لكل يوم ، فقال رسول الله ﷺ: القوم ألف ، كل جزور لمائة وتبعها .

من فطنة الرسول :

أخبرنا كعب بن مالك [٤] قال : كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزاة يغزوها إلا ورَّى بغيرها. "أخرجاه في الصحيحين" .

تعريض وتحريم :

أخبرنا أبو سعيد الخدري [٥] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "يأيها الناس إن الله عز وجل يعرض بالخمر، ولعل الله سينزل فيها أمرًا ، فمن كان عنده منها شيء فليبعه ، ولينتفعْ به» ، قال: فما لبثنا إلا يَسيرًا حتى قال ﷺ : «إن الله عز وجل حرَّم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية ، وعنده منها شيء فلا يشرب ، ولا يبعْ» . فاستقبل الناس بما كان عندهم طرق المدينة ، فسفكوها . انفرد بإخراجه مسلم [٦] .

عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أحْدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف» [٧] .

---

[١] عليّ هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صهر النبي ﷺ، وابن عمه ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول الناس إسلامًا . قتل رحمه الله تعالى سنة ٤٠ هـ .

[٢] لم يرد مولى عقبة أن يخبر المسلمين بعدد المشركين حتى لا ينتصر المسلمون عليهم ، ولقد قرر الإسلام الحنيف أن الكذب يجب عليا في حالة الحرب حتى نروّع المشركين فتقول مثلاً جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل ، مع أنهم لا يزيدون على ألفين . ونحن نرى في هذه الحادثة أن فطنة نبي الأمة جعلته يستتبع عدد القوم من سؤاله لمولى عقبة ، كم ينحرون من الجزر؟ .

[٣] الجزر : هي لحوم الإبل .

[٤] كعب بن مالك . صحابي فاضل من أصحاب رسول الله ﷺ . كان من الشعراء والزجاز المجيدين وهو من طبقة حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، ومن طبقة عبد الله بن رواحة الأنصاري رحمهم الله .

[٥] هو سعد بن مالك - أبو سعيد الخدري - من الصحابة الذين لازموا رسول الله ﷺ وروى عنه أحاديث كثيرة ، وله في البخاري ومسلم عدة أحاديث ، توفي رحمه الله في المدينة سنة ٧٤ هـ .

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب تحريم بيع الخمر برقم (١٥٧٨) .

[٧] أخرجه أحمد في المسند عن عائشة .

انطلق وأخرج متاعك:

عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله! إن لي جارا يؤذيني. فقال: «انطلق وأخرج متاعك إلى الطريق» فانطلق، فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: انطلق وأخرج متاعك إلى الطريق، فجعلوا يقولون: اللهمَّ العنه. اللهم اجزه، فبلغه، فأتاه، فقال: ارجع إلى منزلك فوالله لا أوذيك.

فراسة حذيفة:

حدثنا زيد بن أسلم [١] - مولى عمر - أن رجلا قال لحذيفة [٢]: يا حذيفة! نشكو إلى الله صحبتكم رسول الله أدركتموه ولم ندركه، ورأيتموه ولم نره، فقال حذيفة: ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم تروه، والله ما تدري يابن أخي لو أدركته كيف تكون؟ لقد رأينا مع رسول الله ﷺ ليلة الخندق في ليلة باردة مظلمة مطيرة وقد نزل أبو سفيان [٣] وأصحابه بالعرصة [٤]، فقال رسول الله ﷺ: «من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم أدخله الله الجنة؟» فما قام منا أحد، ثم قال: «من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيقي يوم القيامة». فوالله ما قام أحد منا. فقال أبو بكر: يا رسول الله، ابعث حذيفة. فقال رسول الله ﷺ «يا حذيفة» فقلت: لبيك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فقال: «هل أنت ذاهب؟» فقلت: والله ما بي أن أقتل ولكنني أخشى أن أوسر فقال: «إنك لن تؤسر» فقلت: مرني يا رسول الله بما شئت. فقال: «اذهب حتى تدخل بين ظهراني القوم، فأت قريشا فقل: يا معشر قريش! إنما يريد الناس إذا كان غدا أن يقولوا: أين قريش؟، أين قادة الناس؟ أين رءوس الناس؟ فيقدمونكم، فتصلون القتال، فيكون القتل بكم، ثم ائت قيسا [٥] فقل: يامعشر قيس! إنما يريد الناس إذا كان غدًا أن يقولوا: أين أحلاس [٦] الخيل؟ أين الفرسان؟، فيقدمونكم، فتصلون القتال فيكون القتل بكم». فانطلقت حتى دخلت بين ظهراني القوم، فجعلت أصطلي معهم على نيرانهم، وجعلت أبث ذلك الحديث الذي أمرني به، حتى إذا كان وجاء السحر، قام أبو سفيان فدعا اللات والعزى [٧] وأشرك، ثم قال: لينظر كل رجل منكم مَنْ جليسه؟ ومعي رجل منهم يصطلي [٨] على النار، فوثبت عليه بيدي مخافة أن يأخذني، فقلت: مَنْ أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان. فقلت: أولى، فلما دنا [٩] الصبح نادوا: أين قريش؟ أين رءوس الناس؟ فقالوا: هات الذي أتيتنا به البارحة. أين

---

(١) زيد بن أسلم العدوي القرشي فقيه من فقهاء المدينة ومفسريهم كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، وكان ثقة، كثير الحديث، له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ توفي سنة ١٣٦ هـ، وأبوه أسلم القرشي مولى عمر بن الخطاب.

(٢) حذيفة بن اليمان صحابي من الصحابة لزم رسول الله ﷺ وروى عنه أحاديث كثيرة خاصة في الفتن.

(٣) أبو سفيان بن حرب القرشي من الصحابة: تأخر إسلامه إلى يوم فتح مكة عندما قال الرسول: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

(٤) العرصة هي: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

(٥) قيس: قبيلة من قبائل العرب.

(٦) أحلاس الخيل: الحِلس بكسر الحاء كساء على ظهر البعير يكون تحت البردعة وجمعه أحلاس.

(٧) هذه الحادثة حدثت قبل أن يدخل أبو سفيان بن حرب في الإسلام، واللات والعزى من الأهة التي كانت ذات شأن وقداسة عند العرب وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

(٨) يصطلي: أي يستدفئ.

(٩) دنا: أي قرب.

بنو كنانة؟ أين الرماة؟ فقالوا : هات الذي أتيتنا به البارحة، فتخاذلوا، وبعث الله عليهم تلك الليلة الريح ، فما تركتْ لهم بناء إلا هدمته ، ولا إناء إلا أكفأته ، حتى لقد رأيت أبا سفيان وثب على جمل له ، معقول[١] ، فجعل يستحثه ولا يستطيع أن يقوم ، فجئت رسول الله ﷺ ، فجعلت أخبره عن أبي سفيان ، فجعل يضحك حتى بدت نواجذه ، وجعلت أنظر إلى أنيابه .

إن قَتَلَهُ فهو مثله :

عن الحسن[٢] أن رجلا أتى رسول الله ﷺ برجل قد قتل حميما له ، فقال له النبي ﷺ : «أتأخذ الدية؟» قال : لا. قال : «أفتعفو» . قال : لا . قال : «اذهب فاقتله» . فلما جاوزه الرجل قال رسول الله ﷺ : «إن قتله فهو مثله» . قال : فلحق الرجل رجل ، فقال له : إن رسُول الله ﷺ قال كذا ، فتركه وهو يجر نسعه في عنقه[٣] .

قال ابن قتيبة[٤] : لم يرد رسول الله ﷺ أنه مثله في المأثم واستيجاب النار إن قتله. وكيف يريد هذا وقد أباح الله عز وجل قتله بالقصاص ، ولكن كره رسول الله ﷺ أن يقتص وأحب له العفو ، فعرَّض تعريضا أوهمه به أنه إن قتلَهُ كان مثله في الإثم ليعفو عنه ، وكان مراده أنه يقتل نفسا كما قتل الأول نفسا ، فهذا قاتل وهذا قاتل ، فقد استويا في قاتل وقاتل . إلا أن الأول ظالم ، والآخر مقتص . قال مؤلف الكتاب : وفي حديث رسول الله ﷺ من هذا كثير خصوصا في المعاريض ، فلنقتصر على هذه النبذة .

الباب الثامن :في سياق المنقول من ذلك عن أصحاب نبينا رضي الله عنهم أجمعين

هاد يهديني :

فمن المنقول عن أبي بكر الصديق[٥] رضي الله عنه : حدثنا ثابت ، عن أنس ، قال : لما هاجر رسول الله ﷺ كان رسول الله ﷺ يركب ، وأبو بكر رديفه ، وكان أبو بكر يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام ، فكان يمر بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر؟ فيقول : هاد يهديني[٦] .

حدثنا الحسن قال : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبابكر إلاَّ قال له: من هذا معك يا أبا بكر؟ فيقول : دليل يدلني الطريق ، وصدق والله أبوبكر[٧] .

---

(١) معقول : مربوط . (٢) الحسن بن علي بن أبي طالب . سمع من جده رسول الله ﷺ ، وهو صبي صغير .

(٣) يجر نسعه في عنقه : النِّسع بكسر النون وتشديدها سَيْر ينسجُ عريضا على هيئة أعنَّة النِّعال تشد به الرحال .

(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . محدث لغوي فقيه أديب ناقد ولد في بغداد سنة ٢١٣ هـ ، وسكن الكوفة وتولى القضاء فيها كان من الثقات الفضلاء له مصنفات كثيرة منها أدب الكاتب والشعر والشعراء وتأويل مختلف الحديث توفي سنة ٢٧٦ هـ.

(٥) أبو بكر الصديق : هو عبد الله بن أبي قحافة . صاحب رسول الله ﷺ ، وأول المؤمنين به ، وأحب الرجال إليه ، وخليفته من بعده . أسلم وله أربعون ألف درهم ، أنفقها كلها في سبيل الله ، وأعتق سبعة من الذين كانوا يُعذبون في الله ، وأسلم على يديه كثير ، وقاتل أهل الردة ، وبقي في الخلافة سنتين . توفي سنة ١٣ هـ.

(٦) انظر الخبر في محاضرات الأدباء ١/ ٥٧ ، وصحيح البخاري ، وعيون الأخبار .

(٧) هذه الأجوبة من المعاريض التي قال فيها النبي ﷺ : "إن في المعاريض مندوحة عن الكذب" أخرجه البيهقي وابن عدي مرفوعا. والمعنى أن أبا بكر لم يكذب عندما قال. هاد يهديني، أو دليل يدلني الطريق. فمحمد ﷺ هاد إلى طريق الله، ودليل إلى جنة الله رب العالمين.

فراسة الصِّديق :

حدثنا الحسن قال : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الناس ، فقال : «إن الله خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله عزَّ وجل» . قال : فبكى أبو بكر فعجبنا من بكائه أن خبر رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا به .

هيهات قد فرغتُ منها :

ومن المنقول عن عمر بن الخطاب [١] رضي الله عنه : حدثنا أسلم ، عن أبيه قال : قدمت على عمر بن الخطاب حُلل من اليمن فقسمها بين الناس ، فرأى فيها حلة رديئة . فقال : كيف أصنع بهذه إذا أعطيتها أحدًا لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها؟ قال : فأخذها فطواها فجعلها تحت مجلسه ، وأخرج طرفها ووضع الحلل بين يديه ، فجعل يقسم بين الناس . قال : فدخل الزبير بن العوام [٢] ، وهو على تلك الحال قال : فجعل ينظر إلى تلك الحالة فقال له: ما هذه الحُلَّة؟ قال عمر : دع هذه عنك . قال : ما هيه ما هيه ؟ ما شأنها؟ قال : دعها عنك. قال : فأعطنيها. قال : إنك لا ترضاها . قال : بلى قد رضيتها . فلما توثق منه ، واشترط عليه أن يقبلها ، ولا يردها رمى بها إليه ، فلما أخذها الزبير ونظر إليها إذا هي رديئة، فقال: «لا أريدها». فقال عمر: أيهات [٣] قد فرغت منها، فأجازها عليه وأبى [٤] أن يقبلها منه .

صدق أمير المؤمنين :

حدثنا بريد بن جرير ، عن أبيه، عن عمر قال له والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم : سر بقومك، فما قد غلبت عليه فلك ربعه، فلما جمعت الغنائم، غنائم جلولاء ادعى جرير [٥] أن له ربع ذلك كله ، فكتب سعد [٦] إلى عمر بذلك ، فكتب عمر صدق جرير قد قلت ذلك له ، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل فأعطوه جعله ، وإن يكن إنما قاتل لله ولدينه ولحبيبه [٧] فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جرير بذلك ، فقال : صدق أمير المؤمنين . لا حاجة لي به ، بل أنا رجل من المسلمين .

فراسة عمر بن الخطاب :

أخبرنا نافع ، عن ابن عمر قال : بينما عمر رضي الله عنه جالس إذ رأى رجلاً ، فقال : قد كنت مرة ذا فراسة [٨] وليس لي رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة شيئًا، ادعوه لي ، فدعوه فقال : هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئًا؟ قال : نعم .

---

(١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى . صحابي من عظماء الصحابة ، ثاني الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٢) هو الزبير بن العوام الأسدي القرشي . صحابي شجاع ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سَلَّ سيفه في الإسلام، أسلم وعمره اثنتا عشرة سنة ، وشهد بدرًا واليرموك والجابية ، قتل غيلة في معركة الجمل سنة ٣٦ هـ .

(٣) هكذا في الأصل وانظر الخبر في أخبار الظراف لابن الجوزي ولعلها هيهات . (٤) أبى : أي امتنع أن يقبلها منه .

(٥) هو : جرير بن عبد الله البجلي ، سيد قومه وزعيمهم . دخل على النبي ﷺ فأكرمه . وكان جرير يقول : ما حجبني رسول الله منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك . قدمه عمر على قومه في حروب العراق ، وكان له أعظم الأثر في فتح القادسية . مات سنة ٥٤ هـ .

(٦) هو سعد بن أبي وقاص الصحابي البطل ، والقائد المبجّل المنتصر ، قائد معركة القادسية ، وصاحب الجهاد الطويل المتواصل ، قال له الرسول في إحدى الغزوات : إرم خالي فداك أبي وأمي .

(٧) المقصود بكلمة حبيبه هو رسول الله ﷺ .

(٨) الفراسة : بكسر الفاء اسم من التفرّس ، وبفتح الفاء الحِذق بركوب الخيل وغيرها .

يا أهل الضوء :

وقد روينا عن عمر رضي الله عنه أنه خرج يعس[١] المدينة بالليل ، فرأى نارًا موقدة في خباء[٢] ، فوقف وقال : يا أهل الضوء وكره أن يقول : يأهل النار . وهذا من غاية الذكاء .

وروينا عنه أنه قال لرجل عرس[٣] : هل كان؟ فقال : لا أطال الله بقاءَك . فقال عمر : قد علمتم فلم تتعلموا . هلا قلت لا وأطال الله بقاءك[٤] .

فراسة عليّ بن أبي طالب :

ومن المنقول عن علي بن أبي طالب عليه السلام : عن أبي البختري قال : جاء رجل إلى علي ابن أبي طالب عليه السلام : فأطراه[٥] وكان بغضه . فقال له : إني ليس كما تقول وأنا فوق ما في نفسك .

حدثنا عبد الله بن سلمة قال : سمعت عليًا يقول بمكة : لا أغسل رأسي بغسل حتى آتي البصرة وأحرقها وأسوق الناس بعصاي إلى مصر . قال : فأتيت أبا مسعود البدري ، فأخبرته أن عليًا يورد الأمور مواردها لا يحسنون ، يصدرونها على رجل أصلع إنما رأسه مثل الطست ، إنما حوله زغيبات أو قال : شعيرات .

اذهب فجئ بصاحبك :

أخبرنا سماك بن حرب ، عن حَنْبش بن المعتمر[٦] أن رجلين أتيا امرأة من قريش ، فاستودعاها مائة دينار ، وقالا : لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع ، فلبثا حولاً ، فجاء أحدهما إليها ، فقال : إن صاحبي قد مات ، فادفعي إليَّ الدنانير ، فأبت وقالت : إنكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه، فلست بدافعتها إليك ، فثقّل عليها بأهلها ، وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولاً فجاء الآخر ، فقال : ادفعي إليَّ الدنانير، فقالت : إن صاحبك جاءني ، فزعم أنك مت فدفعتها إليه ، فاختصما إلى عمر بن الخطاب ، فأراد أن يقضي عليها ، فقالت : أنشدك الله أن تقضي بيننا ارفعنا إلى علي ، فرفعهما إلى علي وعرف أنهما قد مكرا بها ، فقال : أليس قد قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه؟ قال : بلى . قال: فإن مالك عندنا ، فاذهب فجئ بصاحبك حتى ندفعها إليكما .

من أجوبة عليّ :

أخبرنا محمد ، عن أبيه ، عن علي أنه جيء برجل حلف ، فقال : امرأته طالق ثلاثًا إن لم يطأها في شهر رمضان نهارًا ، فقال : تسافر بها ثم لتجامعها نهارًا .

---

(١) يعس : أي يطوف بالليل للتفقد ، ومن أمثلة العرب : "كلب اعتسّ خير من كلب ربض" .

(٢) خباء : خيمة .

(٣) رجل عَرِس : أي بني بأهله واتخذ عرسا .

(٤) قوله : لا وأطال الله بقاءك : أشد بلاغة من الأولى : ذلك أن قوله لا أطال الله بقاك : تشعر بالدعاء عليه لا له ، وإن كان المتكلم لا يقصد ذلك. ومثل هذه الحادثة حدثت لأبي بكر الصديق عندما قال له رجل : لا يرحمك الله ، فقال له قل : لا . ويرحمك الله .

(٥) أطراه : أثنى عليه ومدحه مدحًا عظيمًا وانظر الخبر في محاضرات الأدباء ١ / ١٧١

(٦) حنبش بن المعتمر الكناني : تابعي . لم تصح له صحبة ، صدوق ، له أوهام ، جزّحه ابن حبان ، ووثقه العجلي وأبو داود والترمذي ، وقال البخاري : يتكلمون فيه . وفي بعض النسخ أن اسمه خنبش والأول أصح .

الحسن وابن ملجم :

ومن المنقول ، عن الحسن بن علي عليهما السلام . قال مؤلف الكتاب : قرأت بخط أبي الوفاء بن عقيل [١] قال : لما جيء بابن ملجم إلى الحسن قال له : أريد أن أُسارك [٢] بكلمة ، فأبى الحسن وقال: إنه يريد أن يعض أذني ، فقال ابن ملجم : والله لو مكّنني منها لأخذتها من صماخه .

قال ابن عقيل : انظر إلى حسن رأي هذا السيد الذي قد نزل به من المصيبة الفادحة ما يذهل الخلق وتقصيه إلى هذا الحد ، وانظر إلى ذلك اللعين كيف لم يشغله حاله عن استرداد غشه ؟

اختلفت رجلاه وسقط ميتا :

ومن المنقول عن الحسين [٣] عليه السلام : أخبرنا إبراهيم بن رياح [٤] الموصلي قال : يروي أن رجلاً ادعى على الحسين بن علي مالاً وقدمه إلى القاضي ، فقال الحسين : ليحلف على ما ادعى ويأخذه، فقال الرجل : والله الذي لا إله إلا هو ، فقال : قل والله ، والله ، والله إنّ هذا الذي أدّعيه لي قبله ، ففعل الرجل وقام ، فاختلفت رجلاه وسقط ميتًا ، فقيل للحسين في ذلك، فقال : كرهت أن يمجد الله فيحلم عنه .

من أدب العباس :

ومن المنقول عن العباس عليه السلام : أخبرنا أبو رزين [٥] قال : سئل العباس [٦] أنت أكبر أم النبي ﷺ؟. فقال : هو أكبر مني وأنا ولدت قبله .

أخبرنا عكرمة [٧]، عن ابن عباس قال : قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر : عليك العير ليس دونها شيء، فناداه العباس بن عبد المطلب وهو أسير في وثاقه : إنه لا يصلح لك . قال : ولم؟ قال : لأن الله تعالى إنما وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك .

أخبرنا مجاهد [٨] قال : بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ وجد ريحًا فقال : ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ، فاستحيا الرجل. ثم قال : ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ، فإن الله لا يستحيي من الحق، فقال

---

(١) هو : علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي . أبو الوفاء ، ويعرف بابن عقيل شيخ الحنابلة ، وعلامة العراق في عصره . قال الذهبي : لابن عقيل تصانيف منها كتاب "الفنون" مات أبو الوفاء سنة ٥١٣ هـ .

(٢) أسارك : أقول لك سرًا ، والقصة ذكرها المبرد في كتابه الكامل ٢ / ١٢٨ .

(٣) الحسين بن علي بن أبي طالب ابن بنت رسول الله ﷺ . استشهد الحسين في موقعة كربلاء .

(٤) إبراهيم بن رياح الموصلي . ولد بالكوفة سنة ١٢٥ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ١٨٨ هـ .

(٥) أبو رزين : هو مسعود بن مالك الأسدي توفي سنة ٨٥ هـ .

(٦) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم عمّ النبي ﷺ ومن أكابر قريش في الجاهلية والإسلام ، كان محسنا لقومه ، سديد الرأي ، واسع العقل، وكانت له سقاية الحاج وعمارة البيت [illegible] أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه ، وشهد مع [illegible] حنين توفي سنة ٣٢ هـ . بعد أن عمى في آخر عمره، واخبر ذكره ابن الجوزي في اخبار الظراف له .

(٧) عكرمة : هو عكرمة بن عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس ، وأحد فقهاء مكة من التابعين مات سنة ١٠٥ هـ .

(٨) مجاهد : تابعي من أهل العلم ، كان أوثق من روى عن ابن عباس ، ولذا يعتمد على تفسيره الشافعي ، والبخاري وغيرهما من أقطاب العلم، وأئمة الدين .

العباس : ألا نقوم يا رسول الله كلنا فنتوضأ. قال المؤلف : هكذا رواه الغرياني عن الأوزاعي مرسلاً[١] ، ووصله عنه محمد بن مصعب الفرساني ، فقال : عن مجاهد ، عن ابن عباس . وقد جرى مثل هذه القضية عند عمر رضي الله عنه ، عن الشعبي[٢] : أن عمر كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله ، فوجد عمر ريحًا فقال : عزمت على صاحب هذه الريح أن قام فتوضأ ، فقال جرير : يا أمير المؤمنين : أو يتوضأ القوم جميعا. فقال عمر : رحمك الله نعم السيد كنت في الجاهلية ، ونعم السيد أنت في الإسلام .

بين ابن الزبير وابن جعفر :

ومن المنقول عن عبد الله بن جعفر[٣] : أخبرنا أبو مليك[٤] قال : ابن الزبير لابن جعفر : «أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ فقال : نعم ، فحملنا وتركك"؟[٥] أخرجاه في الصحيحين .

وقد روي لنا هذا بالعكس عن عبد الله بن أبي مليكة قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير[٦] : «أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك" انفرد بإخراج هذا مسلم .

قال مؤلف الكتاب : والظاهر أنه انقلب على الراوي[٧] ، وعلى هذا تكون الغبطة لابن الزبير.

من معاريض ابن رواحة :

ومن المنقول عن عبد الله بن رواحة[٨] : حدثنا عكرمة مولى ابن عباس أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعا إلى جنب امرأة ، فخرج إلى الحجرة فواقع جارية له فاستنبهت المرأة فلم تره فخرجت فإذا هو على بطن الجارية ، فرجعت فأخذت شفرة[٩] ، فلقيها ومعها الشفرة ، فقال لها: مهيم؟[١٠] فقالت: مهيم. أما أني لو وجدتك حيث كنت لوجأتك[١١] بها . قال: وأين؟ قالت : على بطن الجارية. قال : ما كنت . قالت : بلى . قال : فإن رسول الله ﷺ نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جُنُب، فقالت: اقرأ ، فقال :

---

(١) مرسلا : المرسل هو أحد أنواع الحديث الضعيف .

(٢) الشعبي : هو عامر بن شراحيل الشعبي ، راوية تابعي ثقة ، فقيه شاعر ، ولاّه عمر بن عبد العزيز القضاء وكان يضرب به المثل في الحفظ والفهم مات فجأة سنة ١٠٣ هـ .

(٣) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أول من ولد من المسلمين في الحبشة ، حفظ عن النبي ﷺ وروى عن كبار الصحابة ، وكان شديد الكرم توفي بالمدينة سنة ٨٠ هـ .

(٤) أبو مليك هو : زهير الذي ادّعاه عبد الله بن جدعان وتبناه لأنه كان عقيما .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤ ص١٨٨٥ رقم ٢٤٢٧ . والبخاري رقم ١٤٥٧ .

(٦) عبد الله بن الزبير بن العوام ، أول من ولد بالمدينة بعد الهجرة النبوية ، حكم مصر والحجاز ، واليمن والعراق ، قتل عبد الله سنة ٧٣هـ .

(٧) قول الإمام ابن الجوزي : والظاهر أنه انقلب على الراوي . أي في قوله "فحملنا وتركك" والصواب أن القائل : فحملنا وتركك ، هو ابن جعفر، وليس ابن الزبير كما توهم القاضي عياض ، وهذا ما قرره الإمام النووي في شرحه هذا الحديث "انظر صحيح مسلم بشرح النووي".

(٨) عبد الله بن رواحة ، شاعر عظيم من شعراء الإسلام ، كان زعيم قومه وسيدهم في الجاهلية ، أسلم ، ودافع عن الرسول، وردّ على هجاء المشركين له ، شهد كثيرا من المغازي مع رسول الله ﷺ ، واستشهد في غزوة مؤتة سنة ٨ هـ .

(٩) الشفرة : السكين ومنه قول النبي ﷺ : "فليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته" .

(١٠) مَهْيَم : معناها ما شأنك .

(١١) وجأتك . أي ضربتك .

أتانا رسولُ الله يتلو كتابَهُ ... كما لاَح منثورٌ مِنَ الصُّبح ساطِعْ
أرانا الهدى بعد العَمَى فقلوبُنا ... به مُوقِناتٌ أنّ ما قال واقِعْ
يبيتُ بجافي جَنْبِه عن فراشِه ... إذا استُثقلتْ بالكافرين المَضَاجِعْ

قالت: آمنت بالله وكذبت بصري. قال: فغدوت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فضحك حتى بدت نواجذه[1].

أنا له يا رسول الله:

ومن المنقول عن محمد بن مسلمة، عن عمرو بن دينار[2] سمع جابرا[3] يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لكعب بن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله»؟ فقال له محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال: «نعم». قال: أنا له يا رسول الله. فائذن لي أن أقول، قال: «قل»[4]، فأتاه محمد بن مسلمة، فقال: إن هذا الرجل قد سألنا الصدقة، وقد عنانا وقد مللنا منه. قال الخبيث[5] لمّا سمعها: والله لتملنه أو لتملن منه، وقد علمت أن أمركم سيصير إلى هذا. قال: إنا لا نستطيع أن نسلمه حتى ننظر ما يفعل، وإنا نكره بعد أن تبعناه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره، وقد جئت لتسلفني تمرا. قال: نعم علي أن ترهنوني نساءكم. قال محمد: أنرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فأولادكم. قال: فيعير الناس أولادنا بأنا رهنّاهم بوسق أو وسقين[6]، وربما قال: فيسب ابن أحدنا، فيقال رهن بوسق أو وسقين. قال: فأي شيء ترهنوني؟ قال: نرهنك اللأمة يعني السلاح. قال: نعم، فواعده أن يأتيه، فرجع محمد إلى أصحابه فأقبل وأقبل معه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، وجاء معه برجلين آخرين، فقال: إني مستمكن من رمّته فإذا أدخلت يدي في رأسه فدونكم الرجل، فجاءوه ليلا فأمر أصحابه، فقاموا في ظل النخل، وأتاه محمد فناداه، فقالت امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ قال: إنما هو محمد بن مسلمة، وأخي أبو نائلة، فنزل إليه ملتحفا في ثوب واحد وينفح[7] منه ريح الطيب، فقال محمد: ما أحسن جسدك، وأطيب ريحك. قال: عندي ابنة فلان وهي أعطر العرب[8]. قال: أفتأذن لي أن أشمّه؟ قال: نعم. قال: فأدخل محمد يده في رأسه فشمه، ثم قال: أتأذن لي أن أشمه أصحابي؟ قال: نعم. فأدخلها في رأسه ثم شبك يده في رأسه قبضا، ثم قال لأصحابه: دونكم عدو الله[9]، فخرجوا عليه، فقتلوه، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره.

الحرب خدعة:

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ رجلا من أصحابه إلى رجل من اليهود ليقتله، فقال: يا رسول الله إني لن أستطيع ذلك، إلاّ أن تأذن لي. فقال رسول الله ﷺ: «إنما الحرب خدعة فاصنع ما تريد».

---

(١) روى هذا الخبر ابن عساكر عن عكرمة ٣٤٤، وانظر محاضرات الأدباء ٢ / ١٩٢.
(٢) عمرو بن دينار: فقيه زاهد، كان مفتي المدينة في عصره، وثقه النسائي توفي سنة ١٢٦ هـ.
(٣) جابر بن عبد الله: صحابي فاضل من أهل الرواية عن رسول الله. روى له البخاري ومسلم، توفي جابر سنة ٧٨هـ.
(٤) أي فأذن لي أن أقول فيك يا رسول الله ما تكره حتى أنتصر على كعب وأقتله. فأذن له بذلك.
(٥) الخبيث: هو كعب بن الأشرف.
(٦) الوسق: ستون صاعا، أو حِمْل بعير.
(٧) ينفح: يخرج ويظهر وينطاير.
(٨) أعطر العرب: أي أكثر نساء العرب وضعا للعطور على جسدها.
(٩) دونكم عدو الله: أي ها هو ذا اضربوه واقتلوه.

obeikandl.com

قال مؤلف الكتاب : قلت ، وقد روينا عن الضحّاك[١] في اغتيالهم أبا رافع اليهودي ما يقارب هذه القصة ، فلم نر التطويل بذكرها .

بين سويبط والنعيمان :

ومن المنقول ، عن سويبط بن سعد بن حرملة[٢] ، وقد شهد بدرا، عن وهب بن عبد الله ابن زمعة قال : أخبرتنا أم سلمة[٣] قالت : خرج أبو بكر في تجارة إلى بصري قبل موت رسول الله ﷺ بعام ، ومعه نعيمان[٤] وسويبط بن حرملة ، وكان قد شهدا بدرا ، وكان نعيمان على الزاد ، وكان سويبط رجلا مزاحا، فقال النعيمان : أطعمني؟ قال : حتى يجيء أبو بكر . فقال: أما لأغيظنك . قال : فمروا بقوم فقال لهم سويبط : أتشترون مني عبدا لي؟ قالوا : نعم . قال : إنه عبد له كلام ، وهو قائل لكم إني حر ، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه ، فلا تفسدوا عليَّ عبدي . قالوا : لا بل نشتريه منك . قال : فاشتروه بعشر قلائص[٥] ، قال : ثم أتوه فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلا ، فقال نعيمان : إن هذا يستهزئ بكم إني حرٌ ولست بعبد . فقالوا : أخبرنا بخبرك فانطلقوا به ، فجاء أبو بكر فأخبره بذلك ، فأتبع القوم فرد عليهم القلائص ، وأخذ نعيمان ، فلما قدموا على النبي ﷺ وأخبروه فضحك النبي ﷺ وأصحابه منه حولا .

من فراسة معاوية :

ومن المنقول عن معاوية بن أبي سفيان[٦] ، أخبرنا المدائني[٧] ، عن ربيعة ابن ناجد قال : قيل لمعاوية بن أبي سفيان : ما بلغ من عقلك؟ قال : ما وثقت بأحد قط .

وقال ثعلب[٨] : نظر معاوية يوم صفين[٩] إلى إحدى جنبتي عسكره وقد مالت فلمحها فاستوت، ثم نظر إلى الجنبة الأخرى وقد مالت فلمحها فاستوت، فقال له رجل من أصحابه : أهذا كنت دبرته من زمن عثمان؟ فقال : هذا والله كنت دبرته منذ زمن عمر رضي الله عنهم .

قال مؤلف الكتاب : وبلغنا أن رجلا جاء إلى صاحب معاوية فقال له : قل له على الباب أخوك لأبيك وأمك ، ثم قال له : ما أعرف هذا ، ثم قال : ائذن له فدخل ، فقال له : أي الإخوة أنت؟ فقال: ابن آدم وحوّاء . فقال يا غلام : أعطه درهما . فقال : تعطي أخاك لأبيك وأمك درهما . فقال: لو أعطيت كل أخ لي من آدم وحواء ما بلغ إليك هذا .

---

(١) الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني ، شيخ حفاظ الحديث في عصره . ولد بمكة سنة ١٢٢ هـ وتوفي بالبصرة سنة ٢١٢ هـ .

(٢) سويبط بن سعد بن حرملة صحابي فاضل .

(٣) أم سلمة : هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية المخزومية . زوج النبي ﷺ . أسلمت قبل الهجرة إلى الحبشة وهاجرت مع زوجها أبي سلمة ومات زوجها فتزوجها رسول الله سنة أربع . ماتت أم سلمة سنة ٦٢ هـ .

(٤) نعيمان هو . بن عمرو من بني النجار ومن كبار الصحابة شهد بدرًا والخندق وغيرهما من المشاهد ، وكان كثير المزاح ، يضحك النبي ﷺ من مزاحه . مات نعيمان سنة ٦٠ هـ .

(٥) القلائص : جمع قلوص ، والقلوص من الإبل الشابةَ وهي الناقة الطويلة القوائم ، ويكنُّون عن الفتيات بالقلص .

(٦) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب ، الصحابي ابن الصحابي ، أحد كتاب الوحي ، وأمير المؤمنين ، ولاه عمر بن الخطاب، وكذلك عثمان بن عفان .

(٧) المدائني هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني . راوية مؤرخ من أهل البصرة ، سكن المدائن ونسب إليها . أورد ابن النديم أسماء أكثر من مائتي كتاب من تصانيفه في مختلف الفنون توفي سنة ٢٢٥ هـ .

(٨) ثعلب : هو إمام أهل اللغة في عصره . كان محدثا ثقة شاعرًا واسمه أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار توفي سنة ٢٩١ هـ .

(٩) هي معركة صفين .

من فراسة حذيفة :

ومن المنقول عن حذيفة بن اليمان ، حدثنا كعب القرظي قال : قال فتى منَّا لحذيفة : رأيت رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض . قال حذيفة: دعاني رسول الله ﷺ ونحن بالخندق قال : «اذهب فاجلس في القوم ، فانظر ماذا يفعلون» فذهبت فدخلت في القوم والريح تفعل في جنود الله عز وجل ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا ماء، فقام أبو سفيان بن حرب فقال : يا معشر قريش! لينظر كل امرئ من يجالس ، فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جَنْبِي[١] فقلت له: من أنت؟ فقال : أنا فلان بن فلان.

ومن المنقول عن المغيرة بن شعبة[٢] ، عن أبي إسحاق، عن أبي الخليل قال: أخبرنا علي قال: كان للمغيرة رمح، فكنا إذا خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خرج به معه، فيركزه فيمر الناس عليه فيحملونه، فقلت: لئن أتيت على النبي ﷺ لأخبرته، فقال : إنك إن فعلت لم ترفع ضالة .

كذب عليّ فأحببت أن أخزيه :

حدثنا زيد بن أسلم ، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين فكرهوه وأبغضوه . قال : فعزل عنهم ، قال : فخافوا أن يرد عليهم ، فقال دهقانهم[٣] : إن فعلتم ما آمركم لم يرد علينا . قالوا : أأمرنا بأمرك . قال : تجمعون مائة ألف درهم حتى أذهب بها إلى عمر ، وأقول إن المغيرة اختار هذا فدفعه إليَّ . قال : فجمعوا له مائة ألف درهم . قال : فأتى عمر فقال : إن المغيرة اختار هذا ودفعه إليَّ . قال : فدعا عمر المغيرة فقال : ما يقول هذا؟ قال : كذب أصلحك الله إنما كانت مائتي ألف . قال : فما حملك على ذلك؟ قال : العيال والحاجة . قال : فقال عمر للعلج[٤] : ما تقول؟ قال : لا والله لأصدقنك أصلحك الله والله ما دفع إليّ قليلا ولا كثيرا . قال: فقال عمر للمغيرة : ما أردت إلى هذا العلج؟ قال : الخبيث كذب عليَّ ، فأحببت أن أخزيه .

فراسة المغيرة بن شعبة :

حدثنا مسلم بن صبيح الكوفي قال : سمعت أبي يقول : خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة، وكان الفتى طريرا[٥] جميلا ، فأرسلت إليهما المرأة فقالت : إنكما خطبتماني ولست أجيب أحدا منكما دون أن أراه وأسمع كلامه ، فاحضرا إن شئتما ، فحضرا فأجلستهما بحيث تراهما ، وتسمع كلامهما ، فلما رآه المغيرة ونظر إلى جماله وشبابه وهيئته ، يئس منها ، وعلم أنها لن تؤثره عليه، فأقبل على الفتى فقال له : لقد أوتيت مالاً وحسناً وبياناً ، فهل عندك سوى ذلك؟ قال : نعم . فعدد محاسنه ثم سكت، فقال له المغيرة: كيف حسابك؟ قال : ما يسقط عليَّ منه شيء وإني لأستدرك منه أدق من الخردلة[٦] . فقال له المغيرة :

---

(١) إلى جنبي : أي إلى جواري .

(٢) هو أحد دهاة العرب وقاداتهم . ولد المغيرة في الطائف سنة ٢٠ قبل الهجرة ، وأسلم سنة ٥ هـ ، وشهد الحديبية واليمامة ، والقادسية، ولاه عمر ابن الخطاب قضاء البصرة، ثم عزله عثمان بعد توليته إياه قضاء الكوفة ، ثم ردّه معاوية إليها ومات بها سنة ٥٠ هـ.

(٣) الدهقان : هو زعيم فلاحي العجم ، الذي يحكمهم .

(٤) العلْج : الجبار ، والرغيف الغليظ ، والرجُل من كفّار العجم ، وهو المقصود هنا ، وجمعه علوج وأعلاج .

(٥) الطرير : هو ذو المنظر الحسن .

(٦) أثبتت التجارب العلمية أن الكيلوجرام من حبوب الخردل يحتوي على ٩١٢ ألف حبة ، وتكون الحبة بذلك حوالي جزء من ألف جزء من الجرام أي مليجرام تقريبًا ، وهذا أصغر وزن لحبة نبات عرف حتى الآن . انظر المنتخب في التفسير .

لكنني أضع البدرة في زاوية البيت فينفقها أهلي على ما يريدون فما أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها ، فقالت المرأة : والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إليّ من هذا الذي يحصي عليّ مثل صغير الخردل ، فتزوجت المغيرة .

داهية العرب :

ومن المنقول عن عمرو بن العاص[١] : قال ابن الكلبي : لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نَزَل على غزة ، فبعث إليه علجها ، أن أرسل إليّ رجلاً من أصحابك أكلمه ، ففكر عمرو ، فقال : ما لهذا العلج أحد غيري؟ فقام حتى دخل على العلج[٢] فكلمه ، فسمع كلامًا لم يسمع مثله قط ، فقال له العلج : حدثني هل من أصحابك أحد مثلك؟ قال : لا تسأل عن هواني عندهم إذ بعثوني إليك وعرضوني لما عرضوني ، فلا يدرون ما تصنع بي . قال : فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعث إلى البواب إذا مرّ بك فاضرب عنقه وخذ ما معه . فمر برجل من النصارى من غسّان فعرفه ، فقال يا عمرو : قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج ، فرجع ، قال له الملك : ما ردك إلينا؟ قال : نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك ليسع بني عمي ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية : فيكون معروفك عند عشرة ، خيرًا من أن يكون عند واحد قال : صدقت . أعجل بهم ، وبعث إلى البواب خلِّ سبيله . فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا أمن قال : لا عدت لمثلها أبدًا . فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج فقال له : أنت هو؟ قال : على ما كان من غدرك .

لم تشهد ولم تكن معنا؟ ..

ومن المنقول عن خزيمة بن ثابت[٣] ، عن الزهري[٤] قال : أخبرنا عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه أن النبي ﷺ ابتاع[٥] فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه ، فأسرع النبي ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي فطفق[٦] رجال يعترضون الأعرابي ، فيساومون[٧] الفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابي في السَّوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال : إن كنت مبتاعًا هذا الفرس فابتعه وإلا بعته . فقام النبي ﷺ فقال : «أليس قد ابتعته منك؟» قال : لا . فطفق الناس يلوذون[٨] بالنبي ﷺ والأعرابي ، وهما يتراجعان . فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيدًا يشهد[٩] أني قد بايعتك ، فمن جاء من المسلمين ، قال للأعرابي : ويلك إن النبي ﷺ لا يقول إلا حقًا ، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي . فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدًا يشهد

---

(١) هو الصحابي الفاضل الداهية عمرو بن العاص كان من الأشداء على الإسلام في الجاهلية ، ثم أسلم في هدنة الحديبية، ولاّه النبي ﷺ إمرة غزوة ذات السلاسل ، وهو القائد الذي فتح مصر ، وتولى إمارتها ، وتوفي فيها سنة ٤٣ هـ . انظر الأعلام للزركلي .

(٢) العلج : القائد من العجم .

(٣) خذيمة بن ثابت . صحابي من المقربين إلى رسول الله ﷺ .

(٤) هو ابن شهاب الزهري أبو بكر محمد بن عبيد الله . أحد كبار الحفاظ والفقهاء ، وأول من دوّن علم الحديث الشريف . كان الزهري يحفظ ألفين ومئتي حديث عن ظهر قلب ، وهو تابعي من أهل المدينة توفي ابن شهاب الزهري سنة ١٢٤ هـ .

(٥) ابتاع : أي اشترى .

(٦) طفق : أي لزم .

(٧) يساومون : أي يغالون في ثمنه . يقال : ساومت . غاليتُ .

(٨) يلوذون به : أي يستترون .

(٩) هلم شهيدا : أي ائتني بشهيد يشهد .

إني قد بايعتك . فقال خزيمة : أنا أشهد أنك قد بايعته . فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال:«بم تشهد؟» فقال : بتصديقك يا رسول الله ، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين[١] .

وفي رواية أخرى أنَّ النبي ﷺ قال لخزيمة : «لم تشهد ولم تكن معنا؟» قال : يا رسول الله أنا أصدقك بخبر السماء ، فلا أصدقك بما تقول ؟.

الحجاج يستأذن الرسول :

ومن المنقول عن الحجاج بن علاط ؛ عن معمر ، عن ثابت البناني قال : حدثنا أنس بن مالك[٢] رضي الله عنهم قال : لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط[٣] : يارسول الله ، إني لي بمكة مالاً ، وإن لي بها أهلاً ، وإني أريد أن آتيهم ، فأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئًا ، فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم ، فقال : اجمعي لي ما كان عندك ، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه ، فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم ، وفشا ذلك بمكة فانقمع[٤] المسلمون ، وأظهر المشركون سروراً ، وفرحا . قال : وبلغ الخبر العباس بن عبد المطلب ، فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر: وأخبرني عثمان الجزري ، عن مقسم قال : فأخذ ابنًا له كان يشبه برسول الله ﷺ ، فقال له : قم واستلق؟ . فوضعه على صدره وجعل يقول: حبي قثم ذي الأنف الأشم ، ثم أرسل غلامًا له إلى الحجاج بن علاط فقال له : ويلك ، ماذا جئت به ، وماذا تقول؟ ما وعد الله خيرًا مما جئت به . قال : فقال الحجاج بن علاط: اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له : ليخل لي في بعض بيوته لآتيه فإن الخبر على ما يسره . قال : فجاء غلامه فلما بلغ الباب قال : أبشر يأبا الفضل . قال : فوثب العباس فرحًا حتى قبّل بين عينيه فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه .

قال : ثم جاء الحجاج ، فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر ، وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى صفية بنت حيي[٥] واتخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها وتكون زوجة ، أو تلحق بأهلها ، فاختارت أن يعتقها[٦] ، وتكون زوجة ، ولكني جئت لمالي كان هاهنا أردت أن أجمعه ، فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت ، فأخف عني ثلاثًا ثم اذكر ما بدا لك ، قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حُلي ومتاع فدفعته إليه ، ثم تشمر به ، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج ، فقال : ما فعل زوجك؟ فأخبرته أن قد ذهب يوم كذا وكذا، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل[٧] لقد شقّ علينا الذي بلغك. قال: أجلْ. لا يحزنني الله، ولم يكن بحمد الله إلاّ ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسوله، وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه، فإن كان لك حاجة

---

(١) وهذا دليل على ذكاء خزيمة وقوة فطنته ، ذلك أنه قاس الأمر قياسًا صحيحًا ، فإذا كان هو يصدقه في أمر الوحي دون سؤال ومراجعة ، فإنه من باب أولى أن يشهد على صدقه في خبر بينه وبين أعرابي ، وما أعظمها من كلمة "أنا أصدقك في خبر السماء أفلا أصدقك بما تقول؟" .

(٢) أنس بن مالك : هو خادم النبي ﷺ ، وأحد رواة الحديث عنه ، كنيته أبو حمزة ، شهد أنس كثيرا من المشاهد مع رسول الله ﷺ ، ودعا له النبي ﷺ بثلاث دعوات فقال : اللهم أكثر ماله ، اللهمَّ أكثر ولده ، اللهمَّ أدخله الجنة ، يقول أنس ، فوالله لقد استجاب الله دعوتين وإني لأنتظر الثالثة. توفي أنس سنة ٩٣ هـ . وكان آخر الصحابة موتا بالبصرة .

(٣) الحجاج بن علاّط : يظهر من خلال النص أنه صحابي ولكنني لم أعثر له على ترجمة .

(٤) انقمع المسلمون : أي حزنوا .

(٥) صفية بنت حيّ بن أخطب . هي أم المؤمنين ، وزوج النبي العظيم ﷺ . وكان أبوها زعيما لليهود ، وقائدا لهم . كانت صفية ذات عقل وفهم ، وبعد زواجها من رسول الله تفقهت وصارت من فقهاء الصحابة .

(٦) يعتقها : يجعلها من النساء الحرائر .

(٧) أبو الفضل : هي كنية العباس بن عبد المطلب ، وكان له ابن يقال له : الفضل ، وبه كانت كنيته .

في زوجك فالحقي به، قالت: أظنك والله صادقًا، قال: فإني والله صادق، والأمر على ما أخبرتك.

قال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مرّ بهم: لا يصيبك إلاّ خير يا أباالفضل. قال: لم يصبني إلاّ خير بحمد الله، لقد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله، وجرت سهام الله فيهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه. وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثًا، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب. فَردّ الله الكآبة[1] التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ممن كان دخل بيته مكتئبًا حتى دخل أبوالفضل العباس، فأخبرهم الخبر، فسرّ المسلمون وردّ الله تعالى ما كان من كآبة، أو غيظ، أو حزن على المشركين.

من فراسة نعيم بن مسعود:

ومن المنقول عن نعيم بن مسعود قال: أخبرنا ابن إسحق[2] قال: بينما الناس على خوفهم يوم الأحزاب أتي نعيم بن مسعود[3] رسول الله ﷺ فحدثني رجل عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: جاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، ولم يعلَمْ بي أحدٌ من قومي، مرني أمرك. فقال له رسول الله ﷺ: «إنما أنت منا رجل واحد، فخذّث عنّا ما استطعت فإنما الحرب خدعة». فانطلق نعيم حتى أتى بني قريظة[4] فقال لهم: يامعشر قريظة - وكان لهم نديمًا في الجاهلية - إني لكم نديم، وصديق، قد عرفتم ذلك. قالوا: صدقت. قال: تعلمون والله ما أنتم وقريش وغطفان[5] من محمد بمنزلة واحدة، إن البلد لبلدكم به أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم، وإن قريشًا، وغطفان بلادهم غيرها، وإنما جاءوا حتى نزلوا معكم، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم، وأموالهم ونسائهم وأبنائهم، وخلوا بينكم وبين الرجل، فلا طاقة لكم به، فإن هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم تستوثقون به، ولا تبرحوا[6] حتى تناجزوا محمدًا. فقالوا: لقد أشرت برأي ونُصح، ثم ذهب إلى قريش فأتى أبا سفيان، وأشراف قريش، فقال: يا معشر قريش إنكم قد عرفتم وُدّي إياكم، وفراقي محمدًا ودينه، وإني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا عليّ - فقالوا: نفعل ما أنت عندنا بمتهم[7]. فقال: تعلمون أن بني قريظة من يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم، وبين محمد، فبعثوا إليه: ألا يرضيك أن نأخذ لك من القوم رهنًا من أشرافهم، فندفعهم إليك، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك حتى نخرجهم من بلادك؟ فقال: بلى، فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفرًا من رجالكم، فلا تعطوهم رجلاً واحدًا، فاحذروا. ثم جاء غطفان، فقال: يا معشر غطفان: قد علمتم أني رجل منكم. قالوا: صدقت، فقال لهم كما قال لهذا الحي من قريش، فلمّا أصبحوا بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل[8] في نفر من قريش: إن أبا سفيان يقول لكم: يا معشر يهود، إنّ الكراع والخُف قد هلكا

---

(١) الكآبة: الحزن والضيق والهم.

(٢) ابن إسحاق: هو صاحب السير وقد مرت ترجمته.

(٣) نعيم بن مسعود: صحابي. شهد كثيرا من المغازي مع رسول الله ﷺ.

(٤) بنو قريظة: طائفة من اليهود التي كانت تسكن المدينة قبل هجرة النبي ﷺ، وقد عاهدوا رسول الله على الأمانة، والحياة التي تسودها المودة، ثم خانوا عهدهم فكان جزاؤهم ما قضى به رسول الله ﷺ. وهذا دأبهم. النفاق والخداع والحقد الدفين.

(٥) غطفان: قبيلة.

(٦) لا تبرحوا: لا تسيروا.

(٧) بمتهم: أي مخائن.

(٨) عكرمة بن أبي جهل: صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ. وكان لم يسلم بعد

إنا لسنا بدار مقام، فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه، فبعثوا إليه أن اليوم السبت [١]، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا من رجالكم نستوثق بهم، لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمدًا. فقال أبو سفيان: قد والله حذرنا نعيم، فبعث إليهم أبو سفيان، إنا لا نعطيكم رجلاً واحدًا، فإن شئتم أن تخرجوا فتقاتلوا، وإن شئتم فاقعدوا، فقالت يهود: هذا والله الذي قال لنا نعيم. والله ما أراد القوم إلا أن يقاتلوا محمدًا، فإن أصابوا فرصة انتهزوها، وإلا مضوا إلى بلادهم وخلوا بيننا وبين الرجل، فبعثوا إليهم: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا، فأبوا، فبعث الله تعالى الريح على أبي سفيان، وأصحابه، وغطفان، فخذلهم الله [٢] عزَّ وجل.

ما يروى عن الأشعث:

ومن المنقول عن الأشعث بن قيس، عن الهيثم بن عدي [٣] قال: أخبرنا ابن عباس قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على الحسن ابنه أم عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني، فقال: فوقى أمير ذو إمرة يعني أمها. فقال: قم فوامرها؟ فخرج من عنده، ولقيه الأشعث بن قيس بالباب، فأخبره الخبر فقال: ما تريد إلى الحسن يفخر عليها ولا ينصفها ويسيء إليها، فيقول: ابن رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين، ولكن هل لك في ابن عمها فهي له وهو لها قال: ومن ذلك؟ قال: محمد بن الأشعث. قال: قد زوجته، ودخل الأشعث على أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، خطبت على الحسن ابنة سعيد؟ قال: نعم. قال: فهل لك في أشرف منها بيتًا وأكرم منها حسبًا وأتم منها جمالاً وأكثر مالاً. قال: ومَنْ هي؟ قال: جعدة بنت الأشعث بن قيس. قال: قد قاولنا رجلاً. قال: ليس إلى ذلك الذي قاولته سبيل. قال: إنه قد فارقني ليؤامر أمها. فقال: قد زوجها من محمد ابن الأشعث. قال: متى؟ قال: الساعة بالباب، قال: فزوج الحسن جعدة، فلما لقي سعيد الأشعث قال: يا أعور، خدعتني. قال: أنت أعور خبيث حيث تستشيرني في ابن رسول الله ﷺ. ألست أحق؟ ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال: يا أبا محمد، ألا تزور أهلك؟ فلما أراد ذلك قال: لا تمشِ والله إلا على أردية [٤] قومي، فقدمت له كندة سماطين وجعلت له أرديتها بسطًا من بابه إلى باب الأشعث.

وحشي بن حرب قاتل مسيلمة:

ومن المنقول عن وحشي بن حرب [٥]، عن عبد الله بن الفضل، عن سليمان بن يسار قال: حدثنا جعفر ابن عمرو الضمري قال: خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار فقال لي: هل لك في وحشي؟ فجئنا حتى وقفنا عليه، فسلمنا فرد السلام، وعبيد الله معتجر [٦] بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه، فقال عبيد الله: يا وحشي، أتعرفني؟ فنظر إليه ثم قال: لا والله إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة فولدت له غلامًا فاسترضعه، فحملت ذلك الغلام مع أمه، فناولتها إياه، كأني نظرت إلى قدميه.

---

[١] يوم السبت: يوم مقدس عند اليهود إلى يومنا هذا، وهم يزعمون: أن الله قد استراح في هذا اليوم بعدما تعب من خلق السماوات والأرض. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. فهو سبحانه خلقها ولم يعيَ بخلقهن. [٢] خذلهم الله: أذلهم وهزمهم.

[٣] هو الهيثم بن عديٍّ الطائي. كان من قصاص الأخبار وقد كان مقربا من المنصور والمهدي والرشيد وروى عنهم. قال عنه الذهبي: كان الهيثم يرى رأي الخوارج. ولذا لم يوثقه أهل الحديث.

[٤] الأردية: جمع رداء وهو الثوب.

[٥] وحشي بن حرب: صحابي فاضل، كان قبل إسلامه مولى عند هند زوج أبي سفيان بن حرب، فلما جاءت غزوة أحد، قالت له هند: لو ظفرت بحمزة بن عبد المطلب وقتلته، جعلتك حُرًّا، وقد دخل الغزوة، وقتل حمزة، ثم هرب، ثم أسلم، ولم يكن الرسول يطيق رؤيته، وقد قتل وحشي بعد إسلامه مسيلمة الكذاب، وفي هذا يقول الشاعر:

ألم تر أني ووحشيهم ... قتلنا مسيلمة المكتذب

ويسألني الناس عن قتله ... فقلت طعنتُ وهذا ضرب

[٦] معتجر بعمامته: أي عاقد رأسه بها، والعجرة: العقدة، ويقال: فلان حسن المعتجر أي: الاعتمام.

الباب التاسع: في سياق المنقول من ذلك عن الخلفاء رضي الله عنهم

قال مؤلف الكتاب: قد ذكرنا طرفًا عن أبي بكر الصديق، وعمر، وعلي، والحسين والحسن، ومعاوية، وابن الزبير، ونحن نذكر طرفًا مما نقل إلينا عمن بعدهم من الخلفاء، والله الموفق.

والله ما أردت إلا ذلك:

فمن المنقول عن عبد الملك بن مروان[١]: أخبرنا ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال: وجه عبد الملك ابن مروان عامر الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمر له، فاستكثر الشعبي، فقال له: من أهل بيت الملك أنت؟ قال: لا، فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمله رقعة لطيفة، وقال: إذا رجعت إلى صاحبك، فأبلغته جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا، فادفع إليه هذه الرقعة، فلما صار الشعبي إلى عبد الملك ذكر ما احتاج إلى ذكره، ونهض من عنده[٢]، فلما خرج ذكر الرقعة، فرجع فقال: يا أمير المؤمنين، إنه حمّلني إليك رقعة نسيتها حتى خرجت، وكانت في آخر ما حمّلني فدفعها إليه، ونهض، فقرأها عبد الملك قال: فأمر بردّه، فقال: أعلمت ما في هذه الرقعة؟ قال: فيها: «عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا». أفتدري لم كتب إلى بمثل هذا؟ فقال: لا. فقال: حسدني عليك، فأراد أن يغريني بقتلك، فقال الشعبي: لو كان رآك يا أمير المؤمنين ما استكثرني، فبلغ ذلك ملك الروم، ففكر في عبد الملك، فقال: لله أبوه والله ما أردت إلا ذلك.

من كلام هشام بن عبد الملك:

ومن المنقول عن هشام بن عبد الملك[٣]، قال هشام لمؤدب ولده: إذا سمعت منه الكلمة العوراء في المجلس بين جماعة، فلا تؤنبه لتخجله[٤] وعسى أن يبصر خطأه، فيكون بصرهُ للخطأ أقبح من ابتدائه به، ولكن احفظها عليه، فإذا خلا فرده عنها.

ألا أنصفتني من خصمي؟

ومن المنقول عن السفاح[٥] أخبرنا سعيد الباهلي عن أبيه قال: حدثني من حضر مجلس السفاح، وهو أحسد ما كان لبني هاشم، والشيعة ووجوه الناس، فدخل عبد الله بن حسين بن حسن ومعه مصحف، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف، فأشفق الناس

---

(١) هو: عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بني أمية، نشأ بالمدينة وكان فقيها غزير العلم، كثير العبادة، ولي الخلافة، وضبط أمورها، وقرّب العلماء، وكانت لسعيد بن المسيب التابعي الفاضل معه وقفات فقد منعه أن يزوج بنته بابنه، توفي عبد الملك سنة ٨٦ هـ.

(٢) نهض من عنده: أي قام وترك المجلس.

(٣) هشام بن عبد الملك بن مروان. أحد خلفاء بني أمية. كان حسن السياسة، غزير الفطنة، توفي بالرصافة سنة ١٢٥ هـ.

(٤) لا تؤنبه لتخجله: أي لا تنصحه بطريقة التأنيب في الجماعة، وفي هذا المعنى يقول الشاعر

تعهدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح في التجميع نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

(٥) السفاح هو: أبو العبّاس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. أول خلفاء الدولة العباسية. لُقّب بالسفاح لكثرة ما سفك من دماء بني أمية مات في شبابه ١٣٦ هـ «انظر البداية والنهاية».

أن يجعل السفاح بشيء إليه، ولا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم أو يعيا لجوابه ، فيكون ذلك نقصًا عليه وعارًا ، فأقبل إليه غير مغضب ولا منزعج فقال : إن جدك عليًا كان خيرًا منّي وأعدل ولي هذا الأمر، فأعطى جديك الحسن والحسين ، وكان خيرًا منك شيئًا ، وكان الواجب أن أعطيك مثله ، فإن كنت فعلت فقد أنصفتك ، وإن كنت زدتك ، فما هذا جزائي منك . فما ردّ عبد الله إليه جوابًا ، وانصرف والناس يعجبون من جوابه له .

ما يروى عن السفاح :

وروى ثعلب[١] عن ابن الأعرابي[٢] قال : أول خطبة خطبها السفاح في قرية يقال لها العباسية ، فلما صار إلى موضع الشهادة من الخطبة ، قال : رجل من آل أبي طالب في عنقه مصحف ، فقال: أذكرك الله الذي ذكرته إلا أنصفتني من خصمي ، وحكمت بيني وبينه بما في هذا المصحف ، فقال له: ومن ظلمك؟ قال : أبو بكر الذي منع فاطمة فدكًا[٣]. قال : وهل كان بعده أحد؟ قال : نعم . قال : مَنْ؟ قال : عمر . قال : وأقام على ظلمكم؟ قال : نعم . قال : وهل كان بعده أحد ؟ قال : نعم . قال : مَنْ؟ قال : عثمان . قال : وأقام على ظلمكم؟ قال : نعم . قال : وهل كان بعده أحد؟ قال : نعم . قال : مَنْ؟ قال : علي . قال: وأقام على ظلمكم؟ قال : فأسكت الرجل ، وجعل يلتفت إلى ورائه يطلب مخلصًا ، فقال له : والله الذي لا إله إلاّ هو لولا أنه أول مقام قمته ، ثم لم أكن تقدمت إليك في هذا قبل لأخذت الذي فيه عيناك ، اقعد وأقبل على الخطبة .

من يشتري ثمانين بمائة :

ومن المنقول عن المنصور[٤]: قال إسماعيل بن محمد قال: دخل ابن هرمة[٥] على أبي جعفر ، فأنشده فقال : سل حاجتك. قال : تكتب إلى عاملك بالمدينة متى وجدني سكران لا يحدني[٦]. قال: هذا حد ولا سبيل إلى إبطاله . قال : ما لي حاجة غير ذلك . قال : اكتب إلى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران ، فاجلده ثمانين ، واجلد الذي جاء به مائة . قال : فكان الشرطة يمرون به وهو سكران ، فيقولون: من يشتري ثمانين بمائة ، فيمرون ويتركونه .

---

(١) ثعلب : هو عالم اللغة الفذ وقد تقدمت ترجمته .

(٢) ابن الأعرابي : هو : أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفي ، عالم اللغة ، وراوية النسب ، ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه ، ولد ابن الأعرابي في الليلة التي مات فيها أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٣١ هـ .

(٣) الفدك : قرية بخيبر والحقيقة أن أبا بكر الصديق لم يظلم فاطمة ، ولم يمنعها حقها ولكنه أعلمها أن أباها e قال : "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة".

(٤) هو أبو جعفر المنصور : المؤسس الأول للدولة العباسية ، والقائم على أمرها وشئونها . وقد ازدهرت الدولة العباسية في عصره ازدهارا عظيما.

(٥) ابن هرمة هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل . كان مدمنا للشراب مغرما به ، وهو شاعر من أهل المدينة. رحل إلى دمشق ، ومدح الوليد بن يزيد ، ثم وفد على المنصور . قال الأصمعي فيه : "ختم الشعر بابن هرمة" "انظر شخصيات كتاب الأغاني" وقد توفي ابن هرمة ١٧٦ هـ .

(٦) ما كان يجوز للمنصور أن يفعل ذلك لأنه لا شفاعة لأحد في حدود الله .

منذ كم تزوجتها ؟

وبلغنا عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته ، فرأى رجلاً ملهوفًا مهموماً يجول في الطرقات، فأرسل من أتاه به ، فسأله عن حاله ، فأخبره الرجل أنه خرج في تجارة فأفاد مالاً ، وأنه رجع بالمال إلى منزله، فدفعه إلى أهله ، فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها ، ولم تر نقبًا ولا تسلقًا ، فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟ قال : منذ سنة . قال : أفبكرٌ هي تزوجتها؟ قال : لا . قال : فلها ولد من سواك؟ قال: لا . قال: فشابَّة هي أم مسنة؟ قال : بل حديثة ، فدعا له المنصور بقارورة طيب كان يتخذه له حاذّ الرائحة، غريب النوع ، فدفعها إليه وقال له : تطيَّب من هذا الطيب ، فإنه يذهب همك ، فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثقاته [١] : ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم ، فمن مرّ بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب ، وأشمهم منه ، فليأتني به . وخرج الرجل بالطيب ، فدفعه إلى امرأته ، وقال لها : وهبه لي أمير المؤمنين فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تحبه ، وقد كانت دفعت المال إليه ، فقالت له : تطيّب من هذا الطيب، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي ، فتطيب منه الرجل ، ومرّ مجتازًا ببعض أبواب المدينة ، فشمّ الموكل بالباب رائحة الطيب منه ، فأخذه فأتى به المنصور ، فقال له المنصور : من أين استفدت هذا الطيب فإن رائحته غريبة معجبة؟ قال: اشتريته . قال : أخبرنا ممن اشتريته ، فتلجلج [٢] الرجل ، وخلط كلامه ، فدعا المنصور صاحب شرطته ، فقال له : خذ هذا الرجل إليك ، فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخله [٣] يذهب حيث شاء ، وإن امتنع ، فاضربه ألف سوط من غير مؤامرة . فلما خرج من عنده دعا صاحب شرطته ، فقال : هول عليه وجرده ولا تقومن بضربه حتى تؤامرني [٤] ، فخرج صاحب شرطته ، فلما جرده وسجنه أذعن برد الدنانير ، وأحضرها بهيئتها ، فأعلم المنصور بذلك ، فدعا صاحب الدنانير ، فقال له : رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في امرأتك؟ قال : نعم . قال: فهذه دنانيرك ، وقد طلقت المرأة عليك ، وخبرّه [٥] خبرها .

يا ربيع أعطه ألف درهم :

عن يعقوب بن جعفر أنه قال : ومما يعرف ويؤثر من ذكاء المنصور أنه دخل مدينة ، فقال للربيع [٦] اطلب لي رجلاً يعرفني دور الناس ، فإني أحب أن أعرف ذلك ، فجاءَ برجل يعرفه إلاَّ أنه لا يبدؤه حتى يسأل المنصور ، فلما فارقه أمر له بألف درهم، فطالب بها الرجل الربيع ، فقال : ما قال لي شيئًا وأنا أهب لك ألفًا من عندي ، وسيركب فاذكره ، فركب معه ، فجعل يعرفه الدور ولا يرى موضعًا للكلام ، فلما أراد المنصور أن يفارقه قال له الرجل شعرًا :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مذقُ اللِّسان [٧] يقولُ ما لا يفعل

ثم إنه أراد الإمضاء ، فضحك وقال : يا ربيع ، أعطه الألف درهم الذي وعدته وألفًا آخر .

---

(١) الثقات : جمع ثقة . والثقة هو العدل الموثوق فيه .

(٢) فتلجلج : أي تلعثم في كلامه .

(٣) فخله : أي اتركه .

(٤) فتؤامرني : تأخذ أمرا مني .

(٥) فخبرّه : أي أعلمه .

(٦) هو الربيع بن يونس . كان حاجبا للمنصور ، ثم وزيراً له . وكان الربيع محسنا للإدارة ، مهيبا ، عاش إلى خلافة المهدي، وحظي عنده، توفي سنة ١٦٩ هـ

(٧) المذق اللسان : كذّاب . لا يصدق في قوله

ما ترى في قتل أبي مسلم ؟

وعن مبارك الطبري قال : سمعت أبا عبيد الله يقول : خلا أبو جعفر يومًا مع يزيد بن أبي أسيد ، فقال: يا يزيد ، ما ترى في قتل أبي مسلم ؟ فقال : أرى أن تقتله وتقرب إلى الله بدنه ، فوالله لا يصفو ملكك ولا تهنأ بعيش ما بقي ، فنفر مني نفرة[١] ظننت أنه سيأتي عليَّ ، ثم قال : قطع الله لسانك ، وأشمَتَ بك عدوك، أتشير عليَّ بقتل أنصر الناس لنا ، وأثقلهم على عدونا. أما والله لولا حفظي لما سلف[٢] منك ، وإن أعدها هفوة من هفواتك لضربت عنقك ،قم لا أقام الله رجليك . قال : فقمت وقد أظلم بصري ، وتمنيت أن تسيخ[٣] الأرض بي ، فلما كان بعد قتله قال لي : يا يزيد ، أتذكر يوم شاورتك؟ قلت : نعم . قال : فوالله لقد كان ذلك رأيًا وما لا أشك فيه ، ولكن خشيت أن يظهر منك فتفسد مكيدتي .

ما هذا يا أمير المؤمنين ؟

ومن المنقول عن المهدي[٤] ، عن القاسم بن محمد بن خلاد ، عن علي بن صالح ، قال : كنت عند المهدي ، ودخل عليه شريك بن عبد الله القاضي[٥] ، فأراد أن يبخره ، فقام الخادم بالعود الذي يلهي به ، فوضعه في حجر شريك، فقال شريك : ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال : هذا أخذه صاحب العسس البارحة، فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي، فقال : جزاك الله خيرًا يا أمير المؤمنين. فكسره ، ثم أفاضوا في حديث حتى نسي الأمر ، ثم قال المهدي لشريك : ما تقول في رجل أمر وكيلاً له أن يأتي بشيء بعينه ، فأتى بغيره ، فَتلِفَ[٦] ذلك الشيء؟ فقال : يضمن يا أمير المؤمنين ، فقال للخادم : اضمن ما تلف بقضيته .

هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ومن المنقول عن محمد بن الفضل قال : أخبرنا بعض أهل الأدب ، عن حسن الوصيف قال: قعد المهدي قعودًا عامًا للناس ، فدخل رجل ، وفي يده نعل ملفوفة في منديل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك ، فقال : هاتها ، فدفعها إليه ، فقبل باطنها ووضعها على عينَيْه، وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم ، فلما أخذها وانصرف قال لجلسائه : أترون[٧] أني لم أعلم أن رسول الله ﷺ لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها ، ولو كذبناه قال للناس : أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ، فردها علي وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره ، إذ كان من شأن العامة[٨] ميلها إلى أشكالها ، والنصرة للضعيف على القوي ، وإن كان ظالمًا اشترينا لسانه[٩] وقبلنا هديته ، وصدقنا قوله ، ورأينا الذي فعلْنا أنجح ، وأرجح.

---

(١) نفر مني نفرة : أي لم يرض بقولي .

(٢) سلف : مضى ، ومنه قوله تعالى ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾

(٣) تسيخ الأرض بي : أي تبتلعني يقال : ساخت قوائم الدابة في الأرض ، وساخت بهم الأرض .

(٤) هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي «المهدي بالله» خليفة من خلفاء الدولة العباسية في العراق، ولي الخلافة سنة ١٥٨ هـ ، ومات سنة ١٦٩ هـ .

(٥) هو شريك بن عبد الله النخعي الكوفي ، إمام ، محدِّث ، فقيه ، كان سريع البديهة ، حاد الذكاء تولَّى القضاء في زمن المنصور والمهدي، وكان عدلا في قضائه توفي سنة ١٧٧ هـ .

(٦) تلف الشيء : أي فسد ولم يعد يصلح .

(٧) أترون : أي أتظنون .

(٨) العامة : هم عوام الناس .

(٩) اشترينا لسانه : أي قطعناه عن الكلام .

أفرس الناس :

ومن المنقول عن المأمون رحمه الله ، قال المبرد[١] : حدثني عمارة بن عقيل ، قال ابن أبي حفصة الشاعر[٢] : أعلمت أن أمير المؤمنين يعني المأمون لا يبصر الشعر ، فقلت : من ذا يكون أفرس منه ، وإنا لننشد أول البيت فيسبق آخره من غير أن يكون سمعه . قال : فإني أنشدته بيتًا أجدت فيه ، فلم أره تحرك له ، وهذا البيت فاسمعه :

أضحى إمامُ الهُدى المأمون مشتغلاً بالدِّين ، والنَّاسُ بالدنيا مَشَاغِيلُ

فقلت له : ما زدته على أن جعلته عجوزًا في محرابها في يدها مسبحة ، فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولاً عنها ، وهو المطوق لها . ألا قلت كما قال عمك جرير لعبد العزيز بن الوليد؟

فَلاَ هو في الدُّنيا مُضيِّعٌ نَصيبَه ولا عرض الدُّنيا عن الدِّين شاغلُه

قال مؤلف الكتاب : وبلغنا أن حسنًا اللؤلؤي كان يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، فنعس[٣] المأمون ، فقال له اللؤلؤي : نمت أيها الأمير ، فاستيقظ المأمون ، وقال : سوقي والله يا غلام، خذ بيده .

قال مؤلف الكتاب : قلت : وإنما قال ذلك لأن هؤلاء إنما يريدون الحديث لينامو عليه ، فكان إيقاظه غفلة عما يراد من الحديث وسوء أدب .

خذ هذه الحيلة :

ومن المنقول عن المعتضد بالله[٤] ، عن أبي عبد الله محمد بن حمدون .

قال لي المعتضد بالله ليلة وقد قُدّم له عشاء : لقمني ، وكان الذي قدم له فَراريجْ ، ودراريج[٥] ، فلقمته من صدر فروج ، فقال : لا . لقمني من فخذه ، فلقمته لقمًا ، ثم قال : هات من الدراريج ، فلقمته من أفخاذها ، فقال : ويلك هو ذا تتنادر علي ، هات من صدورها، فقلت : يا مولاي ركبت القياس ، فضحك فقلت : إلى كم أضحكك ، ولا تضحكني؟ قال: فَشِلْ المطرح ، وخذ ما تحته . قال : فشلته ، فإذا دينار واحد، فقلت : آخذه؟ قال : نعم ، فقلت : بالله هو ذا تتنادر أنت الساعة على خليفة يجيز نديمه بدينار، فقال: ويلك. لا أجد لك في بيت المال حقًا أكثر من هذا ، ولا تسمح نفسي أن أعطيك من مالي شيئًا، ولكن هو ذا أحتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار ، فقبلت يده، فقال : إذا كان غد وجاءني القاسم- يعني ابن عبيد الله - فهو ذا أسارك حين تقع عيني عليه سراراً طويلاً التفت فيه إليك كالمغضب، وانظر

---

(١) المبرد هو : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري النحوي الأديب الفصيح ، لقبه أستاذه المازني بالمبرِّد أي المثبت للحق . ولد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ وتوفي في شوال سنة ٢٨٥ هـ .

(٢) هو مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيى شاعر من الطبقة العليا من شعراء العصر الأموي والعباسي توفي سنة ١٨٢ هـ .

(٣) نعس : النعاس النوم .

(٤) المعتضد . أحد خلفاء الدولة العباسية ، كان قوي الذكاء .

(٥) الفراريج : الدجاج قال الفيروز أبادي : الدجاج ذات فراريج ، والدراريج نوع من الطير يدرج في مشيه واحده دُرّاج .

أنت إليه في خلال ذلك كالمتخالس لي نظر المتراثي له ، فإذا انقطع السرار، فاخرج ولا تبرح من الدهليز[١] أو يخرج، فإذا خرجت خاطبك بخطاب جميل وأخذك إلى دعوته، ويسألك عن حالك، فاشكُ الفقر والخلة[٢] وقلة حظك مني ، وثِقَلُ ظهرك بالدَّيْن ، والعيال ، وخذ ما يعطيك، واطلب كل ما تقع عينك عليه ، فإنه لا يمنعك حتى تستوفى الخمسة آلاف دينار، فإذا أخذتها ، فيسألك عما جرى بيننا ، فاصدقه، وإياك أن تكذبه ، وعرفه أن ذاك حيلة مني عليه، حتى وصل إليك هذا ، وحدثه بالحديث كله على شرحه ، وليكن إخبارك إياه بذلك بعد امتناع شديد وإحلاف منه بالطلاق، والعتاق أن تصدقه، وبعد أن تخرج من داره كل ما يعطيك إياه تجعله في بيتك ، فلما كان الغد حضر القاسم ، فحين رآه ابتدأ يسارني[٣] ، وجرت القصة على ما وضعني عليه ، فخرجْتُ فإذا القاسم في الدهليز ينتظرني ، فقال : يا أبا محمد، ما هذا الجفاء لا تجيئني ، ولا تزورني ، ولا تسألني حاجة؟ فاعتذرت إليه باتصال الخدمة عليَّ ، فقال: ما يقنعني إلاَّ أن تزورني اليوم وتتفرج ، فقلت : أنا خادم الوزير، فأخذني إلى طيارة ، وجعل يسألني عن حالي وأخباري، وأشكو إليه الخَلَّة والإضافة، والدَّيْن، والبنات ، وجفاء الخليفة ، وإمساك يده ، ويتوجع ويقول : يا هذا مالي لك ، ولن تضيَّق عليك ما يتسع علي أن نجاوزك نعمة حصلت لي ، لو عارفتني لعاونتك على إزالة هذا كله عنك، فشكرته وبلغنا داره ، فصعد ولم ينظر في شيء ، وقال : هذا يوم أحتاج أن أختص فيه بالسرور بأبي محمد فلا يقطعني أحد عنه ، وأمر كتَّابه بالتشاغل بالأعمال وخلا بي في دار الخلوة ، وجعل يحادثني ويبسطني ، وقَدِمت الفاكهة ، فجعل يلقمني[٤] بيده وجاء الطعام، فكان هذا سبيله، فلما جلس للشرب وقع لي بثلاثة آلاف دينار ، فأخذتها للوقت ، وأحضر ثيابًا وطيبًا[٥] ومركوبًا ، فأخذت ذلك كله، وكان بين يدي صينية فضة فيها مغسل فضة ، وخردادي بلور ، وكوز ، وقدح بلور ، فأمر بحمله إلى طيارتي ، وأقبلت كلما رأيت شيئًا حسنًا له قيمة وافرة طلبته ، وحمل إليَّ فرشًا نفيسًا وقال : هذا للبنات، فلما تقوض[٦] أهل المجلس خلا بي ، وقال : يا أبا محمد أنت عالم بحقوق أبي عليك ومودتي لك، فقلت : أنا خادم الوزير ، فقال : أريد أن أسألك عن شيء ، وتحلف لي أنك تصدقني عنه، فقلت : السمع ، والطاعة، فأحلفني بالله ، وبالطلاق ، والعتاق على الصدق ، ثم قال لي: بأي شيء سارك الخليفة اليوم في أمري ؟ فصدقته عن كل ما جرى حرفًا بحرف ، فقال : فرّجت عني ، ولكون هذا هكذا مع سلامة نيته أسهل علي فشكرته ، انصرفت إلى بيتي ، فلما كان من الغد باكرت المعتضد بالله ، فقال : هات حديثك فسقته عليه ، فقال : احفظ الدنانير، ولا يقع لك أني أعمل مثلها بسرعة .

---

(١) الدهليز : ما بين الباب والدّار ، وجمعه دهاليز .
(٢) الخَلَّة - الفقر والحاجة .
(٣) يسارني : يقول لي سرًا أو يحادثني سرًا.
(٤) جعل يلقمني اللقمة : يطعمني بيده ، ويضعها في فمي .
(٥) طيبًا : كل ما يتطيب به من الروائح فهو طيب .
(٦) تقوّض : أي ذهب الرجال وتركوا المجلس .

القبض على المتهم :

أنبأنا أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي [١]، عن القاسم علي بن المحسن [٢]، عن أبيه قال : بلغني أن المعتضد بالله كان يومًا جالسًا في بيت يُبنى له يشاهد الصناع ، فرأى في جملتهم غلامًا أسود ، مُنكر الخلقة، شديد المزح يصعد على السلاليم مرقاتين [٣]، ويحمل ضعف ما يحملونه فأنكر أمره فأحضره وسأله عن سبب ذلك ، فلجلج ، فقال لابن حمدون [٤]، وكان حاضرًا : أي شيء يقع لك في أمره؟ فقال : ومن هذا حتى صرفت فكرك إليه ، ولعله لا عيال له ، فهو خالي القلب . قال : ويحك قد خمنت في أمره تخمينًا ما أحسبه باطلاً ، إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها دفعة من غير وجهها ، أو يكون لصًا يتستر بالعمل في الطين ، فلاحاه ابن حمدون في ذلك ، فقال : عليّ بالأسود فأحضر ، وقال : مقارع ، فضربه نحو مائة مقرعة وقرره ، وحلف إن لم يصدقه ضرب عنقه ، وأحضر السيف والنطع ، فقال الأسود : لي الأمان . فقال : لك الأمان إلاّ ما يجب عليك فيه من حد ، فلم يفهم ما قال له ، وظن أنه قد أمّنه فقال : أنا كنت أعمل في أتاتين الآجر سنين ، وكنت منذ شهور هناك جالسًا فاجتاز بي رجل في وسطه هميان ، فتبعته فجاء إلى بعض الأتاتين ، فجلس وهو لا يعلم مكاني فحل الهميان ، وأخرج منه دينارًا فتأملته فإذا كله دنانير فثاورته ، وكتفته ، وسددت فاه ، وأخذت الهميان ، وحملته على كتفي، وطرحته في نقرة الأتون وطينته ، فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه ، فطرحتها في دجلة ، والدنانير معي يقوى بها قلبي ، فأمر المعتضد من أحضر الدنانير من منزله ، وإذا على الهميان مكتوب لفلان بن فلان ، فنودي في البلدة باسمه ، فجاءت امرأة قالت: هذا زوجي ولي منه هذا الطفل خرج في وقت كذا ، ومعه هميان فيه ألف دينار ، فغاب إلى الآن ، فسلّم الدنانير إليها، وأمرها أن تعتّد [٥]، وضرب عنق الأسود ، وأمر أن تحمل جثته إلى الأتون .

غلام أمرد :

قال المحسن : وبلغني أن المعتضد بالله قام في الليل لحاجة، فرأى بعض الغلمان المردان قد نهضوا من ظهر غلام أمرد ودب على أربعته حتى اندس بين الغلمان ، فجاء المعتضد فجعل يضع يده على فؤاد واحد بعد واحد إلى أن وضع يده على فؤاد ذلك الفاعل ، فإذا به يخفق خفقانًا شديدًا ، فوكزه [٦] برجله فقعد ، واستدعى آلات العقوبة ، فأقر ، فقتله .

من ذكاء المعتضد :

قال المحسن : وبلغنا عن المعتضد بالله أن خادماً من خدمه جاء يوماً فأخبره أنه كان قائماً على شاطئ الدجلة في دار الخليفة ، فرأى صيادًا وقد طرح شبكته ، فثقلت بشيء ، فجذبها فأخرجها فإذا فيها جراب، وأنه قدره مالاً فأخذه وفتحه ، فإذا فيه آجر ، وبين الآجر كف مخضوبة بحناء ، قال : فأحضر الجراب ،

---

(١) هو محمد بن عبد الباقي بن محمد بن نصر الأنصاري أبو بكر ، المعروف بقاضي المارستان ، عالم بالفرائض والحساب ، قال ابن السمعاني : كان أبو بكر حسن الكلام ، مليح المحاورة . توفي سنة ٥٣٥ هـ "انظر شذرات الذهب" ج٤ ص١٠٨، ص١١٠ .

(٢) أبو القاسم التنوخي علي بن المحسن . من علماء المعتزلة ، تقلد القضاء في المدائن وأذربيجان ، وكان ظريفًا أديبا قال عنه الذهبي : سماعته صحيحة ومحله الصدق والستر . توفي سنة ٤٤٧ هـ .

(٣) مرقاتين : سُلمتين (٤) ابن حمدون هو أحد المقربين لدى الخليفة المعتضد بالله .

(٥) تعتد : أي تبدأ في عدة المتوفي عنها زوجها .

(٦) وكزه : أي ضربه برجله .

والكف ، والآجر[١] ، فهال المعتضد ذلك ، وقال : قل للصياد يعاود طرح الشبكة فوق الموضع ، وأسفله ، وما قاربه ، قال : ففعل ، فخرج جراب[٢] آخر فيه رجل قال : فطلبوا فلم يخرج شيء آخر ، فاغتمّ المعتضد، فقال : معي في البلد مَنْ يقتل إنسانًا ، ويقطع أعضاءه ، ويفرقه، ولا أعرف به ما هذا ملك . قال : وأقام يومه كله ما طعم طعامًا ، فلما كان من الغد أحضر ثقة له ، وأعطاه الجراب فارغًا ، وقال له : طف به على كل من يعمل الجرب ببغداد ، فإن عرفه منهم رجل ، فسله على من باعه ، فإذا دلَّك عليه ، فسل المشتري من اشتراه منه ، ولا تقر على خبره أحدًا . قال : فغاب الرجل ، وجاءه بعد ثلاثة أيام ، فزعم أنه لم يزل يتطلب من الدَّباغين ، وأصحاب الجرب إلى أن عرف صانعه ، وسأل عنه ، فذكر أنه باعه على عطار بسوق بحيي ، وأنه مضى إلى العطار ، وعرضه عليه ، فقال : ويحك ! كيف وقع هذا الجراب في يدك؟ فقلت : أوَ تعرفه؟ قال : نعم . اشترى مني فلان الهاشمي منذ ثلاثة أيام عشرة جرب لا أدري لأي شيء أرادها ، وهذا منها . فقلت له : ومنْ فلان الهاشمي؟ فقال : رجل من ولد علي بن ريطة من ولد المهدي يقال له : فلان عظيم ، إلاَّ أنه شر الناس ، وأظلمهم ، وأفسدهم لحرم[٣] المسلمين ، وأشدهم تشوقًا إلى مكائدهم، وليس في الدنيا من ينهي خبره إلى المعتضد خوفًا من شره ولفرط تمكنه من الدولة ، والمال، ولم يزل يحدثني ، وأنا أسمع أحاديث له قبيحة إلى أن قال : فحسبك أنه كان يعشق منذ سنين ، فلانة المغنية جارية فلانة المغنية، وكانت كالدينار المنقوش ، وكالقمر الطالع في غاية حسن الغناء ، فساوم[٤] مولاتها فيها، فلم تقاربه، فلما كان منذ أيام بلغه أن سيدتها تريد بيعها على مشتر قد حضر بذل فيها ألوف دنانير ، فوجه إليها لا أقل من أن تنفذها إليّ لتودعني ، فأنفذتها إليه بعد أن أنفذ إليها جذرها لثلاثة أيام، فلما انقضت الأيام الثلاثة غصبها عليها ، وغيبها عنها ، فما يعرف لها خبر ، وادّعى أنها هربت من داره وقالت الجيران : إنه قتلها ، وقال قوم: لا ، بل هي عنده ، وقد أقامت سيدتها ، عليها المأتم ، وجاءت وصاحت على بابه ، وسوّدت وجهها ، فلم ينفعها شيء ، فلما سمع المعتضد سجد شكرًا لله تعالى على انكشاف الأمر له ، وبعث في الحال من كبسَ[٥] على الهاشمي ، وأحضر المغنية ، وأخرج اليد ، والرجل إلى الهاشمي ، فلما رآهما امتقع لونه ، وأيقن بالهلاك، واعترف ، فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى مولاتها من بيت المال، وصرفها، ثم حبس الهاشمي ، فيُقال: إنه قتله ،ويقال : مات في الحبس.

حلف ثم عاد :

قال عبد الله بن أحمد بن حمدون قال : كنت قد حلفت ، وعاهدت الله أن لا أعقد مالاً من القمار، وأنه لا يقع في يدي منه شيء إلا صرفته في ثمن شمع يحترق ، أو نبيذ يُشرب، أو جذر مغنية ، فجلست يومًا ألاعب المعتضد ، فقمرته بسبعين ألف درهم، فنهض المعتضد يصلي قبل العصر ركعتان من قبل أن يأمر لي بها ، فجلست أفكر ، وأندم على ما حلفت عليه ، وقلت : كم أشتري من هذه السبعين ألف شمعاً، وشرابًا؟ وكم أجذر ؟ وما كانت هذه العجلة[٦] في اليمين ، ولو لم أكن حلفت كنت الآن قد اشتريت بها ضيعة ، وكانت اليمين بالطلاق ، والعتاق ، وصدقة الملك ، فلم سلَّم من السجود قال لي : في أي شيء

---

(١) الآجر : بضم الجيم وتشديد الراء هو الشيء الذي يُبنى به ، وهو فارسي معرّب .

(٢) الجراب : هو ما يوضع فيه الطعام ونحوه .

(٣) الحرم : الحرام والمعنى أفسدهم بانتهاك حرمات المسلمين .

(٤) ساوم : أي شارط مولاتها في البيع والشراء

(٥) كبس : أي قبض ، ومنه الكابوس : الذي يقع على الإنسان بالليل ويقبض على حلقه .

(٦) العجلة : السرعة في الشيء .

تفكرت؟ فقلت : خير ، فقال : بحياتي[١] اصدقني ، فصدقته، فقال : وعندك أني أريد أن أعطيك سبعين ألفًا في القمار ، فقلت : أفتصغر؟ قال: نعم . قد صغرت. قم ولا تفكر في هذا. قال : ودخل في صلاة الفرض ، فلحقني الغم أعظم من الأول ، وندمت على فوت المال ، وجعلت ألوم نفسي لمَ صدقته، فلما فرغ من صلاته قال لي : يا أبا عبد الله ، بحياتي اصدقني عن هذا الفكر الثاني ، فصدقته ، فقال : أما القمار فقد قلت : إني صغرت ، ولكني أهب لك سبعين ألفا من مالي ، ولا يكون عليَّ إثم في دفعها إليك ، ولا عليك إثم في أخذها، وتخرج من يمينك فتشتري بها ضيعة[٢] حلالاً ، فقبّلت يده ، وأخذت المال ، فاعتقدت به ضيعة ، والله أعلم .

الباب العاشر : في سياق المنقول من ذلك عن الوزراء

أشهدك أنها حرّة :

قال ابن الموصلي : حدثني أبي قال : أتيت يحيى بن خالد بن برمك[٣] ، فشكوت إليه ضيقة اليد، فقال: ويحك! وما أصنع بك . ليس عندنا في هذا الوقت شيء ، ولكن عليك هاهنا أمر أدلك عليه ، فتجد فيه رجلاً قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن أستهدي صاحبه شيئًا، وقد أبيت ذلك ، فألح عليَّ ، وقد بلغني أنك قد أعطيت بجاريتك فلانة آلاف دنانير ، فهو ذا أستهديه إياها ، وأخبره أنها قد أعجبتني، وإياك أن تنقصها من ثلاثين ألف دينار ، وانظر كيف يكون . قال : فوالله ما شعرت إلا بالرجل قد أتاني فساومني الجارية ، فقلت : لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار ، فلم يزل يساومني حتى بذل[٤] لي عشرين ألف دينار . فلما سمعتها ضعف قلبي عن ردها ، فبعتها وقبضت العشرين ألفا ، ثم صرت إلى يحيى بن خالد ، فقال لي : كيف صنعت في بيعك الجارية؟ فأخبرته ، فقلت : والله ما ملكت نفسي أن أجبت إلى العشرين ألفا حين سمعتها فقال : إنك لخسيس ، وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا ، فخذ جاريتك، فإذا ساومك ، فلا تنقصها من خمسين ألف دينار ، فإنه لابد أن يشتريها منك بذلك. قال: فجاءني الرجل ، فاستمت عليه خمسين ألف دينار، فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين ألف دينار ، فضعف قلبي على ردها ، ولم أصدق بها ، فأوجبتها[٥] له بها ، صرت إلى يحيى بن خالد ، فقال لي : بكم بعت الجارية؟ فأخبرته ، فقال لي : ويحك . ألم تؤدبك الأولى عن الثانية؟ قلت : ضعفت والله عن رد شيء لم أطمع فيه . فقال : هذه جاريتك فخذها إليك. قال: فقلت: جارية أفدت بها خمسين ألف دينار ثم أملكها. أشهدك أنها حرة، وأني قد تزوجتها.

---

(١) لا يجوز الحلف إلا بالله تعالى . لأن القسم بالشيء تعظيم له ، ولا تعظيم إلا للعظيم وهو الله سبحانه ، ولذا قال سيد البشرية ﷺ : "لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ، ومن كان حالفاً فليحلف بالله ، أو ليذر" . ومن هنا قرر العلماء أنه لا يجوز للمسلم أن يحلف بحياته ولا بحياة مخلوق، ولا بالنبي ، ولا بالأموات . . . وهكذا .

(٢) الضيعة : مفرد ضياع ، والضياع هو ما يمتلكه الإنسان من أرض وعقارات ونحوها .

(٣) هو يحيى بن خالد البرمكي : مؤدب الخليفة هارون الرشيد ، وهو أبوه من الرضاعة ؛ ذلك أن الرشيد رضع من زوجة يحيى ، واستمر الرشيد منذ أن ولي الخلافة في البر بيحيى إلى أن حدثت نكبة البرامكة ، فسجن يحيى إلى أن مات في السجن سنة ١٩٠ هـ

(٤) بذل : أي دفع .

(٥) أوجبتها له : أي جعلتها له .

ذكاء يحيى بن خالد :

أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى النديم قال : قال يحيى بن خالد : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها[١] : الهدية ، والكتاب ، والرسول .

وبلغنا أن المنصور كان يعجب بيحيى بن خالد ، ويجود[٢] رأيه ، وكان يقول : ولد الآباء أبناء وولد خالد بن برمك آباء . وكان يحيى يقول لابنه جعفر : يا بني خذ من كل أدب طرفًا فإنه من جهل شيئًا عاداه، وأنا أكره أن تكون عدوًّا لشيء من الأدب . وكان يقول : مَنْ بلغ رتبة فتاه فيها أخبر أن محلّه[٣] دونها . وقال له رجل : لأنت أحلم من الأحنف . فقال : ما نقرب إلى من أعطاني فوق حقي .

أدب وبلاغة :

وبلغنا عن الرشيد أنه رأى يومًا في داره حزمة خيزران فقال لوزيره الفضل بن الربيع : ما هذه؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، ولم يرد أن يقول الخيزران[٤] لموافقته اسم أم الرشيد. وقال الفضل : إياكم ومخاطبة الملوك بما يقتضي الجواب، فإنهم إن أجابوكم شق عليهم، وإن لم يجيبوكم شق عليكم. قال ثعلب: قلت للحسن بن سهل: وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله: ليس في السرف خير، فقال: بل ليس في الخير سرف. فرد اللفظ، واستوفى المعنى .

مرآة الأمير :

ورأى الفتح بن خاقان[٥] في لحية المتوكل شيئًا فلم يمسه بيده ، ولا قال له شيئًا ، ولكنه نادى يا غلام مرآة أمير المؤمنين فجيء بها . فقال : بل استقبل بها وجه الخليفة حتى أخذ ذلك الشيء بيده .

اكتب للناس الأمان :

حدثنا أبو علي بن مقلة[٦] قال : كنت أكتب لأبي الحسن بن الفرات أخدم بين يديه ، فأول شيء برزق عشرة دنانير في كل شهر ، وهو يخلف أخاه في ديوان السداد ، ثم زادت حاله فرقّاني إلى ثلاثين دينارًا في كل شهر ، فكنت كذلك معه إلى أن تقلد الوزارة الأولى ، فحصل رزقي خمسمائة دينار في كل شهر ، ثم أمر بقبض ما في دور المخالفين للذين بايعوا ابن المعتز[٧] ، وكانت أمتعتهم تقبض وتحمل إليه فيراها ، وينفذها إلى خزائن المقتدر . فجاءوه يوما بصندوقين، فقالوا له : هذان وجدناهما في دار ابن المعتز ، فقال : أفعلمتم ما فيهما ؟ قالوا : نعم جرائد من بايعه من الناس بأسمائهم ، وأنسابهم ، فقال : لا تفتح . ثم قال : يا غلمان هاتوا نارًا، فجاء الفراشون بفحم ، وأمرهم فأججوا النار ، وأقبل عليّ وعلى من كان حاضرًا ، فقال : والله لو رأيت من هذين الصندوقين ورقة واحدة لظن كل من له فيها اسم أني قد عرفته ، فبات العالم كلهم عليّ ، وعلى الخليفة ، وما هذا رأي؛ حرقوهما ، قال: فطرحا بأقفالهما في النار ، فلما احترقا بحضرته أقبل عليّ ، فقال : يا أبا علي قد أمنت كل من جنى وبايع ابن المعتز، وأمرني الخليفة بأمانة ، فاكتب للناس

---

(١) أربابها : أصحابها . (٢) يجُود : أي يحسن ، ومنه تجويد القرآن : أي تحسينه . (٣) أي مقامه ومنزلته .

(٤) الخيزران : هي أم هارون الرشيد ، كانت جارية عند أبيه المهدي ، وكانت صاحبة فطنة وبلاغة ، فتزوجها المهدي ، فأنجبت له الرشيد .

(٥) هو الفتح بن خاقان : أحد الأدباء الشعراء الفصحاء ، كان وزيرًا للمتوكل ، وصديقًا له ، وكانت لديه مكتبة علمية قيمة ، توفي سنة ٢٤٧هـ.

(٦) هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة ، أحد الوزراء الشعراء الأدباء ،فقد ولي الخلافة للخليفة المقتدر ، والخليفة القاهر ، ولكنه سجن في آخر حياته ومات في السجن سنة ٣٢٨ هـ .

(٧) ابن المعتز هو عبد الله بن محمد بن المتوكل ، كبير أهل الأدب في عصره ، بويع بالخلافة ولم يبق فيها إلا سويعات ثم خلع وقتل سنة ٢٩٦ هـ .

الأمان مني ولا يلتمس منك أحد أمانًا كائناً من كان إلا كتبته لي ، وجئني به لأوقع فيه ، فقد أفردتك لهذا العمل . ثم قال لمن حضر : أشيعوا ما قلته حتى يأنس المستترون بأبي علي ، ويكاتبونه في طلب الأمان ، فشكرناه . ودعت الجماعة له وشاع الخبر ، وكتبت الأمانات ، فكتب في ذلك مائة ألف أو نحوها .

نقطة صفراء :

حدثنا ابن المحسن عن أبيه قال : سمعت أبا القاسم الحسن بن علي بن مقلة[١] يقول : كان أبو علي بن مقلة يومًا يأكل ، فلما رفعت المائدة وغسل يده رأى على ثوبه نقطة صفراء من الحلوى التي كان يأكلها، ففتح الدواة ، واستمد منها نقطة على الصفرة حتى لم يبق لها أثر ، وقال : ذاك أثر شهوة ، وهذا أثر صناعتي، ثم أنشد :

إنما الزعفران عطر السعذارى ومداد الدواة عطرُ الرِّجال

بين المكتفي والصولي :

قال أبو بكر الصولي : قال لي المكتفي بالله ، وقد أنشدته: أنت أشعر من فلان ، فقلت : لإنعامك عليَّ ترى ذلك ، وإلاَّ ففلان أشعر مني ، فلما خرجنا قال لي القاسم بن عبيد الله : رددت على أمير المؤمنين لأنه قال شيئًا ، فقلت : لا . فقلت : من أين لي هذا الفهم؟

كشف الخائن :

وذكر أن ملكًا كانت أسراره تظهر كثيرًا إلى عدوه ، فيبطل تدبيره على العدو ، فبلغ ذلك منه ، فشكا إلى أحد نصائحه، وقال له : إن جماعة يطّلعون على أسرار لي لا بد من إظهارها لهم ولست أدري أيهم يظهرها، وأكره أن أنال البريء منهم بما يستحق الخائن ، فدعا بكتاب فكتب فيه أخبارًا من أخبار المملكة، وجعلها كذبًا كلها ثم دعا برجل رجل ، كل واحد دون صاحبه ممن كان يفشي[٢] الملك إليه سره، فقال للملك : أخبر كل واحد منهم بخبر على حدة لا يظهر عليه سائر أصحابه ، وأمر كل واحد بستر ما أسررت إليه ، واكتب على كل خبر اسم صاحبه ، فلم يلبث أن أظهر الخونة ما أفشى إليهم ، وانكتمت أخبار الناصحين، فعرف الملك من يفشي سره ، فحذره .

السعاية قبيحة :

قيل: رفعت إلى فخر الملك[٣] وزير السلطان قصة رجل سعى برجل، فكتب عليها: «السعاية قبيحة، وإن كانت نصيحة» فإن كنت أخرجتها بالنصح فخسرانك فيها أكثر من الربح، وأنا لا أدخل في محظور[٤]، ولا أسمع قول مهتوك في مستور ، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلتك على جريرتك مقابلة تشبه أفعالك، وتردع أمثالك ، فاستر على نفسك هذا العيب ، واتق من يعلم الغيب، فإن الله للصالح ، والطالح[٥] بالمرصاد . وقال الوزير أبو منصور ابن جهير يومًا لولد أبي نصر بن الصناع : استعل[٦] بآداب وإلا كنت صناعًا بغراب .

---

(١) هو الحسن بن علي بن مقلة : أخو محمد بن علي بن مقلة السابق ترجمته ، وكان الحسن أديبًا شاعرًا . له باع طويل في الأدب توفي سنة ٣٣٨هـ.

(٢) يفشي : أي يظهر .

(٣) هو : محمد بن علي فخر الملك . كان صاحب فطانة ، وذكاء ، ودهاء ، استوزره بهاء الدين بن عضد الدولة ، لعلو مرتبته في الفهم والذكاء . ومدحه كثير من الشعراء ، كان فخر الملك ، عالمًا بالعلوم الهندسية والرياضية ، ومن مصنفاته ، «الفخري» في علمي الجبر والمقابلات . قتل في آخر سنة ٤٠٧ هـ (٤) المحظور : هو ما لا يجوز للشخص فعله ويأمره الشرع والعقل بتركه

(٥) الطالح : الفاسد القبيح . (٦) الاستعلاء : الارتفاع في المنزلة والبناء ، وهو هنا يقصد المنزلة

الباب الحادي عشر : في سياق المنقول من ذلك عن السلاطين ، والأمراء والحجاب والشرطة

جزاء من استودع فجحد :

قال المؤلف : بلغني أن رجلا قدم إلى بغداد للحج ، وكان معه عقد من الحب يُساوي ألف دينار، فاجتهد في بيعه ، فلم ينفق ، فجاء إلى عطار موصوف بالخير ، فأوْدَعَهُ إياه ، ثم حجَّ وعادَ ، فأتاه بهدية، فقال له العطّار : من أنت؟ وما هذا؟ فقال : أنا صاحب العقد الذي أودعتُك ، فما كلَّمَهُ حتى رفسَهُ رفسَةً رماه عن دكانه ، وقال : تدَّعي عليَّ مثل هذه الدعوى ، فاجتمع النَّاس ، وقالوا للحاجيِّ : ويلك هذا رجل خير ، ما لحقت من تدَّعي عليه إلا هذا!، فتحيَّر الحاجيُّ ، وتردد إليه فما زاده إلا شتما وضربا ، فقيل له : لو ذهبت إلى عضد الدولة [١]، فله في هذه الأشياء فراسة ، فكتب قصَّتَهُ وجعلها على قصبة ، ورفعها لعضد الدولة، فصاح به [٢]، فجاء ، فسأله عن حاله ، فأخبره بالقصة، فقال : اذهب إلى العطَّار [٣] غدًا ، واقعد على دُكَّانه ، فإن منعك فاقعد على دكان تقابله من الصبح إلى المغرب، ولا تكلِّمْهُ ، وافعل هكذا ثلاثة أيام ، فإني أمُرُّ عليك في اليوم الرابع ، وأقفُ وأسلم عليك، فلا تقم لي ، ولا تزدني على ردِّ السلام وجواب ما أسألك عنه، فإذا انصرفت فأعد عليَّ ذكر العقد [٤]، ثم أعلمني ما يقول لك ، فإن أعطاكَهُ [٥] فجئ به إليَّ .

قال : فجاء إلى دكان العطَّار ليجلس فمنعه ، فجلس بمقابلته ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم ، فلما رأى الخراساني وقف وقال : سلام عليكم . فقال الخراساني [٦] ولم يتحرك : وعليكم السلام ، فقال : يا أخي تقدم . فلا تأتي إلينا ، ولا تعرض حوائجك علينا ، فقال كما اتفق ولم يشبعه الكلام ، وعضد الدولة يسأله ويستخفي ، وقد وقف، ووقف العسكر كله، والعطَّار قد أغمي عليه من الخوف ، فلما انصرف التفت العطَّار إلى الحاجيِّ [٧] فقال : ويحك متى أودعتني هذا العقد ، وفي أي شيء كان ملفوفًا ، فذكِّرْني لعلي أذكره ، فقال : مِنْ صفَته كذا وكذا، فقام وفتش ، ثم نقض جرَّة عنده فوضع العقد ، فقال : قد كنت نسيتُ ، ولو لم يذكِّرْني الحال ما ذكرت . فأخذ العقد ثم قال : وأي فائدة لي في أن أُعْلِمَ عضد الدولة ثم قال في نفسه: لعله يريد أن يشتريَهُ ، فذهب إليه فأعلمه ، فبعث به مع الحاجب إلى دكان العطَّار ، فعلَّق العقد في عنق العطَّار ، وصلبه بباب الدكان ، ونودي عليه : هذا جزاء من استودع فجحد . فلما ذهب النهار أخذ الحاجب العقد فَسلمه إلى الحاجيّ وقال : اذهب .

---

(١) عضد الدولة هو : فنَّاخسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية في العراق ، وهو أول من لقب في الإسلام «شاهنشاه» كان شديد الهيبة جبّارًا ، عالما بالعربية ، محبا للشعر ، وقد مدحه المتنبي ، والسلامي، توفي سنة ٣٧٢ هـ .

(٢) صاح به : طلبه وناداه .

(٣) العطار : هو بائع العطور .

(٤) المقصود أعد على العطّار الذي أودعته عقدك ذكره .

(٥) أعطاكه أي : أعطاه لك .

(٦) الخراساني : هو صاحب العقد نسبة إلى خراسان .

(٧) القياس أن يقال : حاج اسم فاعل .

ما سمع الناس ولا قلنا :

وقال المؤلف أيضا : بلغني عن عضد الدولة أنه كان في بعض أمرائه شاب تركيٌّ ، وكان يقف عند روزنة[١] ينظر إلى امرأة فيها ، فقالت المرأة لزوجها : قد حرَّم عليَّ هذا التركي أن أتطلع في الروزنة ، فإنه طول النهار ينظر إليها وليس فيها أحد ، فلا يشك النَّاس أن لي معه حديثا ، وما أدري كيف أصنع ؟ فقال زوجها : اكتبي إليه رقعة[٢] وقولي فيها : لا معنى لوقوفك فتعال إليَّ بعد العشاء . إذا غفل الناس في الظلمة ، فإني خلف الباب ، ثم قام وحفر حفرة طويلة خلف الباب ووقف له ، فلما جاء التركيُّ فتح له الباب ، فدخل ، فدفعه الرجل ، فوقع في الحفرة وطموا عليه[٣] ، وبقي أيامًا لا يُدْري ما خبره، فسأل عنه عضد الدولة فقيل له: ما لنا فيه خبر ، فمازال يعمل فكره إلى أن بعث يطلب مؤذن المسجد المجاور لتلك الدَّار ، فأخذه أخذا عنيفًا في الظاهر ، ثم قال له : هذه مائة دينار خذها وامتثل ما آمرك . إذا رجعت إلى مسجدك فأذِّن الليلة واقعد في المسجد ، فأول من يدخل عليك ويسألك عن سبب إنفاذي إليك ، فأعلمني به ، فقال : نعم . ففعل ذلك ، فكان أول من دخل ذلك الشيخ ، فقال له : قلبي إليك ولأي شيء أراد منك عضد الدولة؟ فقال : ما أراد مني شيئا ، وما كان إلا الخير ، فلما أصبح أخبر عضد الدولة بالحال ، فبعث إلى الشيخ فأحضره، ثم قال له : ما فعل التركيُّ ؟ فقال : أصْدقُك . لي امرأة ستيرة مُسْتَحْسَنَةٌ[٤] كان يراصدها[٥] ويقف تحت روزنتها ، فضجت من خوف الفضيحة بوقوفه ، ففعلتُ به كذا وكذا ، فقال : اذهب في دعة الله ، فما سمع الناسُ ولا قلنا .

ما أحسنها مكيدة ! ..

وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني[٦] في تاريخه . أنه بلغ إلى عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شاقة ، فلا يقدر عليهم ، فاستدعى آحـ . التجار ، ودفع إليه بغْلاً عليْه صندوقان فيهما حلوى قد شيبت[٧] بالسمِّ ، وأكثر طِيبها ، وترك في الظ ء . الفاخرة ، وأعطاه دنانير ، وأمره أن يسير مع القافلة ويُظهر أن هذا هدية لإحدى نساء أمراء الأطر ـ ففعل التاجر ذلك ، فنزل القوم وأخذوا الأمتعة والأموال ، وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به مع جم غفير إلى الجبل، وبقيَ المسافرون عُرَاة ، فلما فَتَحَ الصندوقين وجد الحلوى يضوع طيبها[٨] ، ويدهش منظرها ، ويعجب ريحها، وعلم أنه لا يمكنه الاستبداد بها، فدعا أصحابه، فرأوا ما لم يروه أبدًا قبل ذلك، فأمعنوا[٩] في الأكل عقيب مجاعة، فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم، فبادر التجار إلى أخذ أموالهم، وأمتعتهم، وأسلحتهم، واستردوا المأخوذ عن آخره، فلم أسمع بأعجب من هذه المكيدة ، محت[١٠] أثر العاتين ، وحصدت شوكة المفسدين .

---

(١) الروزنة : هي النافذة وهي تشبه اليوم الشباك أو ما يطلق عليه الآن «الكوة» .

(٢) رقعة : هي كل ما يكتب عليه سواء كانت من الجلد أو الورق .

(٣) طموا عليه : أي دفنوا عليه يقال : جاء السيل فطم الركية أي دفنها وسواها

(٤) ستيرة مستحسنة : أي لا تخرج فهي ستيرة لابسة في دارها ، وهي كذلك جميلة وصاحبة حُسْن .

(٥) يراصدها : يراقبها والراصد للشيء الراقب له والترصد الترقب .

(٦) محمد بن عبد الملك الهمذاني مؤرخ مسلم شهير اهتم بدراسة التاريخ وكتابته توفي رحمه الله سنة ٥٢١ «انظر الإعلام للزركلي» .

(٧) شيبت : أي خُلطت .

(٨) يضوع طيبها : يفوح وينتشر .

(٩) أمعنوا في الأكل : أي أكلوا بشراهة لشدة جوعهم .

(١٠) محت : أي أزالت

الأرض سرقت مالي :

وقال مؤلف الكتاب : وحدثت أن بعض التجار قدم من خراسان ليحج ، فتأهب للحج وبقى معه من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها ، فقال : إن حملتُها خاطرتُ بها ، وإن أودعتها خفتُ جحد المودَع ، فمضى إلى الصحراء ، فرأى شجرة خروع ، فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد ، ثم خرج إلى الحج وعاد، فحفر المكان فلم يجد شيئا ، فجعل يبكي ، ويلطم وجهه ، فإذا سُئل عن حاله قال : الأرض سرقت مالي ، فلما كثر ذلك منه قيل له : لو قصدت عضد الدولة، فإن له فطنة ، فقال : أو يعلم الغيب؟ فقيل له : لا بأس بقصده . فأخبره بقصته ، فجمع الأطباء وقال لهم : هل داويتم في هذه السنة أحدًا بعروق الخروع ؟ فقال أحدهم : أنا داويتُ فلانا وهو من خواصك[1] . فقال : علي به ، فجاء، فقال له : هل تداويت في هذه السنة بعروق الخروع؟ قال : نعم . قال : من جاءك به؟ قال : فلان الفرَّاش ، قال : عليَّ به ، فلمَّا جاء قال : من أين أخذت عروق الخروع ؟ قال : من المكان الفلاني ، فقال : اذهب بهذا معك فأرِه المكان الذي أخذت منه . فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة، وقال : مِنْ هذه الشجرة أخذتُ . فقال الرجل : هاهنا والله تركت مالي ، فرجع إلى عضد الدولة فأخبره ، فقال للفرَّاش : هلمَّ بالمال ، فتلكأ ، فأوعده ، فأحضر المال .

لا تخف من هذه الحُمَّى :

وروي أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي[2] قال : حكى السلامي[3] الشاعر قال : دخلت على عضد الدولة، فمدحته فأجزل عطيتي من الثياب ، والدنانير ، وبين يديه حسام[4] خسرواني ، فرآني ألحظه، فرمي به إليَّ وقال : خذه ، فقلت : وكل خير عندنا من عِنْدِه . فقال عضد الدولة : ذاك أبوك ، فبقيت متحيرًا لا أدري ما أراد، فجئت أستاذي فشرحت له الحال، فقال : ويحك قد أخطأت عظيمة ، لأن هذه الكلمة «لأبي نواس»[5] يصف كلبا حيث يقول :

أنعتُ كلبًا أهله في كده ... قد سعدت جدودهم بجده

وكلُّ خير عنده من خيره

قال : فعدت متوشحا بكساء ، فوقفت بين يدي الملك فقال : ما بك؟ فقلت : حممت الساعة . فقال : هل تعرف سبب حماك ؟ قلت : نظرت في ديوان أبي نواس ، فقال : لا تخف لا بأس عليك من هذه الحمَّى. فسجدت بين يديه وانصرفت .

اقبضها صاحبتك السلامة :

وروى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي في تاريخه[6] قال : حدثني بعض التجَّار وقال:كنت في

---

(١) خواصك : أي المقربين منك .

(٢) أبو الحسن الصابي هو : هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي ، مؤرخ كاتب ، ولد في بغداد ، وكان على غير ملة الإسلام ، فهداه الله في أواخر عمره توفي سنة ٤٤٨ هـ . «انظر الأعلام للزركلي» .

(٣) السلامي الشاعر هو : أبو الحسن السلامي عبد الله بن موسى من شعراء الدولة العباسية وله معرفة بالحديث والأدب ، وهو كثير الحفظ للنوادر والأشعار توفي سنة ٣٧٤ هـ . «انظر شخصيات كتاب الأغاني» . (٤) الحسام : هو السيف القاطع .

(٥) أبو نواس هو : الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن صباح الحكمي شاعر العراق في عصره ، أثنى الجاحظ عليه وقال : ما رأيت رجلاً أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس . وديوانه مطبوع ، وقد كان شديد المجون إلا أنه تاب في آخر حياته توفي سنة ١٩٧ هـ . «انظر شخصيات كتاب الأغاني» .

(٦) اسم تاريخه الذي صنفه : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء .

المعسكر ، واتفق أن ركب السلطان جلال الدولة يوما إلى الصيد على عادته ، فلقيه سوادي [١] يبكي . فقال: مالك ؟ فقال : لقيني ثلاثة غلمان أخذوا حمل بطيخ كان معي، وهو بضاعتي . فقال : امض إلى المعسكر فهناك قُبة حمراء ، فاقعد عندها ولا تبرح إلى آخر النهار ، فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك ، فلمَّا عاد السلطان، قال لبعض شُرَاته : قد اشتهيت بطيخا ، ففتش العسكر وخيمهم على شيء منه ، ففعل وأحضر البطيخ ، فقال : عند مَنْ رأيتموه؟ فقيل: في خيْمَة فُلان الحاجب . فقال : أحضروه . فقال له : من أين هذا البطيخ؟ فقال : الغلمان جاءوا به . فقال : أريدهم الساعة ، فمضى ، وقد أحسَّ بالشر ، فهرب الغلمان خوفا من أن يُقْتلوا ، وعاد فقال : قد هربوا لمَّا علموا بطلب السلطان لهم . فقال : أحضروا السوادي ، فأحضر ، فقال له : هذا بطيخك الذي أخذ منك؟ قال : نعم . قال : فخذه ، وهذا الحاجب مملوك لي ، وقد سلمته إليك ، ووهبته لك حتى يُحضر الذين أخذوا منك البطيخ ، ووالله لئن أخليته [٢] لأضربن رقبتك فأخذ السوادي بيد الحاجب ، فأخرجه ، فاشترى الحاجب نفسه بثلاثمائة دينار ، فعاد السوادي إلى السلطان وقال : يا سلطان قد بعت المملوك الذي وهبته لي بثلاثمائة دينار ، فقال : قد رضيت بذلك؟ قال : نعم . قال: اقبضها وامض مصاحبا السلامة.

زوِّجها به والمهر من عندنا ! ..

قال الصابي : وحكى لي من كان حاضرا بأصفهان قال : جاء تركماني قد لزم يَدَ تركماني، فلمَّا دخلا إليه قال : هذا وجدته قد ابتنى بابنتي [٣] ، وأريد أن أقتله بعد إعلامك به . قال : لا . بل تُزوجها به ، ونعطي المهر من خزائننا ، فقال : لا أقنع [٤] إلا بقتله . فقال : هاتوا السيف، فجيء به، فسلَّه [٥]، وقال للأب : تعال، فلمَّا قرب منه أعطاه السيف ، وأمسك بيده الجفن [٦]، وأمره أن يعيد السيف إلى الجفن ، فكلما رام الرجل ذاك قلب السلطان الجفن ، ولم يمكنه من إدخال السيف، فقال : يا سلطان! ما تدعني ، فقال : كذلك ابنتك لو لم تُرد ما فعل بها هذا، فإن كنت تريد قتله لأجل فعله فاقتلهما جميعًا ، ثم أحضرَ من زوَّجهُ بها ، وأعطاه المهر من خزائنه .

لا تغرنكم المظاهر الزائفة :

حدثنا الأصمعي [٧] قال: وفد بلال بن أبي بردة على عمر بن عبد العزيز [٨] ، وهو بحاضرة، فلزم ساريةً من المسجد يصلي إليها بحسن الركوع والخشوع ، وعمر بن عبد العزيز ينظر إليه، فقال عمر للعلاء بن المغيرة ، وكان خصيصا لعمر : إن يكن سرُّ هذا كعلانيته ، فهو فعل أهل العراق غير مدافع عن فضل . فقال له العلاء : أنا آتيك يا أمير المؤمنين بخبره ، فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء ، فقال له : اشفع صلاتك ؟ فإن لي حاجة ، فلمَّا سلَّم من صلاته قال له العلاء : تعرف منزلتي وموضعي من أمير المؤمنين ، فإني إن أشرتُ عليه أن يوليك العراق ما تجعل لي؟ قال : عمالتي سنة ، وكان مبلغها عشرين ومائة ألف ،

---

(١) سوادي : أي شخص . قال في الصحاح : السَّواد الشخص ، وسواد الناس عوامهم .
(٢) أخليته : أطلقته وتركته . (٣) يظهر من خلال السياق أنه زنا بها ولم يتزوج بها . وابتنى : معناه أنه تزوجها .
(٤) لا أقنع : أي لا أرضى إلا بالقتل . (٥) سلَّه : أي أخرجه ورفعه . (٦) الجفن : غمد السيف .
(٧) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب وأحد أئمة اللغة توفي سنة ٢١٦ هـ
(٨) عمر بن عبد العزيز ، هو خامس الخلفاء الراشدين أرخ له الإمام ابن الجوزي و كتب عنه مصنفا أسماه «مناقب عمر بن عبد العزيز» كان رحمه الله شديد الخشية ، كثير المراقبة ، غزير العبرة ، ولد رحمه الله في مصر وتوفي في دير سمعان سنة ١٠١ هـ.

قال : فاكتب لي على ذلك خطًا ، فقام من وقته ، فكتب له خطًا بذلك ، فحمل ذلك الخط إلى عمر بن عبد العزيز ، فلمَّا قرأه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وكان واليا على الكوفة : أما بعد؛ فإن بلالاً غرَّنا بالله ، فكدنا نَغْتَرُّ بِهِ ، ثم سبكناه، فوجدناه خبثا كله[1] .

الشباك مختلفة :

قال مؤلف الكتاب : وبلغنا أن رجلا وعظ أميرًا . فأنفذ إليه الأمير مالاً قَبَلَهُ ، فلمَّا عاد الرسول قال الأمير : كلنا صيَّادٌ ولكنَّ الشِباك تختلف .

تطاير فسرى عنه :

وقيل لما خطب السفاح يوم بويع سقطت العصا من يده ، فتطير من ذلك ، فقام بعض أصحابه ، فأخذها ، ومسحها ، ودفعها إليه ثم أنشد :

فألقتْ عصاها واستقرت بها النوى كما قرَّ عينًا بالإيابِ[2] المسافرُ

فسُرَّ بذلك ، وسرى عنه[3] ، وأكرمه .

أمير من الأذكياء :

نزل أمير بقرية ، فاحتاج إلى المزيّن[4] يمسح شعره ، فجاء الأمير وحده إليه ، وقال : أنا حاجب هذا الأمير الذي قد نزل بكم ، فامسح شعري ، فإن كنت حاذقا جاء الأمير فمسحتَ شعره ، وإنما فَعَلَ ذَلك لئلا يعلم أنه الأمير ، فينزعج فيجرحه .

لله ما كان أظرفه :

حدثني عمرو بن عثمان[5] قال : دخل المنصور أمير المؤمنين قصرًا ، فرأى في جداره كتابًا :

ومالي لا أبكي بعين حزينة وقد قَرُبَتْ للظَّاعنين حُمُولُ[6]

وتحته مكتوب : ايه ايه . قال أبو عمر ويُروى آه آه ، فقال المنصور : أيُّ شيء ايه ايه؟ قال له الربيع - وهو إذ ذاك تحت يدي أبي الخصيب الحاجب - يا أمير المؤمنين! إنه لما كتب البيت أحب أن يخبر أنه يبكي، فقال له : الله ما كان أظرفه، فكان هذا أول ما ارتفع به الربيع .

يسلم ثم ينصرف :

قال المؤلف : نقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل قال : دخل هاشميٌّ على المنصور فاستدناه[7] ، ودعا بغدائه ، وقال ادنه ، فقال : قد تغديت ، فكفَّ عنه ، فلمَّا خرج دفع الربيع في قفاه فوافقه الحُجَّاب ، فدخل عمومته ، فشكوه إلى المنصور ، فقال الربيع : هذا الفتى كان يُسَلم من بعيد وينصرف ، فأدناه أمير المؤمنين، واستجلسه ، ثم أذن له في الغداء ، فقال له : قد تغديت . قول من يظن أن الغداء عند أمير المؤمنين لا يصلح إلا لسد الخلة ، ومثل هذا لا يكون أدبه بالقول ، ولكن بالفعل .

---

(١) وهذه الحادثة تذكرنا بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : لا تغرنكم طنطنة الرجل في صلاته .

(٢) الإياب : الرجوع والعودة . (٣) سرى عنه : أي أذهب عنه الغضب والتطيّر .

(٤) المزين : الحلاق الذي يزين الشعر . (٥) عمرو بن عثمان : لم أعثر له على ترجمة .

(٦) الظاعنين : المسافرين ، وأراد به هنا المتهيئين للرحيل عن دنيا الناس . والحمول : بضم الحاء : الإبل التي عليها الهوادج.

(٧) استدناه : أي قرّبه من مجلسه .

أجوبة حصيفة :

حدثنا المدايني[١] عن غياث بن إبراهيم[٢] أن معن بن زائدة[٣] دخل على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقارب في خطوه، فقال له أبو جعفر : كبُرت سنك يا معن، قال : في طاعتك ياأمير المؤمنين . قال : وإنك لجلدٌ . قال : على أعدائك. قال : وإن فيك لبقية . قال : هي لك .

منزلي يا أمير المؤمنين :

حدثنا أبو الفضل الربعي[٤] قال : حدثني أبي قال : قال المأمون لعبد الله بن طاهر[٥] : أيّها أطيب: مجلسي أو منزلك؟ قال : ما عدلت بك يا أمير المؤمنين . قال : ليس إلى هذا ذهبتُ، إنما ذهبتُ إلى الموافقة في العيش واللذة . قال : منزلي يا أمير المؤمنين . قال : ولِمَ ذلك؟ قال : لأني فيه مالك، وأنا هاهنا مملوك .

جاسوس في هيئة سائل ! ..

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني[٦] أن أحمد بن طولون[٧] جلس يوما في متنزه له يأكل، فرأى سائلا في ثوب خَلِقٍ[٨]، فوضع يده في رغيف، ودجاجة، وفرخ، وقطع لحم، وقطعة فالوذج، وأمر بعض الغلمان بمناولته، فرجع الغلام، وذكر أنه ما هش له[٩]، فقال ابن طولون للغلام : جئني به، فمثل به بين يديه، فاستنطقه، فأحسن الجواب ولم يضطرب من هيبته، فقال له : أحضرني الكتب التي معك، وأصدقني عمَّن بعث بك، فقد صح عندي أنك صاحب خبر، واستحضر السياط، فاعترف له بذلك، فقال بعض من حضر : هذا والله السحر، فقال أحمد : ما هو بسحر، ولكنَّه قياس صحيح . رأيت سوء حال هذا، فوجهت إليه بطعام يُسر إلى أكله الشبعان، فما هش له، ولا مدَّ يده، فأحضرته، فتلقاني بقوة جأش، فلما رأيت رثاثة حاله[١٠]، وقوة جنانه علمت أنه صاحب خبر .

مقتولة في الصندوق ! ..

ورأى ابن طولون يوماً حمَّالاً يحمل صُندوقًا وهو يضطرب تحته، فقال : لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت[١١] عنقه، وأنا أرى عنقه بارزة، وما هذا إلا من خوف ما يحمل، فأمر بحط الصندوق، فوجد فيه جارية قد قتلت، وقطعت، فقال : اصدقني عن حالها، فقال : أربعة نفر في الدار

---

(١) المدايني هو : علي بن محمد المدائني، كان راوية، مؤرخا، عالما بأيام الناس وأخبار العرب توفي سنة ٢٢٥ هـ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) معن بن زائدة : هو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني أحد شجعان العرب وأجودهم، قتل سنة ١٥١ هـ .

(٤) لم عثرت له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٥) عبد الله بن طاهر بن الحسين أحد ولاة العصر العباسي وأشهرهم كان أديبا ظريفا، له شعر، وملح، ولي الشام ومصر، وأخيرا خراسان، مدحه أبو تمام وألف من مكتبته كتاب الحماسة توفي سنة ٢٣٠ هـ وورثاه كثير من الشعراء لأنه كان عالي الهمة، شديد الجود والسخاء .

(٦) هو : محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الحسن الهمداني من كبار المؤرخين، كان أبوه عالما بالفرائض يعرف بالمقدسي توفي ٥٢١ هـ .

(٧) هو : أحمد بن طولون، أبو العباس، صاحب الديار المصرية، تركي مستعرب، كان جوادًا كريما شجاعا بنى الجامع الشهير بالقاهرة توفي سنة ٢٧٠ هـ .

(٨) الثوب خَلِق : أي ممزق بالٍ قديم .

(٩) ما هش له : أي ما اهتم به .

(١٠) رثاثة حاله : قبح ملبسه وهيئته .

(١١) غاصت . التوت واهتزت .

الفلانية أعطوني هذه الدنانير ، وأمروني بحمل هذه المقتولة ، فضرب الحمَّال مائتي ضربة بعصا ، وأمر بقتل الأربعة .

أعطه هذه الدنانير ..

وكان ابن طولون يُبكِّرُ ، ويخرج ، فيسمع قراءة الأئمة في المحاريب ، فدعا بعض أصحابه يومًا وقال: امض إلى المسجد الفلاني، وأعطِ إمامه هذه الدنانير . قال : فمضيت فجلست مع الإمام، وباسطته حتى شكا أن زوجته ضربها الطلق[١] ، ولم يكن معه ما يُصلح به شأنها، وأنه صلى فغلط مِرارًا في القراءة ، فعدت إلى ابن طولون فأخبرته ، فقال : صدق ، لقد وقفت أمس، فرأيته يغلط كثيرا فعلمت شغل قلبه .

خذ من كل علم ثمرة ..

حدثنا سهل بن محمد السجستاني[٢] قال : وفد علينا عامل من أهل الكوفة ، لم أر في عُمَّال السلطان بالبصرة أبرع منه ، فدخلت مُسَلِّمًا عليه ، فقال : يا سجستاني! من أعلمكم بالبصرة؟ قال: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي ، والمازني[٣] أعلمنا بالنحو ، وهلال الرأي أفقهنا ، والشادكوني أعلمنا بالحديث ، وأنا رحمك الله أنسبُ إلى علم القرآن ، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط . قال : فقال لكاتبه: إذا كان غد فاجمعهم إليَّ، قال : فجمعنا ، قال : أيكم المازني؟ قال أبو عثمان : هأنذا يرحمك الله ، قال : هل يُجْزئ في الظاهري عتق عبد أعور ، فقال المازني: لست صاحب فقه ، أنا صاحبُ عربية ، فقال : يا زيادي ! كيف تكتب بين بعل وامرأة خالعها زوجها على الثلث من صداقها ، قال : ليس هذا من علمي، هذا من علم هلال الرأي ، قال : يا هلال! كم أسند ابن عون[٤] عن الحسن؟ قال : ليس هذا من علمي، هذا من علم الشادكوني ، قال : يا شادكوني! من قرأ : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ [هود : ٥] قال : ليس هذا من علمي ، هذا من علم أبي حاتم . فقال : يا أبا حاتم : كيف تكتب كتابا إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة ، وما أصابهم في الثمرة، وتسأله لهم النظر بالبصرة؟[٥] قال : لستُ رحمك الله صاحب بدعة وكتابة، أنا صاحب قرآن. قال : ما أقبح بالرجُلِ يَتَعاطى بالعلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنًّا واحدا حتى إذا سئل من غيره لم يجل فيه، ولم يمر . لكنَّ عالمنا بالكوفة «الكسائي»[٦] لو سُئل عن هذا كله لأجاب .

---

(١) ضربها الطلق : أتي وجع الولادة والوضع .

(٢) هو سهل بن محمد بن عثمان الخثعمي السجستاني : من كبار علماء اللغة والشعر ، من أهل البصرة ، كان المبرّد يلازم القراءة عليه ، له نيّف وثلاثون كتابا . منها : «المعمّرين» ، «النخلة» ، «ما تلحن فيه العامة» ، «الشجر والنبات» ، «الفرق بين الآدميين وكل ذي روح» ، وله شعر جيد توفي سنة ٢٤٨ هـ .

(٣) المازني : هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقية أبو عثمان المازني : أحد أئمة النحو واللغة ، له فيها باع طويل ، وله مصنفات كثيرة منها كتاب «العروض» توفي المازني سنة ٢٤٩ هـ .

(٤) ابن عون : هو عبد الله المزني بالولاء . عالم من حفاظ الحديث ، ثقة في كل شيء ، زاهد من أهل البصرة ، كان ابن عون كثير القراءة لكتاب الله، وكان يحفظ لسانه إذا غضب من رجل قال له : بارك الله فيك . توفي رحمه الله سنة ١٥١ هـ

(٥) الملاحظ في هذه الحادثة أنه سأل كل عالم في غير ما تخصص فيه من الفنون ، ليعرف هل هو صاحب فنٍّ واحد ، أم أنه صاحب علوم متعددة؟

(٦) الكسائي : هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي . إمام أهل اللغة والنحو والقراءة ، وهو مؤدب الرشيد، وابنه الأمين، له تصانيف كثيرة منها «معاني القرآن» قال الجاحظ : كان الكسائي أثيرا عند الخليفة حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين. توفي الكسائي سنة ١٨٩ هـ .

جزاء وفاقا :

نظر بعض العمال إلى رجل يصغي إلى سره ، فأمر بضربه وحبسه . فقال كاتب الحبس كيف أكتب قصته قال : أكتب ﴿ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر : ١٨] . ووجد أعمى مع عمياء ، فلم يدر الكاتب كيف يكتب قصتهما ، فقال صاحب الربع : اكتب ﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور : ٤٠] .

الذكاء يقبض على اللصوص :

قال الحسين بن الحسن بن أحمد بن يحيى الواثقي قال : كان جدي يتقلد شرطة بغداد للمكتفي بالله[١] ، فعمل اللصوص في أيامه عملة عظيمة ، فاجتمع التجار وتظلموا إلى المكتفي بالله ، فألزمه بإحضار اللصوص أو غرامة المال ، فتحيَّر حتى كان يركب وحده ، ويطوف بالليل والنهار إلى أن اجتاز يوما في زقاق خال في بعض أطراف بغداد ، فدخله فرأى على بعض أبواب دور الزقاق شوك سمكة كبيرة ، وعظم الصلب ، وتقدير ذلك أن تكون السمكة فيها مائة وعشرون رطلا ، فقال لواحد من أصحاب المسالخ : ويحك ما ترى عظام هذه السمكة ، كم تقدر ثمنها؟ قال : دينار ، فقال : أهل هذا الزقاق لا تحمل أحوالهم شراء مثل هذه السمكة ، لأنه زقاق[٢] بين الاحتلال إلى جانب الصحراء ، لا ينزله من معه شيء يخافه ، أو له مال ينفق منه مثل هذه النفقة ، وما هي إلا بليّة[٣] أن يُكشف عنها ، فاستبعد الرجل هذا ، وقال : هذا فكر بعيد ، فقال : اطلبوا امرأة من الدرب أكلمها ، فدق بابا غير الباب الذي عليه الشوك واستسقى ماء ، فخرجت عجوز ضعيفة ، فما زال يطلب شربة بعد شربة وهي تسقيهم ، والواثقي في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله ، وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك إلى أن قال لها : فهذه الدار من يسكنها؟ وأومأ إلى التي عليها عظام السمك ، فقالت : والله ما ندري على الحقيقة من ساكنها؟ إلا أن فيها خمسة شباب أعفار ، كأنهم تجار ، وقد نزلوا منذ شهر ، لا نراهم يخرجون نهارًا إلا كل مدَّة طويلة ، وإنا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعاً ، وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون ، ويشربون ، ويلعبون بالشطرنج والنرد ، ولهم صبي يخدمهم ، وإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم في الكرخ ، ويدَعُون الصبي في الدَّار يحفظها ، فإذا كان سَحَرًا بليل جاءوا ، ونحن نيام لا نعقل بهم وقت مجيئهم ، قال : فقطع الوالي استسقاء الماء[٤] ، ودخلت العجوز ، وقال للرجل : هذه صفة لصوص أم لا؟ قال : بلى ، فقال : توكلوا بحَوالي الدَّار ، ودعوني على بابها . قال : وأنفد في الحال ، واستدعى عشرة من الرجال ، وأدخلهم إلى سطوح الجيران ، ودقّ هو الباب ، فجاء الصبي ، ففتح ، فدخل والرجال معه ، فما فاتهم من القوم أحد ، وحملهم إلى مجلس الشرطة ، وقرَّرهم ، فكانوا هم أصحاب الخيانة بعينها ، ودلّوا على باقي أصحابهم ، فتبعهم الواثقي ، وكان يفتخر بهذه القصة .

كناية مستحسنة :

قال مؤلف الكتاب : وبلغنا عن بعض ولاة مصر ، أنه كان يلعب بالحمام . فتسابق هو وخادم له ،

---

(١) المكتفي بالله : هو أحد خلفاء الدولة العباسية وقاداتها . توفي سنة ٢٩٥ هـ .
(٢) الزقاق : هو الشارع الضيق .
(٣) بليّة : كارثة ومصيبة .
(٤) أي توقف عن الشرب .

فسبقه الخادم، فبعث الأمير إلى وزيره ليعلم الحال، فكره الوزير أن يكتب إليه أنك قد سُبِقتَ، ولم يدر كيف يُكَنِّي عن ذلك، فكان ثَمَّ كاتب فقال: إن رأيت أن تكتُب شعرا:

يـأيـهـا الـمـلـكُ الـذي جَـدُّه ... لـكـل جـد قـاهـر غـالـبُ
طـائـرك الـسَّـابـق لـكـنـه ... أتـى وفي خـدمـتـه حـاجـب

فاستحسن ذلك، وأمر له بجائزة، وكتب به.

كياسة ابن النسوي:

قال الشيخ: حدثني أبو محمد عبد الله بن عليٍّ المقري قال: كان حاجب ابن النسوي ذكيا، فسمع في بعض ليالي الشتاء صوت برادة، فأمر بكبس[١] الدار، فأخرجوا رجلا وامرأة، فقيل له: من أين علمت هذا؟ قال: في الشتاء لا يبرد الماء، وإنما هذه علامة بين هذين، وبه حدَّثني أبوحكيم إبراهيم بن دينار[٢] الفقيه. قال: حدثني أبي قال: جيء إلى ابن النسوي برجلين قد اتُّهما بالسرقة فأقامهما بين يديه، ثم قال: شربة ماء، فجاء بها فأخذ يشرب، ثم ألقاها من يده عمدًا، فوقعت، فانكسرت، فانزعج أحد الرجلين لانكسارها، وثبت الآخر، فقال للمنزعج: اذهب أنت، وقال للآخر: رُدَّ ما أخذت، فقيل له: من أين علمت؟ فقال: اللص قويّ القلب، لا ينزعج، وهذا المنزعج بريء، لأنه لو تحركت في البيت فأرة لأزعجته ومنعته أن يسرق.

كُلْ فانه حلال:

وبه ذكر بعض مشايخنا: أن رجلا من جيران ابن النسوي كان يصلي بالناس، دخل على ابن النسوي في شفاعة، وبين يديه صحن فيه قطائف[٣]، فقال له ابن النسوي: كُلْ. فامتنع، فقال: كأنني بك وأنت تقول: من أين لابن النسوي شيء حلال، ولكن كُلْ، فما أكلتُ قط أحل من هذا. فقال بحكم المداعبة[٤]: من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة؟ فقال: إن أخبرتك تأكل؟ قال: نعم، فقال: كنتُ مُنْذُ ليال في مثل هذا الوقت، فإذا الباب يدق. فقالت الجارية: من؟ فقالت: امرأة تستأذن، فأذِنَ لها، فدخلت، فأكبت[٥] على قدمي تقبلها، فقلت: ما حاجتك؟ قالت: لي زوج، ولي منه ابنتان لواحدة اثنتا عشرة سنة، وللأخرى أربع عشرة سنة، وقد تزوجَ عليَّ، وما يقربني، والأولاد يطلبونه، فيضيق صدري لأجلهم، وأريد أن يجعل لي ليلة، ولتلك ليلة، فقلت لها: ما صناعته؟ فقالت: خبَّاز، قلت: وأين دكانه؟ قالت: بالكرخ[٦]، ويعرف بفلان بن فلان. فقلت: وأنتِ بنتُ من؟ فقالت: بنت فلان، قلت فما اسم بناتك؟ قالت: فلانة وفلانة ... قلت: أنا أرده إليك إن شاء الله تعالى، فقالت: هذه شقة قد غزلتها أنا وابنتاي، وأنت في حِلٍّ منها. قلت: خذي شقتك وانصرفي. فمضت، فبعثت إليه اثنين، وقلت: أحضراه ولا تزعجاه. فأحضراه وقد طار عقله، فقلت: لا بأس عليك. إنما استدعيتك لأعطيك كر طعام، وعمالته يقيمه خبزًا للرَّحالة، فسكن روعه، وقال: ما أريد له عمالة، قلت: بلى. صديق مخسر عدوٌّ مبين[٧]. أنت مني وليَّ. كيف هي زوجتك فلانة؟ تلك بنت عمي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال: بكل خير، قلت: الله الله لا

---

[١] كبس الدار: اقتحامها والبحث فيها. [٢] إبراهيم بن دينار: هو فقيه من فقهاء البصرة رحمه الله تعالى. [٣] القطائف: معروفة.
[٤] المداعبة: المزاح والضحك. [٥] اكبت على قدمي: وقعت منكبة. [٦] الكرخ: اسم موضع.
[٧] صديق مخسر عدو مبين: حكمة من حكم العرب، ذلك أن الصديق، لا يصادق أخاه من أجل أن يأكل عرقه.

أحتاج أن أوصيك بها ، لا تضيق صدرها ، فقبّل يدي ، فقلت : امض إلى دكانك وإن كان لك حاجة ، فالموضع بحكمك فانصرَف . فلما كان في هذه الليلة جاءت المرأة فدخلت ، وهذا الصحن معها ، وأقسمت عليّ بالله أن لا أردها ، وقالت : قد جمعت شملي وشمل أولادي ، وهذا والله من ثمن غزلي، فبالله لا ترده، فقبلته ، فهل هو حلال؟ فقال : والله ما في الدنيا أحل من هذا . قال : فكُلْ ، فأكَلَ .

جـواب مستحسن :

كان لأحمد بن خصيب[1] وكيل له في ضِياعه ، فرمى إليه بخيانة ، فعزم على القبض عليه ، والإساءة إليه ، فهرب ، فكتب إليه أحمد يؤنسه ، ويحلف له على بطلان ما اتصل إليه ، ويأمره بالرجوع إلى عمله ، فكتب إليه :

أنا لك عبدٌ سامعٌ ومطيعْ ... وإني لِما تهوي إليك سريعْ
ولكن لي كفًّا أعيش بفضلها ... فما أشتري إلا بها وأبيعْ
أأجعلها تحتَ الرحا ثم أبتغي ... خلاصًا لها إني إذًا لرقيعْ

هجوتنا بالشعر ونهجوك بالشعير!..

حدثنا أبو سهل بن زياد قال : كان شاعر له ضويعة ، فهجا عاملها ، وبلغه ذلك ، فأمسك عنه ، فلما كان وقت الغلة ركب العامل إلى البيدر ، فقسمها ، وحَمل غلة الشاعر أصلا ، فجاء الشاعر إليه يشكُو ، فقال : يا هذا ! ليس بيننا ، هجوتنا بالشعر ، ونحن نهجوك بالشعير[2] ، فقد استوت الحال بيننا وبينك .

تصحيف بين الخليفة ومشرفه :

قال الشيخ : وحدثني ابن شبيب المشرف بالمحرز ، أنه لقيَ الخليفة المستنجد[3] ، فقال له الخليفة: أين شبيت؟ قال: عندك يا أمير المؤمنين. وأراد الخليفة تصحيف ابن شبيب، وأراد هو تصحيف عبدك.

كنت أصوب الرأي :

كان بعض العمال واقفا على رأس أمير ، فأخذه البول ، فخرج ، فلمَّا جاء قال : أين كنت؟ قال: أصوب الرأي ، يعني أنه لا رأي لحاقن .

ذكاء يكشف اللص :

حدثني بعض الشيوخ قال: سُرق من رجل خمسمائة دينار، فحَمَلَ المتهمين إلى الوالي، فقال الوالي : أنا ما أضرب أحدًا منكم ، بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم، فادخلوا ، فليمر[4] كل منكم يده عليه من أول الخيط إلى آخره، ويلف يده في كُمِّه، ويخرج، فإن الخيط يلف على يد الذي سرق ، وكان قد سوَّر الخيط بسخام ، فدخلوا ، فكلهم جرَّ يَدَهُ على الخيط في الظلمة إلا واحدا منهم، فلما خرجوا نظر إلى أيديهم مسودَّة، إلا واحدًا فألزمه بالمال ، فأقرَّ به[5] .

---

(١) أحمد بن خصيب : هو من كتاب الدولة العباسية ووزرائها . كتب في أيام الواثق والمتوكل ، ثم استوزره المنتصر والمستعين، ثم عزله ونفاه إلى إقريطس . وقد قال ابن طباطبا «كان أحمد مقصرا في صناعته ، مطعونا في عقله ، وكانت فيه مروءة وطيش فمن احتمله بلغ منه ما أراد» .

(٢) الشعير : حبوب معروفة وكانت هي غلة الشاعر . فكان هذا بذاك .

(٣) المستنجد : هو الخليفة العباسي الذي أذن للإمام ابن الجوزي مؤلف هذا الكتاب في الجلوس في جامع القصر للوعظ والإرشاد والتدريس . انظر المنتظم ج١٠ ص١٩٤ .

(٤) ليمر : أي ليضع

(٥) وهذا في غاية الذكاء ، ذلك أن الوالي علم أن السارق سيحاول قدر جهده أن ينهرب من الاعتراف ، ثم إنه عرف أن السارق لن يضع يده على هذا الحبل . وهذا هو الذي حدث ، ولذلك ألزمه بالمال ، وقرّره فاعترف وأقر .

obeikandl.com

الباب الثاني عشر : في سياق المنقول من ذلك عن القضاة

فهم القضية فولاّه البصرة :

حدثنا الشعبي[١] قال : جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقالت : أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجلاً سبقَهُ بعمل أو عمل مثل عمله ، يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم النهار حتى يمسي ، ثم أخذها الحياء فقالت : أقلني يا أمير المؤمنين ، فقال : جزاك الله خيرًا ، فقد أحسنتِ الثناء قد أقلتك . فلمَّا ولَّتْ قال كعب بن سور[٢] : يا أمير المؤمنين : لقد أبلغتْ إليك في الشكوى، فقال : ما اشتكت؟ ، قال : زوجها . قال : عليَّ بالمرأة وزوجِهَا ، فجيء بهما ، فقال لكعب: اقض بينهما - قال : أأقضي وأنت شاهد! قال : إنك قد فطنت ما لم أفطن إليه. قال: فإن الله يقول: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء : ٣] صُمْ ثلاثة أيام ، وأفطر عندها يوما، وقم ثلاث ليال وبِتْ عندها ليلة ، فقال عمر: لهذا أعجب إليَّ من الأول ، فَرَحَّلَهُ بدابة، وبعثه قاضياً لأهل البصرة .

قاض أدهى من الثعلب :

أخبرنا مجالد بن سعيد[٣] قال : قلت للشعبي : يقال في المثل : إن شريحا[٤] أدهى من الثعلب وأحيل. فما هذا؟ فقال لي في ذلك : إن شريحا خرج أيام الطاعون إلى النجف ، وكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب ، فيقف تجاهه ، فيحاكيه ، ويخيل بين يديه ، فيشغله عن صلاته ، فلمَّا طال ذلك عليه ، نزع قميصه ، فجعله على قصبة ، وأخرج كُمَيْهِ ، وجعل قلنسوته وعمامته عليه ، فأقبل الثعلب ، فوقف على عادته ، فأتى شريحٌ من خلْفِه ، فأخذه بغتة ، فلذلك يقال : هو أدهى من الثعلب وأحيل.

لا يغرنك بكاء المرأة !..

أخبرنا مجالد ، عن الشعبي قال : شهدت شريحا ، وقد جاءته امرأة تخاصم رجلا، فأرسلت عينيها فبكت ، فقلت : يا أبا أمية ، ما أظنُّ هذه البائسة إلا مظلومة . فقال يا شعبي : إن إخوة يوسف ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف : ١٦] .

ما كذبتك في الوصف ..

حدثنا شيخ من قريش قال : عرض شريح ناقة يبيعُهَا ، فقال له المشتري : يا أبا أمية! كيف لبنها؟ قال: احلب في أي إناء شئت - قال : كيف الوطء[٥]؟ قال: افرش ونم . قال:

---

(١) الشعبي هو : عامر بن شراحيل الشعبي ، تابعي فاضل ، وفقيه شاعر ، يضرب به المثل في الحفظ ولاّه عمر بن العزيز القضاء ، مات رحمه الله فجأة في الكوفة سنة ١٠٣ هـ .

(٢) هو أحد رجال الصحابة ، ولاّه عمر القضاء . وسوف تأتي القصة في باب قادم بصيغة أخرى وهي مذكورة في كتاب الكامل للمبرد ٢/ ٢٦٢، ومحاضرات الأدباء ١/ ٥٧ .

(٣) مجالد بن سعيد : هو أحد رواة الحديث النبوي الشريف ، سكن الكوفة ، واختلف علماء الأمة في توثيقه . قال عنه الإمام البخاري : هو صدوق. توفي مجالد سنة ١٤٤ هـ .

(٤) هو شريح بن الحارث الكندي . تابعي ثقة . وقال البعض : له صحبة . وهو من أشهر قضاة الإسلام ، كان فقيها ، مزاحا ، مداعبًا ، ذا فطنة وذكاء ، ولي شريح قضاء الكوفة . وتوفي سنة ٧٨ هـ .

(٥) الوطء . في بعض النسخ الوطاء : وهو كل ما يكون تحت المرء من الفراش .

كيف نجاؤها[١]؟ قال : إذا رأيتها في الإبل عَرَفْتَ مكانها على سوطك . فقال : كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت. فاشتراها ، فلم يرَ شيئا مما وصف ، فرجع إليه فقال : لم أر فيها شيئًا مما وصفتها به . قال : ما كذبتك . قال : أقلني[٢] . قال : نعم .

تركته يأمر وينهي ..

قال القرشي : وحدثني أبو القاسم السلمي عن غير واحد من أشياخه قال : إن شريحاً خرج من عند زياد[٣] وهو مريض ، فأرسل إليه مسروق بن الأجدع[٤] رسولا يسأله ، كيف وجدت الأمير؟ قال : تركته يأمر وينهي . قال : يأمر بالوصية ، وينهى عن النياحة .

اقض بيننا ..

قال الشيخ : وقد روينا أن عدي بن أرطأة أتى شريحًا وهو في مجلس القضاء، فقال لشريح : أين أنت؟ قال : بينك وبين الحائط . قال : اسمع مني . قال : لهذا جلست مجلسي . قال : إني رجل من أهل الشام. قال: الحبيبُ القريبُ . قال : وتزوجت امرأة من قومي . قال : بارك الله لك بالرفاء والبنين . قال: وشرطتُ لأهلها أن لا أخرجها . قال : الشرط أملك . قال : وأريد الخروج . قال : في حفظ الله . قال : اقض بيننا . قال : قد فعلت[٥] .

فراسة نادرة ..

حدثنا صالح بن أحمد العجلي قال : حدثني أبي قال : دخل على إياس بن معاوية ثلاث نسوة، فقال : أما واحدة فمرضع ، والأخرى بِكْرٌ[٦] ، والثالثة ثيب[٧] ، فقيل له : بم علمت؟ قال : أما المرضع فإنها لما قعدت أمسكت ثديها بيدها ، وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد ، وأما الثيب فلما دخلت رمقت[٨] بعينها يمينا وشمالاً .

لا تقربني أيها الخائن ! ..

أخبرنا أبو الحسن القيسي قال : استودع رجل رجلا من أبناء الناس مالا ، وكان أمينا لا بأس به ، وخرج المستودعُ إلى مكة ، فلما رجع طلبه فجحده ، فأتى إياسًا[٩] ، فأخبره ، فقال له إياس : أَعَلِمَ أنك أتيتني . قال : لا . قال : فنازَعْتَهُ عِنْدَ أحد؟ قال : لا . لم يعلم أحد بهذا . قال : فانصرفْ ، واكتُمْ أمرك ، ثم عُدْ إليَّ بعد يومين ، فمضَى الرجلُ ، فدعا إياسٌ أمينه ذلك، فقال : قد حضر مال كثير أريد أن أسلمه إليك، أفحصينٌ منزلك؟ قال : نعم . قال : فأعِدّ موضعًا للمال ، وقومًا يحملونه ، وعاد الرجل إلى إياس ، فقال له : انطلق إلى صاحبك ، فاطلب المال ، فإن أعطاك فذاك، وإن جحدك[١٠] فقل له : إني أخبر القاضي ، وشكوت إليه ، وأخبرته ما جرى ، فدفع إليه ماله ، فرجع الرجل إلى إياس ، فقال : قد أعطاني المال ، وجاء الأمين إلى إياس ، فزبره[١١] وانتهره ، وقال : لا تقربني يا خائن .

---

(١) نجاؤها : سرعتها . (٢) أقلني : أي أفسخ البيع بيننا والخبر في كتاب أخبار الظراف لابن الجوزي ص ٢٥ .

(٣) زياد : هو زياد بن أبيه أحد الدهاة ، وواحد من القادة العظماء ، تبناه عبيد الثقفي . ولد في الطائف وأدرك زمن النبي الكريم ولكنه لم يره ، أسلم زياد في عهد أبي بكر ولاّه معاوية البصرة والكوفة وبقي فيها حتى مات سنة ٥٣ هـ .

(٤) مسروق بن الأجدع : من التابعين الثقات ، كان عالما من أهل اليمن ، وكان أعلم بالفتيا من شريح ، سكن ابن الأجدع الكوفة ومات بها سنة ٦٣ هـ .

(٥) الخبر في مجمع الأمثال ٢ / ٧٣ ، والعقد الفريد ٣ / ١٠ .

(٦) البكر : هي الفتاة التي لم تتزوج . (٧) الثَّيب : هي المتزوجة . (٨) رمقت : نظرت .

(٩) إياس بن معاوية : أحد القضاة الأذكياء . (١٠) جحدك : امتنع عن إعطائك المال . (١١) زبَرَهُ : زجره .

دابة تحت الأرض ..

وذكر الجاحظ أن إياس بن معاوية نظر إلى صدع في أرض ، فقال : تحت هذا دابة ، فنظروا فإذا حيَّةٌ ، فقيل له : من أين علمت؟ قال : رأيت ما بين الآجرتين نديًّا من جميع تلك الرحبة ، فعلمت أن تحتها شيئًا يتنفس .

من فراسة القضاة ..

قال الجاحظ[1] : وحج إياس ، فسمع نباح كلب ، فقال : هذا كلبٌ مشدود ، ثم سمع نباحه ، فقال : قد أُرسِلَ ، فانتهزوا إلى الماء ، فسألوهم ، فكان كما قال ، فقيل له : من أين علمت؟ قال : كان نباحه وهو موثق يُسمَعُ من مكان واحد ، ثم سَمِعْتُهُ يقرب مرَّة ، ويبعد أخرى .

ومرَّ إياس ليلة بماء فقال : أسمع صوت كلب غريب ، فقيل له : كيف عرفته؟ . قال : بخضوع صوته، وشدة نباح الآخرين ، فسألوا ؛ فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه .

حدثنا أبو سهل قال : لم يشرك في القضاء بين أحد قط إلا بين عبد الله بن الحسن العنبري ، وبين عمر بن عامر ، على قضاء البصرة . وكانا يجتمعان جميعا في المجلس ، وينظران جميعًا بين الناس . قال : فتقدم إليهما قوم في جارية لا تثيب . فقال فيها عمر بن عامر : هذه ضئيلة[2] . وقال : عبيد الله بن الحسن : كل ما خالف عليه الخِلْقة فهو عيب .

خان فسقطت شهادته ..

أخبرنا يزيد بن هارون[3] قال : تقلَّد القضاء في واسط رجل ثقة ، كثير الحديث ، فجاء رجلٌ فاستودع بعض الشهود كيسا مختومًا ذكر أن فيه ألف دينار ، فلما حصل الكيس عند الشاهد ، وطالت غيبة الرجُل ، قَدَّر أنه قد هلك ، فهمَّ بإنفاق المال ، ثم دبر وفتق الكيس من أسفله ، وأخذ الدنانير، وجعل مكانها دراهم، وأعاد الخياطة كما كانت . وقُدِّر أن الرجل وافى ، وطلب الشاهد بوديعته ، فأعطاه الكيس بختمه ، فلما حصل في منزله فضَّ ختمه ، فصادف في الكيس دراهم ، فرجع إلى الشاهد ، فقال له : عافاك الله ، اردد عليَّ مالي ، فإني استودعتك دنانير ، والذي وجدت دراهم مكانها، فأنكره ذلك ، واستعدى عليه القاضي المقدَّمُ ذكره ، فأمر بإحضار الشاهد مع خصمه ، فلما حضرا ، سأل الحاكم : منذكم أودعته هذا الكيس؟ قال : منذ خمس عشرة سنة ، فأخذ القاضي الدراهم وقرأ سككها[4] ، فإذا هي دراهم منها ما قد ضرب منذ سنتين وثلاث ونحوها ، فأمره أن يدفع الدنانير إليه ، فدفعها إليه ، وأسقطه[5] ، وقال له : يا خائن . ونادى مناديه : ألا إن فلان بن فلان القاضي قد أسقط فلان ابن فلان الشاهد ، فاعلموا ذلك ، ولا يغترن به أحد بعد اليوم ، فباع الشاهد أملاكه في واسط، وخرج عنها هاربًا ، فلم يعلم له خبر ، ولا أحس منه أثر.

---

(١) الجاحظ : هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الملقب بالجاحظ والخدقي ، لجحوظ عينيه وكبر حدقته ، ولد بالبصرة سنة ١٥٠ هـ كما حدّث بذلك عن نفسه ، كان معتزلي المذهب ، له باع طويل في علوم العربية وغيرها . سقطت عليه مجلدات الكتب فمات وكان ذلك سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) ضئيلة : نحيفة الجثة ضعيفة .

(٣) هو يزيد بن هارون الواسطي . حافظ من الثقات ، غزير العلم لا سيما علم الحديث . قيل إنه كان يحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بأسانيدها- كفَّ بصره في آخر حياته وتوفي بواسط سنة ٢٠٦ هـ .

(٤) قرأ سككها : تاريخ صناعتها .

(٥) أسقطه : أي أسقط شهادته فلا تُقبل بعد اليوم .

أتراه بلغ موضع الشجرة ؟

أخبرنا أبو محمد القرشي قال : استودع رجلا مالا ، ثم طلبه ، فجحده، خاصمه إلى إياس ابن معاوية ، فقال الطالب : إني دفعت المال إليه ، قال : ومن حضر؟ قال : دفعته في مكان كذا وكذا ولم يحضرنا أحد ، قال : فأي شيء في ذلك الموضع؟ قال : شجرة . قال : فانطلق إلى ذلك الموضع ، وانظر الشجرة ، فلعل الله تعالى يوضح لك هناك ما يتبين[1] به حقك ، لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت ، فتتذكر إذا رأيت الشجرة ، فمضى الرجل قال إياس للمطلوب : اجلس حتى يرجع خصمك ، فجلس ، وإياس يقضي وينظر إليه ساعة ، ثم قال له : يا هذا! أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذَكَرَ؟ قال : لا . قال : يا عدو الله إنك لخائن . قال : أقلني أقالك الله ، فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل ، فقال له إياس : قد أقرَّ لك بحقك فخذه .

قضية مشابهة لسابقتها ..

حدثنا ابن السماك[2] قال : اختصم إلى قاضي القضاة الشامي يومًا رجلان وهو بجامع المنصور ، فقال أحدهما : إني أسلمت إلى هذا عشرة دنانير . فقال للآخر : ما تقول ؟ قال : ما أسلم إليَّ شيئا . فقال للطالب: هل لك بيّنةٌ؟ قال : لا . قال : ولا سلمتها إليه بعين أحد؟ قال: لا . لم يكن هناك إلا الله عز وجل . قال : فأين سلمتها إليه؟ قال : بمسجد الكرخ . فقال للمطلوب : أتحلف؟ قال : نعم . قال للطالب : قم إلى ذلك المسجد الذي سلمتها إليه فيه ، وائتني بورقة من مُصْحَف لأحلفه بها ، فمضى الرجل ، واعتقل القاضي الغريم ، فلما مضت ساعة التفت القاضي إليه ، فقال : تظنُّ أنه قد بلغ ذلك المسجد؟ فقال : لا . ما بلغ إليه، فكان هذا كالإقرار، فألزمه بالذهب ، فأقرَّ به .

من أدب القضاة ..

حدثنا أبو العيناء[3] قال : ما رأيت في الدنيا أقوم على أدب من ابن أبي دواد[4] ما خرجت من عنده يوما ، فقال يا غلام خذ بيده ، بل كان يقول : يا غلام! اخرج معه . فكنت أفتقد هذه الكلمة عليه ، فلا يخل بها ، ولا أسمعها من غيره .

لستُ بأصغر منهم ..

ذكر أبو علي عيسى بن محمد الطوماري أنه سمع أبا حَازم القاضي[5] : سمعت أبي يقول : ولِيَ يحيى بن أكثم[6] قضاء البصرة ، وسنُّهُ عشرون أو نحوها ، فقال له أَحَدهم : كم سِنُو القاضي؟ قال: فعلم أنه قد

---

(١) ما يتبين : أي ما يتضح ويظهر .

(٢) ابن السماك : لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر والمراجع .

(٣) أبو العيناء : هو : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار . ويقال له أيضا : ابن الأنباري ، كفَّ بصره في آخر حياته وتوفي سنة ٢٨٣ هـ .

(٤) ابن أبي دواد هو : أحمد بن أبي دواد الإيادي . أحد القضاة العظماء من المعتزلة وهو رأس فتنة القول «بخلق القرآن» وكان شديد الدهاء . اتصل بالخلفاء . توفي سنة ٢٤٠ هـ

(٥) أبو حازم القاضي : هو : عبد الحميد بن عبد العزيز . أحد عظماء القضاة ، كان من أهل الورع والتقوى ، ولد في بغداد، وتوفي بها سنة ٢٩٢هـ

(٦) هو يحيى بن أكثم . الذي يتصل نسبه بأكثم بن صيفي ، كان من نبهاء القضاء وأذكيائهم ولاه المأمون البصرة. ودافع عن الإمام أحمد بن حنبل ، مات يحيى بالريذة سنة ٢٤٢ هـ .

استُصْغِرَ. فقال له: أنا أكبر من عتاب بن أسيْد الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على أهل مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضيًا على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضيا على أهل البصرة.

نفذ الحكم قبل وصول الكتاب ..

حدثنا ابن الليث قال: باع رجل من أهل خراسان جمالا بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر، فمطله [1] بثمنها، وحبسه، فطال ذلك على الرجل، فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث [2]، فشاوره، فقال: اذهب إليه فقل له: أعطني ألف درهم، وأحيل عليك بالمال الباقي، وأخرج إلى خراسان، فإذا فعل هذا، فأتني حتى أشاور عليك، ففعل الرجل، فأتى مرزبان، فأعطاه ألف درهم، فرجع إلى الرجل، فأخبره، فقال: عُدْ إليه، فقل له: إذا ركبت غدًا فطريقك على القاضي، فأحضر، وأوكل رجلا بقبض المال واخرُجْ، فإذا جلس إلى القاضي فادّع عليه بما بقي لك من المال، ففعل ذلك، فحبسه القاضي، فأخرجته أم جعفر، وقالت لهارون: قاضيك حبس وكيلي، فَمُرْهُ لا ينظر في الحكم، فأمر لها بالكتاب، وبلغ حفصا الخبر، فقال للرجل: أحضر لي شهودًا حتى أسجل لك على المجوسي قبل ورود كتاب أمير المؤمنين، فحضر، فقال للرجل: مكانك. فلما فرغ من السجل، أخذ الكتاب، فقرأه، وقال للخادم: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وأخبِرْه أن كتابهُ ورد وقد أنفذت الحكم.

إلى من توصي بي ؟

حدثنا المدائني قال: كان المطلب بن محمد الحنظبي على قضاء مكة، وكان عنده امرأة قد مات عندها أربع أزواج، فمرض مرض الموت، فجلست عند رأسه تبكي، وقالت: إلى من توصي [3] بي؟ قال: إلى السادس الشقي.

احلف للشيطان كما حلفت لي ! ..

قال المؤلف: وبلغنا أن رجلا جاء إلى أبي حازم فقال له: إن الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت زوجتك، فيشككني. فقال له: أوليس قد طلقتها؟ قال: لا. ألم تأتني أمس فطلقتها عندي؟ فقال: والله ما جئتك إلا اليوم، ولا طلقتها بوجه من الوجوه. قال: فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية.

سرٌ بين القاضي والجارية ..

قال أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي: حدثني من أثق به، أنَّ قاضيا من القضاة سألته زوجته أن يبتاع لها جارية، فتقدم إلى النخاسين [4] بذلك، فحملوا إليه عدة جوار، فاستحسن إحداهنَّ، فأشار على زوجته بها قال: أبتاعها لكِ من مالي؟ فقالت: مالي إليه حاجة، ولكن خذ هذه الدنانير، فابتعها لي بها، وأعطته مائة دينار، فأخذها، فعزلها [5] في مكان وخرج، فاشتراها

---

(١) لمطله: أي ماطله وادّعى عليه عدم أخذها منه.

(٢) هو أبو عمرو النخعي حفص بن غياث، محدث الكوفة، وفقيهها. تولى القضاء ببغداد ثم حوّله الرشيد إلى الكوفة، وكان سخيا جوادًا، وكان يقول: من لم يأكل من طعامي لا أحدثه. توفي ابن غياث سنة ١٩٤ هـ.

(٣) أي إلى من تتركني وتدعني. (٤) النخاسين: بسوق كانت تباع فيه الجواري. (٥) لعزلها: جعلها في مكان على حدة.

لنفسه، وأعطى ثمنها من ماله، وكتب عهدتها باسمه ، وأعلم الجارية بذلك سرًّا واستكتمها ، فكانت زوجته تستخدمها، فإذا أصاب خلوة من زوجته، وطئ الجارية، فاتفق يوما أنها صادفته فوقها ، فقالت له : ما هذا يا شيخ سوء زانٍ . أما تتقي الله؟ أما أنت من قضاة المسلمين؟ فقال : أمَّا الشيخ فَنَعمْ ، وأما الزنا فمعاذ الله ، وأخرج عهدة الجارية باسمه ، وعرفها الحيلة ، وأخرج دنانيرها بختمها، فعرفت صحة ذلك ، ولم تزل تداريه حتى باعها .

تصنّع فلم تقبل شهادته :

أخبرنا التنوخي ، عن أبيه قال : سمعت قاضي القضاة بالسائب يقول : كان ببلدنا همدان رجل مستور، فأحب القاضي قبول قوله ، فسأل عنه ، فزُكيَ له سرًا وجهرًا ، فراسله في حضور المجلس ليقبل قوله ، وأمر بأخذ خطه في كتب ليحضر . فيقيم الشهادة فيها ، وجلس القاضي ، وحضر الرجل مع الشهود ، فلما أراد إقامة الشهادة لم يقبله القاضي، فسُئل القاضي عن سبب ذلك ، فقال : انكشف لي أنه مُراءٍ ، فلم يسعني قبول قوله ، فقيل له : وكيف؟ قال: كان يدخل إليَّ في كل يوم فأعد خطواته من حيث تقع عيني عليه من داري إلى مجلسي ، فلما دعوته اليوم للشهادة جاء ، فعددت خطاه من ذلك المكان ، فإذا هي قد زادت خطوتين أو ثلاثا ، فعلمت أنه متصنع ، فلم أقبله .

حسن التخلص ..

قال أبو بكر الصولي[١]: حدثنا أبو العيناء قال : كان الأفشين[٢] يحسد أبا دلف[٣]، ويبغضه للفروسية والشجاعة ، فاحتال عليه[٤] حتى شهد عليه بخيانة وقتل ، فأحضر السيَّاف ، فبلغ ابن أبي دواد[٥]، فركب مع من حضر من عدوله ، فدخل على الأفشين ، ثم قال : إني رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أمرك أن لا تحدث في القاسم بن عيسى حدَثًا حتى تحمله إليه مسلَّمًا، ثم التفت إلى العدول فقال : اشهدوا أني قد أديتُ الرسالة عن أمير المؤمنين إليه ، فلم يقدم الأفشين عليه ، وسار ابن أبي دواد إلى المعتصم[٦]، فقال: يا أمير المؤمنين ، لقد أديت عنك رسالة لم تقلها لي ما اعتد بعمل خير خير منها، وإني لأرجو لك الجنة بها، ثم أخبره الخبر ، فصوَّب رأيه ، ووجَهَ من أحضر القاسم ، فأطلقه ، ووهب له ، وعنَّف الأفشين فيما عزم عليه .

---

(١) هو : محمد بن يحيى بن عبد الله أبو بكر الصولي . من أكابر علماء الأدب . له تصانيف منها . أخبار الشعراء والمحدثين، وأدب الكاتب ، مات سنة ٣٣٥ هـ .

(٢) الأفشين . قائد تركي قاد جيوش المعتصم في غزوات بلاد الروم [٢٢٦هـ-٨٤١] المنجد .

(٣) أبو دلف هو : القاسم بن عيسى بن إدريس - أحد بني عجل بن لجيم . من شعراء الدولة العباسية ، قال عنه صاحب الأغاني : أبو دلف حسن الأدب ، له جودة الشعر ، وله أشعار جياد صنعة كثيرة "انظر شخصيات الأغاني" .

(٤) احتال عليه : قام بعمل حيلة ليوقعه في مأزق .

(٥) ابن أبي دواد تقدمت ترجمته .

(٦) المعتصم هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور . المعتصم بالله . الخليفة العباسي ، بنى مدينة سامراء ، وفتح عمورية من بلاد الروم الشرقية ، وصُف بأنه كان لين العريكة ، قوي الساعد ، مات سنة ٢٢٧ هـ بسامراء.

رد شهادة الفرزدق :

قال ابن قتيبة : شهد الفرزدق[١] عند بعض القضاة ، فقال : أجزنا شهادة أبي فراس وزيدونًا، فقيل له حين انصرف : والله ما أجاز شهادتك .

أتريد أعدل من هذين ؟

تقدم رجلان إلى أبي ضمضم القاضي ، فادَّعَى أحدهما على الآخر طنبورًا ، وأنكر المدَّعى عليه ، فقال المدَّعي : لي بينة ، فجاء برجلين فشهدا ، فقال المدَّعي عليه : أيها القاضي . سلهما عن صناعتهما ، فقال : أنا نَبَّاذ ، وقال الآخر : هو قوَّاد . فَالتفتَ القاضي إلى المدَّعي عليه ، فقال له : أتريد على طنبور أعدل من هذين؟ قم فأعطه طنبورًا .

نزل حكما فأخذ القضية :

اختصم رجلان في شاة ، وكل واحد منهما قد أخذ بأذنها ، فجاء رجل ، فقالا : قد رضينا بحكمك ، لا نرجع فيما تحكم به ، فحلفا . فقال : خلياها . فخلياها ، فأخذ بأذنها، وساقَها ، فجعلا ينظران إليه ، ولا يقدران على كلامه .

حساسية منصب القضاء ..

قال المؤلف : بلغنا عن أبي عمر القاضي أنه قلَّد بعض الأعيان القضاء ، فذكر عنده بأشياء لا تليق بالقضاء ، فأراد صرفه فعوتب على ذلك ، وقيل له : إن صح عندك ما رُميَ به فاعزله ، فقال : ما صح عندي ، ولا بد من صرفه ، قيل : ولم ذاك؟ قال : أليس قد احتمل عرضه أن يُقال فيه مثل هذا؟ وتشبهت صورته بصورة من إذا رمى بهذا يغار أن يشك فيه ، والقضاء أرق من هذا فصرفه .

جواب مقنع ..

دخل أحمد بن أبي دواد على الواثق[٢] ، فقال له : كان عندي الساعة محمد بن عبد الملك الزيات، فذكرك بكل قبيح[٣] ، فقال : الحمد لله – يا أمير المؤمنين – الذي أحوجه إلى الكذب عن قول الصدق عليَّ، ورغبتي عنه .

ما اسمك ؟ ..

تقدم رجل إلى بعض القضاة ليشهد في كتاب مهر . فقال له القاضي : ما اسمك ؟ قال : المسيب . قال: اليوم لا[٤] .

---

(١) الفرزدق هو : همام بن غالب بن صعصعة بن عقال بن محمد من بني تميم أحد شعراء الدولة الأموية . غلب عليه لقب الفرزدق ومعناه الرغيف الضخم الذي تخففه النساء للفتوت ، وقيل بل هو القطعة من العجين ، لأنه كان غليظا جهما . ولكنه كان آية في الشعر والفصاحة . وقد ترجم له صاحب الأغاني والإمام ابن كثير في البداية والنهاية «انظر شخصيات كتاب الأغاني» .

(٢) الواثق هو : هارون بن محمد بن هارون الرشيد أحد خلفاء الدولة العباسية امتحن الناس في خلق القرآن ، وسجن جماعة منهم ، وكان يذهب مذهب المأمون مات سنة ٢٣٢ هـ .

(٣) ذكرك بكل قبيح . أي سبَّك بكل أنواع الشتم واللعن .

(٤) في هذه الحادثة ما يدل على الفطنة من جهة القاضي . حيث إنه مازح الرجل ، وقال له ما دمت قد أصبحت من أهل الشهادة ، فعليك بأن تكون مالكا لنفسك غير تارك لها تسير في هواها فأنت من اليوم لست بمسيب .

obeikandl.com

الباب الثالث عشر : في سياق المنقول من ذلك عن علماء هذه الأمة وفقهائها

متى عميت يا أبا عمرو ؟

فمن المنقول عن الشعبي ، قال مجاهد ، دخل الشعبي الحمام ، فرأى داود الأزدي [١] بلا مئزر ، فغمض عينيه ، فقال داود : متى عميت يا أبا عمرو؟ قال : منذ هتَكَ الله سترك .

من فطنة الشعبي ..

ودخل الشعبي على عبد الملك بن مروان ، قال : فجعل يلقمني بيده ، ويقول : يا شعبي لحديثك أشهى إليَّ من الماء البارد ، ثم قال : كم عطاءك؟ فقلت : ألفي درهم فجعل يسار أهل الشام ، ويقول : لحن [٢] العراقي ، ثم قال : كم عطاؤك؟ لأرد قولي فيغلطني ، فقلت : ألفا درهم ، فقال : ألم تقل ألفي درهم ؟ فقلت : لحنتَ يا أمير المؤمنين فلحنتُ ، لأني كرهتُ أن تكون راجلا ، وأكون فارسا . فقال : صدقت ، واستحيا .

مع ابراهيم النخعي ..

ومن المنقول عن إبراهيم [٣] النخعي . قال الشيخ : حدثنا المبارك بن علي قال : حدثنا جرير [٤] عن مغيرة قال : كان إبراهيم إذا طلبه إنسان لا يحب أن يلقاه، خرجت الخادم فقالت: اطلبوه في المسجد .

كيف أعتذر إليه ؟

قال القرشي : حدثني الأعمش [٥] عن إبراهيم قال : أتاه رجل فقال : إني ذكرتُ رجلا بشيء ، فبلغَهُ عني ، فكيف لي أن أعتذر إليه؟ قال : تقول والله إنَّ الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء .

لا ندري أين هو ؟

وقال إبراهيم بن هاشم عن رجل قد سماه قال : كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم يقول : إن سئلتم عني، فقولوا : لا ندري أين هو ، فإنكم لا تدرون أين أكون؟

من ذكاء الأعمش :

ومن المنقول عن الأعمش ، أخبرنا جرير قال : جئنا الأعمش يوما ، فوجدناه قاعدًا في ناحية ،

---

(١) هو داود بن عبد الله الأودي : ثقة ، قال عنه الساجي : ليس به بأس . وقال عنه أحمد بن حنبل : ثقة ، روى داود عن الشعبي وغيره .

(٢) لحن : أي أخطأ ، والعراقي هو الشعبي .

(٣) إبراهيم النخعي : هو فقيه العراق وعالم عصره ، كان إماما مجتهدًا ، وهو من كبار التابعين الحفاظ توفي سنة ٩٦ هـ

(٤) جرير هو ابن عبد الحميد الضبي ثقة صدوق ، كان المحدثون يرحلون إليه توفي سنة ١٨٨ هـ .

(٥) الأعمش هو : سليمان بن مهران أبو محمد ، ولد بالكوفة ونشأ فيها ، كان من علماء عصره بالحديث والقرآن والمواريث . قال عنه الذهبي كان رأسًا في العلم النافع وهو من التابعين . توفي الأعمش سنة ١٤٨ هـ .

فجلسنا في ناحية أخرى ، وفي الموضع خليج[١] من ماء المطر ، فجاء رجل عليه سواد ، فلما بصرَ بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال : قم عبّرني هذا الخليج ، وجذب بيده ، فأقامه وركبه وقال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٣] . فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج ، ثم رمى به وقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٩] ثم خرج وترك المسود يتخبط في الماء .

لو صليت معنا الفجر ..

حدثنا أبو بكر بن عياش[٢] قال : كان الأعمش إذا صلى الفجر جاءه القرّاء ، فقرءوا عليه ، وكان أبو حصين إمامهم . فقال الأعمش يوما : إن أبا حصين يتعلم القراءة منّا لا يقوم من مجلسه كل يوم ، حتى يفرغ ويتعلم بغير شكر ، ثم قال لرجل ممن يقرأ عليه : إن أبا حصين يكثر أن يقرأ بالصافات في صلاة الفجر ، فإذا كان غدًا فاقرأ عليّ الصافات ، واهمز الحوت ، فلما كان من الغد قرأ عليه الرجل الصافات ، وهمز الحوت ، ولم يأخذ عليه الأعمش ، فلمّا كان بعد يومين أو ثلاثة قرأ أبو حصين بالصافات في الفجر ، فلما بلغ الحوت همز ، فلما فرغوا من صلاتهم ، ورجع الأعمش إلى مجلسه ، دخل عليه بعض إخوانه ، فقال له الأعمش : يأبافلان . لو صليت معنا الفجر ، لعلمت ما لقيَ الحوت من المحراب ، فعلم أبو الحصين ما الذي فعل به؟ فأمر بالأعمش ، فَسُحِبَ حتى أخرج من المسجد قال : وكان أبو حصين عظيم القدر في قومه من بني أسد .

ارجع بالنصف الآخر ..

أخبرنا أبو الحسن المدايني قال : جاء رجل إلى الأعمش ، فقال : يا أبا محمد ! اكتريت حمارًا بنصف درهم ، فأتيتك لأسألك عن حديثٍ كذا وكذا ، فقال : اكتر بالنصف وارجع .

مع الإمام الأعظم ..

ومن المنقول عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه . أخبرنا ابن المبارك[٣] قال : رأيت أباحنيفة في طريق مكة ، وشُويَ لهم فصيل سمين ، فاشتهوا أن يأكلوه بخَلٍ ، فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل ، فتحيروا ، فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السُّفْرةَ ، وسكب الخلَّ على ذلك الموضع ، فأكلوا الشواء بالخلِّ ، فقالوا له : تحسنُ كلَّ شيء . فقال : عليكم بالشكر فإنَّ هذا شيء أُلهمتُه لكم . فضلا من الله عليكم .

فطنة أبي حنيفة ..

حدثنا محمد بن الحسن[٤] قال : دخل اللصوص على رجل ، فأخذوا متاعه ، واستحلفوه بالطلاق أن لا يُعْلِمَ أحدًا . قال : فأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه ، وليس يقدر أن يتكلم من أجل

---

(١) الخليج : موضع منخفض من الأرض اجتمعت فيه المياه .

(٢) هو أبو بكر بن عياش الأسدي . من رواة القراءات القرآنية عن عاصم بن أبي النجود وهو من الحفّاظ ، العبّاد ، الأتقياء ذكره ابن حبّان في الثقات .

(٣) ابن المبارك . هو العلم العلاّمة ، الزاهد البصير عبد الله بن المبارك ، عالم السنّة وتقيٌّ مجاهد .

(٤) محمد بن الحسن . هو تلميذ من تلامذة الإمام أبي حنيفة ثم صاحب من أصحابه العارفين بمذهبه ، والحديث ، والأصول .

يمينه، فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة ، فقال له أبو حنيفة : أحضرني إمام حيِّك ، والمؤذن ، والمستورين منهم، فأحضره إياهم فقال لهم أبو حنيفة : هل تحبون أن يردَّ الله على هذا متاعه؟ قالوا : نعم . قال : فاجمعوا كل ذي فُجْر عندكم ، وكل متهم ، فأدخلوهم في دار أو مسجد ، ثم أخْرِجُوا واحدًا واحدًا ، فقولوا : هذا لصك؟ فإن كان ليس بلصه قال . وإن كان لصه فليسكت ، فإذا سكت، فاقبضوا عليه ، ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة ، فردَّ الله عليه جميع ما سُرق منه .

ذكاء أبي حنيفة ..

حدثنا حسين الأشقر قال : كان بالكوفة رجل من الطَّالبِيِّين [١] من خيارهم ، فمرَّ بأبي حنيفة ، فقال له: أين تريد؟ قال : أريد ابن أبي ليلى [٢]. قال : فإذا رجعتَ أحب أن أراك ، وكانوا يتبركون بدعائه ، فمضى إلى ابن أبي ليلى ثلاثة أيام ، وإذ رجع مرَّ بأبي حنيفة ، فدعاه ، وسلم عليه ، فقال له أبو حنيفة : ما جاء بك ثلاثة أيام إلى ابن أبي ليلى؟ فقال : شيء كتمتُه الناس ، فأملتُ أن يكون لي عنده فرج . فقال أبو حنيفة : قل ما هو ؟ قال : إني رجل موسر ، وليس لي من الدنيا إلا ابن كلما زوجته امرأة طلقها ، وإن اشتريتُ له جارية أعتقها . قال : فما قال لك؟ قال : قال لي ما عندي في هذا شيء . فقال أبو حنيفة : اقعد عندي حتى أخرجك من ذلك ، فقرَّب إليه ما حضر عنده ، فتغدى عنده ، ثم قال له : ادخل أنت وابنك إلى السوق فأي جارية أعجبته ، ونالت يدك ثمنها ، فاشترِها لنفسك لا تشترها له ، ثم زوِّجْها منه ، فإن طلقها رجعت إليك ، وإن أعتقها لم يجز عتقه ، وإن ولدت ثبت نسبه إليك . قال : وهذا جائز؟ قال: نعم هو كما قلتُ، فمرَّ الرجل إلى ابن أبي ليلى، فأخبره فقال : هو كما قال لك .

خلصتك وخلصت نفسي ..

وعن أبي يوسف [٣] قال : دعا المنصور أبا حنيفة . فقال الربيع – حاجب المنصور – ، وكان يعادي أبا حنيفة : يا أمير المؤمنين ! هذا أبو حنيفة يخالف جدَّك . كان عبد الله بن عباس يقول : إذا حلف على اليمين، ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء ، وقال أبوحنيفة : لا يجوز الاستثناء إلا متصلا باليمين، فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ! إن الربيع يزعم أن ليس في رقاب جندك بيعة . قال : وكيف؟ قال : يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم ، فضحك المنصور وقال : يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة ، فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع : أردت أن تشيط بدمي . قال : لا . ولكنك أردت أن تشيط بدمي ، فخلصتك ، وخلصت نفسي .

أراد أن يوثقني فربطته ..

حدثنا عبد الواحد بن غياث قال : كان أبو العباس [٤] الطوسي سيئ الرأي في أبي حنيفة ، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك ، فأقبل عليه فقال : يا أبا حنيفة ! إنّ أمير المؤمنين يدعو الرجل منَّا فيأمره بضرب عنق

---

(١) الطَّالبيين : نسبة إلى ابن أبي طالب . (٢) ابن أبي ليلى : هو فقيه من كبار الفقهاء .

(٣) أبو يوسف : هو يعقوب بن إبراهيم . تلميذ الإمام أبي حنيفة وصاحبه ، وأول من نشر مذهبه ، تولى قضاء بغداد ، وألف كتاب «الخراج» بناء على طلب الخليفة . وكان واسع العلم ، غزير المعرفة ، توفي سنة ١٨٢ هـ .

(٤) هو الفضل بن سليمان الهاشمي أبو العباس الطوسي ، من قواد دولة بني العباس ، ولاه المنصور على الجانم ، وتولى خراسان ، توفي سنة ١٧١ هـ .

الرجل لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه؟ فقال : يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟ قال : بالحق . قال : انفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ، ثم قال أبو حنيفة لمن قُرب منه : إن هذا أراد أن يوثقني فربطته .

أبو حنيفة والحجام ..

حدثنا علي بن عاصم[١] قال : دخلت على أبي حنيفة وعنده حجَّام يأخذ من شَعْره ، فقال للحجَّام[٢]: تَتَبَّع مواضع البياض لا تزد . قال : ولِمَ؟ قال : لأنه يكثر .

بين أبي حنيفة والأعرابي ..

حدثنا يحيى بن جعفر قال : سمعت أبا حنيفة يقول : احتجت إلى ماء بالبادية ، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء ، فأبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم ، فدفعت إليه خمسة دراهم ، وقبضت القربة ، ثم قلت: يا أعرابي! ما رأيك في السويق؟

فقال : هات ، فأعطيته سويقا ملتوتًا بالزيت ، فجعل يأكل حتى امتلأ ، ثم عطش فقال : شربة ، قلت ، بخمسة دراهم ، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء ، فاستردت الخمسة ، وبقي معي الماء .

أردت أن أرفع قدرك ..

حدثنا عبد المحسن بن علي قال : ذُكِرَ أبو حنيفة وفطنته ، فقال :

استودع رجل من الحجاج رجلا بالكوفة وديعة ، فحج ، ثم رجع ، فطلب وديعته ، فأنكر المستودَع، وجعل يحلف له ، فانطلق الرجل إلى أبي حنيفة يشاوره ، فقال : لا تُعْلم أحدًا بجحوده . قال : وكان المستودَعُ يجالس أبا حنيفة ، فخلا به ، وقال له : إن هؤلاء قد بعثوا يستشيروني في رجل يَصْلُحُ للقضاء، فهل تنشط؟ فتمانع[٣] الرجل قليلا ، وأقبل أبو حنيفة يرغبهُ[٤] ، فانصرف على ذلك وهو طمِعٌ ، ثم جاء صاحب الوديعة ، فقال له أبو حنيفة : اذهب إليه ، وقل له : أحسبك نسيتني أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا . قال : فذهب الرجل ، فقال له، فدفع إليه الوديعة، فلما رجع المستودع قال أبو حنيفة : إني نظرت في أمرك ، فأردت أن أرفع قدرك ، ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا .

حيلة ناجحة ..

حدثنا ابن الوليد قال : كان في جوار أبي حنيفة فتى يعتني مجلس أبي حنيفة ، ويكثر الجلوس عنده ، فقال يومًا لأبي حنيفة : إني أريد التزويج إلى فلان من أهل الكوفة ، وقد خطبت إليهم ، وقد طلبوا مني المهر فوق وسعي وطاقتي ، وقد تعلقت نفسي بالتزويج ، فقال أبو حنيفة : فاستخر[٥] الله تعالى، وأعطهم

---

[١] علي بن عاصم هو : علم من حفاظ الحديث في عصره ، نشأ بالعراق ، وكان تقيا زاهدا مات ببغداد سنة ٢٠١ هـ .

[٢] الحجّام : هو صاحب المشرط الذي يُخرج به الدم الفاسد وتسمى حجامة .

[٣] تمانع : أظهر التمنع .

[٤] يرغبه : الترغيب ضد الترهيب وهو التحبيب في الشيء .

[٥] الاستخارة : صلاة من سنن الإسلام ، وكيفيتها معلومة في كتب الحديث . انظر مثلا : الأذكار للنووي ، والصحاح ، وكتب الأدعية .

ما يطلبونه منك ، فأجابهم إلى ما طلبوه ، فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه ، جاء إلى أبي حنيفة، فقال له : إني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض ، وليس في وسعي الكل ، وقد أبوا أن يحملوها إلا بعد وفاء الدين كله، فماذا ترى؟ قال : احتل واقترض حتى تدخل بأهلك ، فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم، ففعل ذلك ، وأقرضه أبو حنيفة فيمن أقرضه ، فلما دخل بأهله وحُمِلَتْ[1] إليه ، قال أبو حنيفة : ما عليك أن تُظهر أنك تريد الخروج عن هذا البلد إلى موضع بعيد، وإنك تريد أن تسافر بأهلك معك، فاكترى الرجل جملين ، وجاء بهما ، وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش ، وأنه يريد حَمْل أهله معه ، فاشتَدَّ ذلك على أهل المرأة ، وجاءوا إلى أبي حنيفة ليسألوه ، ويستعينوه[2] في ذلك ، فقال لهم أبو حنيفة: له أن يُخرجها إلى حيث شاء . فقالوا له : ما يمكننا أن ندعها تخرج . فقال لهم أبو حنيفة : فأرضوه بأن تردُّوا عليه ما أخذتموه منه ، فأجابوه إلى ذلك . فقال أبو حنيفة للفتى : إن القوم قد سمحوا أن يردُّوا عليك ما أخذوه منك من المهر، ويُبْرؤوك منه، فقال له الفتى : وأنا أريد شيئًا آخر فوق ذلك . فقال أبو حنيفة : أيما أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك ، وإلا أقرت المرأة لرجل بدين لا يمكنك أن تحملها، ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدَّيْن . قال : فقال الرجل : الله الله لا يسمعوا بهذا ، فلا آخذ منهم شيئًا فأجاب إلى الجلوس ، وأخذ ما بذلوه من المهر .

يريد أن يتزوج ..

أخبرنا أحمد بن الدقَّاق قال : بلغني أن رجلا من أصحاب أبي حنيفة أراد أن يتزوج ، فقال أهل المرأة: نسأل عنه أبا حنيفة ، فأوصاه أبو حنيفة فقال : إذا دخلت فضع يدك على ذَكَرِكَ ، ففعل ذلك، فلما سألوه عنه قال : قد رأيت في يده ما قيمته عشرة آلاف درهم .

هلاَّ شكرت الله تعالى ..

وبلغنا أن رجلا جاء إلى أبي حنيفة ، فشكا له أنه دفن مالاً في موضع ، ولا يذكر ذلك الموضع ، فقال أبو حنيفة : ليس هذا فقها[3] فأحتال لك فيه ، ولكن اذهب فصل الليلة إلى الغداة ، فإنك ستذكره – إن شاء الله تعالى – ، ففعل الرجل ذلك ، فلم يمض إلاَّ أقل من ربع الليل حتى ذكَر الموضع ، فجاء إلى أبي حنيفة ، فأخبره فقال : قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر ، فهلاَّ أتممت ليلتك شكرًا لله عز وجل .

ابن عون يقتل مشركًا ..

ومن المنقول عن ابن عون ، قال أبو بكر القرشي : حدثنا ابن مثنى أن ابن عون كان في جيش ، فخرج رجل من المشركين ، فدعا للبراز[4] ، فخرج إليه ابن عون وهو متلثم ، فقتله ، ثم اندسَّ[5] ، فجهد الوالي أن يعرفه فلم يقدر عليه ، فنادى مناديه : أعزمُ على من قتل هذا المشرك ألا جاءني ، فجاءه ابن عون فقال : وما على الرجل أن يقول : أنا قتلته . وعن يحيى بن يزيد قال : جاء شرطي يطلب رجلا من مجلس ابن عون، فقال : يابن عون ، فلانا رأيته؟ قال: ما في كل الأيام يأتينا ، فذهب وتركه .

---

(١) حُملتْ إليه : زُفَّتْ .
(٢) يطلبون منه العون لشدة صلة الفتى به .
(٣) أي ليس هذا سؤال فقه ولكنه يحتاج إلى حيلة عادية .
(٤) البراز : المبارزة .
(٥) اندسّ : أي اختفى .

obeikandl.com

حفظ القرآن في ثلاثة أيام ! ..

ومن المنقول عن هشام بن الكلبي ، أخبرنا محمد بن أبي السري قال : قال لي هشام بن الكلبي : حفظتُ ما لم يحفظ أحد ، ونسيتُ ما لم ينسَهُ أحد ، كان لي عَمٌّ يعاتبني على حفظ القرآن ، فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن ، فحفظته في ثلاثة أيام[١] ، ونظرتُ في المرآة ، فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة ، فأخذت ما فوق القبضة .

مظلوم يا أمير المؤمنين ..

ومن المنقول عن عمارة بن حمزة ، بلغنا عن عمارة بن حمزة أنه دخل على المنصور ، فجلس على مرتبته المرسومة له[٢] ، فقام رجل فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين . فقال : من ظلمك؟ قال: عمارة غصبني ضيعتي[٣] فقال المنصور : قم يا عمارة فاجلس مع خصمك، قال : ما هو لي بخصم. قال : وكيف وهو يتظلم منك؟ قال : إن كانت الضيعة له لم أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد تركتها له، ولا أقوم من مجلس شرفني أمير المؤمنين بالرفعة فيه ، فأجلس في أدناه بسبب ضيعة .

يرحمك الله ..

ومن المنقول عن ابن المبارك رضي الله عنه . قال ابن حميد : عطس رجل عند ابن المبارك ، فلم يحمد الله، فقال له ابن المبارك : أيُّ شيء يقول العاطس إذا عطس ؟ قال : الحمد لله . قال: يرحمك الله[٤]

بين أبي يوسف والرشيد ..

ومن المنقول عن أبي يوسف رحمه الله تعالى .. حدثنا علي بن المحسن التنوخي[٥] ، عن أبيه قال : حدثني أبي قال : كان عند الرشيد جارية من جواريه ، وبحضرته عقد جوهر ، فأخذ يقلّبُهُ، ففقده ، فاتهمها ، فسألها عن ذلك ، فأنكرت ، فحلف بالطلاق والعتاق والحج لتصدُقَنه، فأقامت على الإنكار، وهو متهم لها ، وخاف أن يكون قد حنث في يمينه ، فاستدعى أبا يوسف، وقصَّ عليه القصة، فقال أبو يوسف: تخليني مع الجارية وخادم معنا حتى أخرجك من يمينك ، ففعل ذلك . فقال لها أبو يوسف : إذا سألك أمير المؤمنين عن العقد فأنكريه ، فإذا أعاد عليك السؤال فقولي : قد أخذتُهُ ، فإذا أعاد عليك الثالثة فأنكري ، وخرج ، فقال للخادم: لا تقل لأمير المؤمنين ما جرى . وقال للرشيد : سلها يا أمير المؤمنين ثلاث دفعات متواليات[٦] عن العقد ، فإنها تصدُقُكَ ، فدخل الرشيد فسألها ، فأنكرت أول مرّة ، وسألها الثانية ،

---

(١) إنَّ هذا الأمر في غاية العجب ، فهو يدل على قوة حافظة هذا الرجل ، وذلك الفضل من الله .

(٢) المرسومة له : أي الكائنة للمنصور وحده .

(٣) أي أخذ مني أرضي غصبًا .

(٤) هذا من ذكاء عبد الله بن المبارك ، فقد طلب منه أن يحمد الله بصيغة حسنة ، ذلك أن الإسلام ينهي أن يشمَّت من لم يحمد الله .

(٥) التنوخي هو : المحسن بن علي التنوخي أحد علماء المعتزلة ،وواحد من القضاء توفى سنة ٤٤٧ هـ .

(٦) دفعات متواليات : أي يمينا بعد يمين بعد يمين .

فقالت : نعم قد أخذته . فقال : أي شيء تقولين؟ فقالت: والله ما أخذته ولكن هكذا قال لي أبو يوسف، فخرج إليه فقال : ما هذا؟ قال : يا أمير المؤمنين! قد خرجت من يمينك ، لأنها أخبرتك أنها قد أخذته ، وأخبرتك أنها لم تأخذه ، فلا يخلو أن تكون صادقة في أحد القولين ، وقد خرجت أنت من يمينك ، فسُرَّ ، ووصلَ أبا يوسف[١] ، فلمَّا كان بعد مدَّة ، وجد العقد .

من نوادر أبي يوسف ..

وبلغنا أن الرشيد قال لأبي يوسف : ما تقول في الفالوذج واللوزينج[٢] أيهما أطيب؟ فقال: يا أمير المؤمنين ! لا أقضي بين غائبين عني! .. فأمر بإحضارهما ، فجعل أبو يوسف يأكل من هذا لقمة ومن ذاك أخرى حتى نصَّف جاميهما ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ما رأيت خصمين أجدل منهما ، كلما أردتُ أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجَّة .

ومن المنقول عن يزيد بن هرون . قال أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطَّان قال : قال لي يزيد بن هارون : أنت أثقل عندي من نصف رحى البزر ، قلت : يا أبا خالد لِمَ لَمْ تقل من الرَّحى كله؟ قال : إنه إذا كان صحيحا تدحرج ، وإذا كان نصفا لم يرفع إلا بجَهد .

الشافعي في بغداد ..

ومن المنقول عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ، حدَّثنا الحسين بن الصبّاح قال : لمَّا أن قدم الشافعي إلى بغداد ، وافق عقد الرشيد للأمين والمأمون على العهد . قال : فبكّر الناس ليهنوا الرشيد ، فجلسوا في دار العامة ينتظرون الإذن ، فجعل الناس يقولون : كيف ندعو لهما؟، فإنا إذا فعلنا ذلك كان دعاء على الخليفة ، وإن لم ندع لهما كان تقصيرا ، فدخل الشافعي ، فجلس ، فقيل له في ذلك ، فقال : الله الموفق ، فلما أذن دخل الناس ، فكان أول متكلم الشافعي فقال :

لا قصّرا عنها ولا بلغنها ... حتى يطول على يديك طولُها

بين الشافعي والربيع ..

قال عبد العزيز بن أبي رجاء : سمعت الربيع[٣] يقول : مرض الشافعي ، فدخلت عليه ، فقلت يا أبا عبد الله : قوّى الله ضعفك . فقال : يا أبا محمد ، والله لو قوّى الله ضعفي على قوتي أهلكني . قلت: يا أبا عبد الله . ما أردت إلا الخيْر ، فقال : لو دعوتَ الله عليَّ لعلمت أنك لم تُرد إلا الخير .

قال المؤلف : من فقه الشافعي – رضي الله عنه – أنه أخذ بظاهر اللفظ ، فعلم أنه إذا نوى الضعف حصل الأذى. وقد جاءني حديث صحيح عن النبي ﷺ أنه علَّم رجلا دعاء فقال قل : "اللهمَّ قوِّ في رضاك ضعفي» إلا أنَّ معناه قوِّ ما ضعف. وفي هذا النوع تجوز . والربيع تجوّز ، والشافعي قصد الحقيقة[٤] .

---

(١) وصل أبا يوسف : أي أن الرشيد منحه منحًا

(٢) الفالوذج : نوع من الحلوى . وهي كلمة معرَّبة ، واللوزينج : حلوى تشبه القطائف وهو فارسي معرَّب كذلك

(٣) هو الربيع بن نافع . ثقة حجّة وهو من أقران أحمد بن حنبل صحب الشافعي ونقل عنه كتاب الأم وكان من المقرّبين إليه، وكان الربيع ذا علم جمّ توفي سنة ٢٤١ هـ .

(٤) وهذا من بلاغة الإمام الشافعي رحمة الله عليه

فراسة الشافعي ..

حدثنا الربيع قال : رأيت الشافعي ، وقد جاء رجل يسأله عن مسألة ، فقال : مِنْ أهل صنعاء أنت؟ قال : نعم . قال : فلعلك حداد؟ قال : نعم .

سائل وفقيه ..

حدثنا حرملة بن يحيى[1] قال : سمعت الشافعي، وقد سأله رجل فقال : حلفت بالطلاق إن أكلتُ هذه الثمرة أو رميت بها . قال : تأكل نصفها ، وترمي نصفها .

تعليق من ابن الجوزي ..

قال المؤلف : وهذا المنقول عن الشافعي هو قول أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه . وقد ذكر أصحابنا من جنس هذه المسألة كثيرا لا يكاد يتنبه له في الفتوى إلا الفطن ، فنذكر منها هاهنا مسائل لأن ذكر مثل هذا ينبه الفطن فمنها : إذا قال لزوجته وهي في ماء إن أقمت في هذا الماء فأنت طالق ، وإن خرجت منه فأنت طالق ، فإننا نَنْظُر ، فإن كان الماء جاريا ولا نية له لم تطلق سواء خرجت أو أقامت ، وإن كان راكدا فالحيلة أن تُحمل في الحال مكرهة ، فإن كانت على سُلّم فقال لها : إن صعدت فيه أو نزلت ، أو أقمت ، أو رميت نفسك ، أو حطّك أحد فأنت طالق ، فإنها تنتقلُ إلى سُلّم آخر ، فإن أكلَ رُطَبًا كثيرًا ، ثم قال : أنتِ طالق إن لم تخبريني بعددِ ما أكلت، فخلاصها أن تعد من واحد إلى عددٍ يتحقق أن ما أكله قد دخل فيه ، فإن أكل رطبا فقال : لها : أنتِ طالق إن لم تُميزي ، نوى ما أكلتُ من نوى ما أكلتِ ، وقد اختلط، فإنها تفرد كل نواة على حِدَة ، فإن قال لها : أنتِ طالق إنْ لم تَصْدُقيني هل سرقتِ مني أم لا؟ فإنها إذا قالت: سرقت ما سرقت لم تطلق ، فإن كان له ثلاث زوجات ، فاشترى لهن خمارين ، فاختصمن عليهما، فقال : أنتن طوالق إن لم تختمر كل واحدة منكنَّ عشرين يوما في هذا الشهر ، فالوجه أن تختمر الكبرى والوسطى عشرة أيام ، ثم تدفع الكبرى الخمار إلى الصغرى ، ويَبْقَى خمار الوسطى إلى تمام عشرين يومًا ، ثم تأخذ الكبرى خمار الوسطى إلى تمام الشهر .

مسألة : إذا سافر بالنسوة سفرًا قدره ثلاثة فراسخ ، ومعه بغلان ، فاختصمن على الركوب، فحلف بالطلاق لتركَبَنّ كل واحدة منكن فرسخين ، فتركب الكبرى والوسطى فرسخا ، ثم تنزل الوسطى وتركب الكبرى مكانها ، وتركب الصغرى مكان الوسطى إلى تمام المسافة ، وتركب الوسطى مكان الكبرى عند تمام الفرسخين . والله أعلم .

مسألة : إذا حمل إلى بيته ثلاثين قارورة ، عشرة ملآى ، وعشرة في كل واحدة نصفها ، وعشرة فُرُغ ، ثم قال : أنتنَّ طوالق إن لم أقسمها بينكنَّ بالسوية من غير أن أستعين على القسمة بميزان ولا مكيال ، فإنه يملأ خمسا من المنصفات بالخمس الآخر ، ثم يدفع إلى كل واحدة خمسة مملوءة وخمسة فرغا .

فإن رأى مع زوجته إناء فيه ماء فقال : اسْقِنيه فامتنعت ، فحلف بالطلاق لا شربتِ هذا الماء ، ولا أرقتيه ، ولا تركتيه في الإناء ، ولا فعل غير ذلك ، فالحيلة أن تطرح في الإناء ثوبًا يشرب الماء ، ثم يجفف في الشمس .

---

(١) حرملة بن يحيى : هو ممن عاصر الشافعي وأخذ عنه وسمع منه

فإن حلف رجل أنَّ امرأته بعثت إليه ، قد حرمتُ عليكَ ، وتزوجت بغيرك ، وأوجبت عليك أن تبعث لي نفقتي ، ونفقة زوجي ، فهذه امرأة زوَّجها أبوها من مملوكِه ، ثم بعث بالمملوك في تجارة ، فمات الأب، فإن البنت ترثه ، وينفسخ نكاح العبد ، وتقضي العدة ، وتتزوج برجل ، فتبعثُ إليه أنفذْ لي المال الذي معك فهو لي .

فإن كان له زوجتان إحداهما في الغرفة ، والأخرى في الدَّار ، فصعد في الدرجة ، فقالت كل واحدة إليَّ، فحلف ، لا صعدتُ إليك ولا نزلتُ إليكِ ، ولا أقمتُ مكاني ساعتي هذه ، فإن التي في الدار تصعد، والتي في الغرفة تَنْزِل ، وله أن يصعد أو ينزل إلى أيتهما شاء[١] .

فإن حلف على زوجته بيتك بارية[٢] ، ولا وطئتك إلا على بارية ، فوطئها في البيت لم يحنث[٣]، فوجهه أن يحمل إلى بيته قصبًا ، وينسج به الصانع بارية في البيت ويطأها عليه . فإن حلف لا بد أن يطأ زوجته نهار يوم ولا يغتسل فيه من جنابة مع قدرته على استعمال الماء ، ولا تفوته الصلاة في الجماعة مع الإمام ، فإنه يصلّي مع الإمام ، الفجر ، والظهر ، والعصر ، ومن ثم يطأ بعد العصر ، فإذا غربت الشمس اغتسل وصلّى مع الإمام .

فإن حلف أني رأيت رجلا يصلّي إمامًا بنفْسَيْن وهو صائم ، فالتفت عن يمينه ، فنظر إلى قوم يتحدثون، فحرمت عليه امرأته ، وبطل صومه ، ووجب جلد المأمومين ، ونقض الجامع ، فهذا رجل تزوج بامرأة غاب عنها زوجها ، وشهد المأمومان بوفاته ، وأنه وصّى بداره أن تُجعل مسجدًا ، وكان مقيما صائما ، فالتفت فرأى زوج المرأة قد قدم ، والناس يقولون : خرج يوم الصوم ، وجاء يوم العيد، وهو لم يعلم بأن هلال شوال قد رؤي ، ورأى إلى جانبه ماء ، وعلى ثوبه نجاسة ، فإن المرأة تحرم عليه بقدوم زوجها ، وصومه يبطل بكون اليوم عيدًا ، وصلاته تبطل برؤية الماء ، ويجلد الرجلان لكونهما شاهدي زور ، ويجب نقض المسجد لأن الوصية ما صحّتْ ، والدَّار لمالكها .

فإن كان عنده تمر ، وتين ، وزبيب ، ووزنُ الجميع عشرون رطلاً ، فحلف أنه باع التمر كل رطل بنصف درهم ، والتين كل رطل بدرهمين ، والزبيب كل رطل بثلاثة دراهم ، فجاء ثمن الجميع عشرين درهما ، فإنه قد كان التمر أربعة عشر رطلاً ، والتين خمسة أرطال ، والزبيب رطل واحد .

من بلاغة ابن المبارك ..

ومن المنقول عن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي[٤] . قال محمد بن يحيى النديم ، وحدثنا المبرد قال: سأل المأمون يحيى بن المبارك عن شيء، فقال : لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين . فقال : لله درك ما وضعت «واو»[٥] قط موضعا أحسن منها في هذا الموضع ، ووصله وجَمَّلهُ .

---

(١) وهذه وما سيذكره ابن الجوزي من الحيل المباحة ، وقد ذكر الإمام ابن القيم في كتابه السياسة الشرعية كثيرا من هذه الأحداث .

(٢) الصحراء.

(٣) لم يقع يمينه .

(٤) هو يحيى بن المبارك اليزيدي ، عالم باللغة والأدب ، سكن بغداد ، واتصل بالرشيد وتعهد تأديب المأمون ، توفي يحيى سنة ٢١٨ هـ .

(٥) هذه الواو لو لم توضع لكانت الجملة دعاء لا جعلني الله فداك ، وهم يسمونها حشوا ، وقد مرَّ بك – أيها القارئ – ما يشبه هذه الحادثة وقد قالوا: هذه الواو أجل من واوات الخلود على الأصداغ .

أبو العيناء الضرير ..

ومن المنقول عن أبي العيناء . أخبرنا محمد بن يحيى قال : حدثنا أبو العيناء قال : قال المتوكل: قد أردتك لمجالستي ، فقلت : لا أطيق ذلك ، ولا أقول هذا جهلا بمالي في هذا المجلس من الشرف، ولكنني محجوب[١]، والمحجوب تختلف إشارته، ويخفى عليه الإيماء، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان، ووجهُك راض، وبكلام راض، ووجهك غضبان، ومتى لم أميز هذين هلكتُ. قال: صدقت، ولكن تلزمنا. فقلتُ: لزومَ الفرض والواجب، فوصلني بعشرة آلاف درهم .

قال : وروى أن المتوكل[٢] قال : أشتهي أن أنادم أبا العيناء ، لولا أنه ضرير ، فقال أبو العيناء : إن عافاني أمير المؤمنين من رؤية الهلال ، ونقش الخواتم فإني أصلح .

وبلغنا عن أبي العيناء أنه شكا تأخر رزقه إلى عبد الله بن سليمان ، فقال : ألم يكن كتبنا لك إلى فلان فما فعل في أمرك؟ قال : جرني على شوك المطل[٣]. قال : أنت اخترته. قال : وما عليّ وقد اختار موسى قومه سبعين رجلا فما كان فيهم رشيد فأخذتهم الرجفة، واختار رسول الله ﷺ ابن أبي سرح كاتبا فلحق بالكفّار مرتدًا، واختار عليٌ أبا موسى[٤]، فحكم عليه .

شكا بعض الوزراء كثرة الأشغال ، فقال أبو العيناء : لا أراني الله يوم فراغك . وقيل لأبي العيناء : بقيَ من يُلْقَى ، قال : نعم في البئر .

وسُئل أبو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم[٥] ، وعن حماد بن سلمة بن دينار[٦]، فقال : بينهما في القدْر ما بين أبويهما في الصرف .

شيخ المفسرين في مسألة ..

ومن المنقول عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري[٧] . حدثنا غلام لابن المزوق البغدادي قال : كان مولاي مكرما لي ، فاشترى جارية وزوجَنيها ، فأحببتها حبًا شديدًا ، وأبغضتني بغضًا شديدًا عظيما ، وكانت تنافرني دائما ، وأحتملها إلى أن أضجرتني يوما ، فقلت لها : أنت طالق ثلاثا إن خاطبتني بشيء إلا خاطبتك بمثله ، فقد أفسدك احتمالي لكِ ، فقالت لي في الحال: أنتِ طالق ثلاثا بتاتا ، قال : فأبلستُ ولم أدر ما أجيبها به خوفا أن أقول لها مثل ما قالت ، فتصير بذلك طالقا مني ، فأرشدتُ إلى أبي جعفر الطبري فأخبرته بما جرى ، فقال : أقم معها بعد أن تقول لها : أنتِ طالق ثلاثا إن أنا طلقتك ، فتكونَ قد خاطبتها به ، فوفّيت بيمينك، ولم تطلقها، ولا تعاود الأيمان .

---

(١) محجوب : كان أعمى ضرير .

(٢) المتوكل : هو جعفر بن محمد بن هارون الرشيد ، ولي الخلافة بعد وفاة أخيه الواثق وكان جوادًا كريمًا ، وهو الذي أمر بترك القول بخلق القرآن، وأعلن أن الذمة برئية ممن يقول بخلقه ، توفي المتوكل سنة ٢٤٧ هـ .

(٣) المطل : المماطلة .

(٤) أبو موسى : هو أبو موسى الأشعري صحابي أخذ الحديث عن رسول الله ﷺ وقد مدح الرسول قومه قائلا : إن الأشعريين كانوا إذا أصابهم القحط جمعوا ما عندهم ثم اقتسموه بالسوية فهم مني ، وأنا منهم .

(٥) حماد بن زيد بن درهم : ثقة ثبت حجّة ، كثير الحديث كان من عقلاء الناس ، وكان حافظا للحديث توفي سنة ١٧٩ هـ .

(٦) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري ، مفتي البصرة ، كان ثقة ، حجة ، مأمونًا توفي سنة ١٦٧ هـ .

(٧) الإمام الطبري : هو شيخ المفسرين

مع الشريفين ..

ومن المنقول عن علي بن عيسى الرابعي[١] . أنه كان يمشي على دجلة ، فرأى الرضي[٢] والمرتضى[٣] في سفينة ، ومعهما عثمان بن جنّي[٤] ، فقال : مِنْ أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالسا بينهما وعلي يمشي على الشط بعيدًا عنهما .

رجل مجنون ..

ومن المنقول عن أبي الوفاء بن عقيل رضي الله عنه . حدثني أزهر بن عبد الوهاب قال : جاء رجل إلى ابن عقيل[٥] فقال : إني كلما أنغمس في النهر غمستين وثلاثا لا أتيقن أنه قد غمسني الماء ، ولا أني قد تطهرتُ فكيف أصنع؟ قال له : لا تصل ، فقيل له : كيف قلت هذا؟ قال : لأن النبي ﷺ قال : «رُفع القلمُ عن ثلاثٍ عن الصبيّ حتى يبلغ ، وعن النائم حتى ينتبه ، وعن المجنون حتى يفيق»[٦] ومن ينغمس في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثاً ، ويظن أنه ما اغتسل ، فهو مجنون .

لست بمحتاج إلى أحد ..

قال : حدثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار، عن ابن عقيل قال : بلغني أن السلطان محمد بن علي عزم على القدوم إلى بغداد ، فخرجت متطيلسا ، فجلست على تلٍّ في طريقه ، فلمّا وصلَ سأل عني ، فقيل : هذا ابن عقيل ، فانحرف ، فنزل وجلس معي ، وقال : كنت أحب أن ألقاك ، وسألني عن مسائل في الطهارة ، ثم قال لخادمه : أي شيء معك؟ فأخرج خمسين دينارًا فقال : تقبّل هذه . فقلت: لست بمحتاج ، فإن أمير المؤمنين لا يحوجني إلى أحد ، ولا أقبلها ، فلمّا انصرفت إلى المنزل إذا خادم قد جاءني بمال من عند الخليفة وشكر فعلي . قال : وأنا علمتُ أن ثَمَّ من هو عين للخليفة يخبره بما جرى.

ابن عقيل يجيب بالمعاريض ..

وبلغني عن ابن عقيل أنه تعوّق يوما عن الجمعة فجاءوه يستوحشون له، فقال : أنا صليتُ عند الصناديق . واحتبس يوما فاستوحشوا له ، فقال : أنا صليتُ عند المنارة ، وإنما عنَى صناديق بيته ، ومنارة بيته .

إلى أين أتجه؟

ومن المنقول عن بعض الفقهاء ، أن رجلا قال له : إذا نزعت ثيابي ، ودخلتُ النهر أغتسل أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها ؟ قال : توجّه إلى ثيابك التي نزعتها .

---

(١) هو علي بن عيسى الرابعي : إمام من أئمة اللغة والنحو ، أخذ اللغة عن أبي علي الفارسي ، سكن بغداد وتوفى بها سنة ٤٢٠ هـ .

(٢) الرضي : هو الشريف الرضي وقد تقدمت ترجمته في الفصل الأول .

(٣) المرتضى : هو الشريف علي بن الحسين بن موسى . أخو الشريف الرضي ، وكان يلقب بذي المجدّين ، ويطلق العلماء عليه وعلى أخيه الشريفين، توفى المرتضى سنة ٤٣٦ هـ .

(٤) عثمان بن جنّي : لغويٌّ بارع ، وأديب حاذق ، ويتكلم في علم التصريف أدق كلام ، ولم يكن أحد يعرف في الإعراب مثله توفى سنة ٣٩٢ هـ .

(٥) أبو الوفاء بن عقيل : تقدمت ترجمته .

(٦) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في سننه جـ١ ص٦٥٨ ، وأبو داود جـ٤ ص٥٥٩ ، والنسائي جـ٦ ص١٥٦ .

الباب الرابع عشر: في سياق المنقول من ذلك عن العباد والزهاد

اللهمّ علّمنا ..

حدثنا جعفر الخلدي[١] قال: سمعتُ الجنيد[٢] يقول: سمعت السري[٣] يقول: اعتللتُ بطرسوس علة الذرب[٤]، فدخل عليَّ هؤلاء القرّاء يعودُوني، فجلسوا، فأطالوا، فآذاني جلوسهم، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله، فمددتُ يدي فقلت: اللهم علمنا أدب العيادة.

اذهب عني فلا أراك ..

حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين[٥] يقول: قيل لي: إنّ ذا النون[٦] يعرف اسم الله الأعظم، فدخلتُ مصر، وخدمته سنة، ثم قلت: يا أستاذي إني قد خدمتك، وقد وجب حقي عليك، وقيل إنك تعرف اسم الله الأعظم، وقد عرفتني ولا تجدُ له موضعًا مثلي، فأحبُّ أن تعلمني إياه قال: فسكت عني ذو النون ولم يُجبْني، وكأنه أومأ إليَّ أنه يخبرني. قال: فتركني بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج لي من بيته طبقا ومكبة مشدودًا في منديل - وكان ذو النون يسكن الجيزة - فقال: تعرف فلانًا صديقنا من الفسطاط؟ قلت: نعم. قال: فأحب أن تؤدي هذا إليه. قال: فأخذتُ الطبق وهو مشدود، وجعلتُ أمشي طول الطريق وأنا متفكر فيه، مثل ذي النون يوجه إلى فلان بهدية، تُرى أي شيءٍ هي، فلم أصبر إلى أن بلغتُ الجسر، فحللتُ المنديل، ورفعتُ المكبة، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرّت. قال، فاغتظتُ غيظًا شديدًا وقلت: ذوالنون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة، فرجعتُ على ذلك الغيظ، فلمّا أن رآني عرف ما في وجهي، فقال: يا أحمق، إنما جربناك. ائتمنتك على فأرة، فخنتني، أفأتمنك على اسم الله الأعظم؟ مُرْ عنّي فلا أراك.

---

(١) هو جعفر بن محمد بن نصر الخوّاص الخلدي. المولود في بغداد، صوفيّ فاضل، كان من أفتى المشايخ وأجلهم، وأحسنهم قولاً صاحب الجنيد وعرف بصحبته، وكان المرجع إليه في علوم القوم، توفي ببغداد سنة ٣٤٨ هـ.

(٢) الجنيد هو: أبو القاسم بن محمد الخزّار، كان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري. ولد الجنيد في العراق، وكان فقيها ثقة، صحب السري السقطي والحارث المحاسبي، ومن كلامه: "من عرف الله لا يُسر إلا به" توفي الجنيد سنة ٢٩٧ هـ.

(٣) السري هو: أبو الحسن سري بن المفلس السقطي، يقال: إنه خال الجنيد وأستاذه، وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته، ومن كلامه: "أربع خصال ترفع العبد: العلم، الأدب، والأمانة، والعفة" توفي سنة ٢٥١ هـ.

(٤) الذَّرَبُ: داء يصيب المعدة فلا تهضم الطعام، ويفسدُ فيها ولا تُمسكه.

(٥) يوسف بن الحسين: هو أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي، شيخ الرأي في وقته، صحب ذا النون المصري، وكان عالما فقيهًا، ومن كلامه: أصل العقل الصمت، وباطن العقل كتمان السر، وظاهر العقل الاقتداء بالسنّة، توفي سنة ٣٠٤ هـ.

(٦) هو ذو النون المصري أبو الفيض ثوبان كان ذا فصاحة وحكمة صوفيًا.

الباب الخامس عشر : في سياق المنقول من ذلك عن العرب وعلماء العربية

نزار بن معد يقسم التركة ..

حدثنا علي بن المغيرة قال : لما حضرت نزار بن معد الوفاة قسَّم ماله بين بنيه وهم أربعة: مُضَر ، وربيعة، وإياد، وأنمار . فقال : يا بَنيَّ . هذه القبة الحمراء وهي من أدم وما أشبهها من المال لِمُضَر ، فَسُمّي مضر الحمراء . وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من المال لربيعة فأخذ خَيْلاً دهما ، فَسُميَّ ربيعة الفرس . وهذه الخادم وما أشبهها من المال لإياد وكانت الخادم شمطاء ، فأخذ إياد البلق . وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه ، فأخذ أنمار ما صار له . وقال لهم : إن أشكل الأمر عليكم في ذلك ، واختلفتم في القسمة ، فعليكم بالأفعى الجرهمي ، فاختلفوا فتوجهُوا إلى الأفعى ، فبينما هم يسيرون إذ رأى مُضر كلأً قد رعى ، فقال : إن البعير الذي رعىَ هذا الأعور . فقال ربيعة : وهو أزْوَرُ [١] وقال إياد : وهو أبتر [٢] ، وقال أنمار : وهو شرود [٣] ، فلم يسيروا إلا قليلا حتّى لقيهم رجل توضع به راحلته ، فسألهم عن البعير ، فقال مُضَرٌ : هو أعور؟ قال : نعم . قال ربيعة : هو أزْور؟ قال : نعم. قال إياد : هو أبتر؟ قال : نعم . قال أنمار : هو شرود؟ قال : نعم . هذه والله صفة بعيري دلوني عليه، فحلفوا له أنهم ما رأوه، فلزمهم وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته؟ فساروا حتى قدموا على نجران ، فنزلوا بالأفعى الجرهمي ، فنادى صاحب البعير : أصحاب بعيري وصفوا لي صفته ، ثم قالوا : لم نره . فقال الجرهمي: كيف وصفتموه ولم تروْه؟ فقال مضر : رأيته يرعَى جانبا ويدعُ جانبا ، فعرفت أنه أعور ، وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر ، والأخرى فاسدة الأثر ، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئته لازْورَارِه . وقال إياد : عرفت بتره باجتماع بعره ، ولو كان ذيّالاً لمصع بعره به . وقال أنمار : عرفت أنه شرود ، أنه كان يرعى في المكان الملتف نبته ، ثم يجوز إلى مكان آخر أقل منه وأخبث . فقال الشيخ : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه . ثم سألهم من هم؟ فأخبروه ، فرحب بهم وقال : تحتاجون إليّ ، وأنتم كما أرى؟ فدعا هم بطعام فأكل وأكلوا ، وشرب وشربوا فقال مضر : لم أر كاليوم خمرًا أجود لولا أنها على قبر . وقال ربيعة : لم أر كاليوم لحما أطيب لولا أنه رُبيّ بلبن كلبة. وقال إياد : لم أر كاليوم رجلاً سريًّا لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له . وقال أنمار : لم أر كاليوم كلاما أنفع من حاجتنا. فلما سمع صاحبهم كلامهم ، قال : ما هؤلاء إلاّ شياطين، فسأل أمه فأخبرته أنها كانت تحت ملك ولا يولد له ولد ، فكرهت أن يذهب الملك ، فأمكنت رجلا نزل بهم من نفسها ، فوطئها . وقال للقهرمان : الخمر التي شربناها ما أمرها؟ قال : من حبة غرستها على قبر أبيك . وسأل الراعي عن اللحم ما أمره؟ فقال : شاة أرضعناها من ولد كلبة، ولم يكن وُلِدَ في الغنم شيء غيرها . فأتاهم، فقال : قصوا قصتكم ، فقصوا عليه ما وصيّ به أبوهم، وما كان من اختلافهم، فقال : ما أشبهَ القبة الحمراء من مال فهو لمُضَرٌ، فصارت له الدنانير والإبل وهنّ حُمر، فسمي مضر الحمراء ، وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة، فصارت له الخيل وهي دهم، فسمي ربيعة الفرس ، وما أشبه الخادم ، وكانت شمطاء من مال فيه بلق فهو لإياد ، فصارت له الماشية البلق من الخيل والبقر ، وقضى لأنمار بالدراهم والأرض ، فساروا من عنده على ذلك [٤] .

---

(١) أزور : مائح معوج . (٢) أبتر : مقطوع الذيل . (٣) شرود : أي نافر طريد .

(٤) يظهر من خلال الحكاية أنهم كانوا من أهل الفطانة والمعرفة ، لدرجة عالية

قال مؤلف الكتاب : واعلم أن العرب تضرب المثل للذكيّ بالدهاء ، فيقولون : أدهى من قيس بن زهير وهو سيدُ عبس[١] ، وكان شديد الذكاء ، ومن كلامه : أربعة لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شبع ، وأمة ورثتْ ، وقبيحة تزوجت .

عن الشعبي قال : خرج عمرو بن معد يكرب يومًا حتى انتهى إلى حيي ، فإذا بفرس مشدود، ورمح مركوز ، وإذا صاحبه في وهْدَه يقضي حاجته ، فقال له : خذ حذرك فإني قاتلك . قال : ومن أنت؟ قلتُ : عمرو بن معد يكرب . قال : يا أبا ثور ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهدًا أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري ، فأعطيتُه عهدًا أن لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره ، فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس ، فقلت له : ما هذا؟ قال : ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك ، فإن كنت نكثت عهدًا ، فأنت أعلم ، فتركتُه ومضيْت، فهذا أحيَلُ من رأيت .

أسير من شيبان ..

عن أبي حاتم الأصمعي قال : حدثنا شيخ من بني العنبرة قال : أسرت شيبان رجلا من بني العنبر، فقال لهم : أرسل إلى أهلي ليفدوني . قالوا : ولا تكلم الرسول إلا بين أيدينا ، فجاءوه برسول، فقال له : ائت قومي ، فقل لهم : إن الشجر قد أوْرَق، وإن النساء قد اشتكت ، ثم قال له : أتعقل[٢] ؟ قال : نعم أعقل . قال : فما هذا؟ وأشار بيده ، قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق ، فقل لأهلي عروّا جملي الأصهب[٣] ، واركبوا ناقتي الحمراء، وسلوا حارثة عن أمري . فأتاهم الرسول ، فأرسلوا إلى حارثة ، فقص عليهم الرسول القصة ، فلما خلا معهم قال : أمّا قوله : إن الشجر قد أورق ، فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا . وقوله : إن النساء قد اشتكت ، فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكل للغزو وهي الأسقية . وقوله : هذا الليل، يريد يأتوكم مثل الليل أو في الليل . وقوله : عرّوا جملي الأصهب ، يريد ارتحلوا عن الصمان . وقوله: اركبوا ناقتي . يريد اركبوا الدهناء[٤] ، فلمّا قال لهم ذلك تحملوا من مكانهم، فأتاهم القوم ، فلم يجدوا منهم أحدًا .

الزم الفرقدين ..

قال مؤلف الكتاب : وبلغني عن ابن الأعرابي قال : أسرت طيئ[٥] رجلاً شابًا من العرب ، فقدم عليه أبوه وعمّه ليفدياه ، فاشتطوا عليهما في الفداء ، فأعطيا به عطية لم يرضوها ، فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طيئ لا أزيدكم على ما أعطيتكم ، ثم انصرفا ، فقال الأب للعم : لقد ألقيتُ إلى ابني كلمة لئن كان فيه خير لينجونّ ، فما لبثت أن جاء ، وطرد قطعة من إبلهم ، فذهب بها كأنه قال له : الزم الفرقدين على جبل طيئ ، فإنهما طالعان عليه ولا يغيبان عنه[٦] .

---

(١) عبس ، قبيلة من قبائل العرب .

(٢) وهذه كلها كنايات كنّى بها لصاحبه وفهمها ، وقوله : أتعقل : أي أتفهم ما أريد .

(٣) الأصهب : قليل البياض .

(٤) الدهناء : قبل اسم جبل في أرض تميم .

(٥) طيئ : قبيلة

(٦) وهذه الحادثة مشابهة لسابقتها إلا أن هذه من الأب لابنه والسابقة من الأسير لرسول قومه .

عشق وعشاق ..

حدثنا ابن الأعرابي عن بعض مشايخه أن رجلاً من بني تميم كانت له ابنة جميلة وكان غيورًا، فابتنى لها في داره صومعة، وجعلها فيها، وزوجها من أكفائه من بني عمها، وأن فتى من كنانة مرّ بالصومعة، فنظر إليها ونظرت إليه، فاشتد وجد كل واحد منهما بصاحبه، ولم يمكنه الوصول إليها، وأنه افتعل بيتًا من الشعر ودعا غلامًا من الحي، فعلمَهُ البيت وقال له: ادخل هذه الدار وأنشد كأنك لاعبٌ، ولا ترفع رأسك، ولا تصوبه، ولا تومئ في ذلك إلى أحد، ففعل الغلام ما أمر به، وكان زوج الجارية قد أزمع[1] على سفر بعد يوم أو يومين، فأنشد الغلام يقول:

لحي الله من يُلحي على الحب أهله ... ومن يمنع النفس اللجوج هواها

قال: فسمعت الجارية، ففهمت، فقالت:

ألا إنما بين التفرق ليلة ... وتُعطى نفوس العاشقين مُنَاها

قال: فسمعت الأم ففهمت، فأنشأت تقول:

ألا إنما تعنون ناقة رحلكم ... فمن كان ذا نُوقٍ لديه رعاها

قال: فسمع الأب، فأنشأ يقول:

فإنا سنرعاها ونوثق قيدها ... ونطرد عنها الوحش[2] حين أتاها

فسمع الزوج ففهم، فأنشأ يقول:

سمعتُ الذي قلتم فها أنا مُطَلِّق ... فتاتكُمُ مهجورة لبلاها

قال: فطلقها الزوج، وخطبها ذلك الفتى، وأرغبهم في المهر، فتزوجها.

من نوادر الأعراب ..

حدثنا العتبي قال: اشتد الحر عندنا بالبصرة ليلة وركدت الريح، فقيل لأعرابي: كيف هواؤكم البارحة؟ قال: أمسك كأنه يستمع.

حدثنا الربيع قال: سمعتُ الشافعي يقول: وقف أعرابي على قوم فقال: رحمكم الله إني من أبناء سبيل وإنضاء سفر، فرحم الله امرأ أعطى من سعة، وواسى من كفاف، فأعطاه رجل درهمًا، فقال له: آجرك الله من غير أن يبتليك.

عن ابن الأعرابي قال: قال رجل من الأعراب لأخيه: أتشرب الحازر من اللبن ولا تتنحنح؟ فقال: نعم. فتجاعلا جُعلا، فلما شربه، أذاه، فقال: كبش[3] أملح، ونبت أقبح، وأنا فيه أسجح، فقال أخوه: قد تنحنحت، فقال: من تنحنح فلا أفلح.

ذكاء أعرابي..

حدثنا إبراهيم[4] بن المنذر الحزامي قال: قدم أعرابي من أهل البادية على رجل من أهل الحضر قال: فأنزله، وكان عنده دجاج كثير وله امرأة وابنان وابنتان منها، قال: فقلت لامرأتي: اشوي لي دجاجة وقدميها لنا نتغدى بها، فلما حضر الغداء جلسنا جميعا أنا وامرأتي وابناي وابنتاي والأعرابي، قال: فدفعنا إليه الدجاجة فقلنا: اقسمها بيننا، نريد بذلك أن نضحك منه، قال: لا أحسن القسمة، فإن رضيتم

---

(١) أزمع: قرب موعد سفره. (٢) الوحش: المقصود به باعث غلامه. (٣) كبش أملح: أي ليس له قرن، والحازر: الحامض.
(٤) إبراهيم بن المنذر الحزامي، من كبار المحدثين، وهو ثقة حجة، صدوق، عاش في المدينة ومات بها ٢٣٦ هـ.

بقسمتي قسمت بينكم . قلنا : فإنا نرضى. قال : فأخذ رأس الدجاجة ، فقطعه ، ثم ناولنيه، وقال : الرأس للرئيس ، ثم قطع الجناحين قال : والجناحان للابنين ، ثم قطع الساقين فقال : والساقان للابنتيْن ، ثم قطع الزمكى [١] وقال : العجز للعجوز، ثم قال : الزور للزائر ، فأخذ الدجاجة بأسرها. فلما كان من الغد قلتُ لامرأتي: اشوي لنا خمس دجاجات ، فلما حضر الغداء، قلنا : اقسم بيننا قال : أظنكم وجدتم من قسمتي أمس . قلنا : لا . لم نجد ، فاقسم بيننا ، فقال : شفعا أوْ وترًا . قلنا : وترًا . قال : نعم أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ، ورمى بدجاجة ، ثم قال : وابناك ودجاجة ثلاثة ورمى الثانية ، وابنتاك ودجاجة ثلاثة ، ثم قال : وأنا ودجاجتان ثلاثة . فأخذ الدجاجتين ، فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه . قال : ما تنظرون ؟ لعلكم كرهتم قسمتي . الوتر ما تجيء إلا هكذا ، قلنا ، فاقسمها شفعًا . قال : فقبضهن إليه ، ثم قال : أنت وابناك ودجاجة أربعة ، ورمى إليه بدجاجة ، والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهن بدجاجة ، وأنا وثلاثة دجاجات أربعة وضمَّ إليه ثلاث دجاجات ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله . أنت فهمتها لي .

قال : قيل لأعرابي : كيف أصبحت؟ قال : أصبحتُ وأرى كل شيء مني في إدبار ، وإدباري في إقبال.

حدّثني مهدي بن سابق قال : أقبل أعرابي يريد رجلاً وبين يدي الرجل طبق تين ، فلمَّا أبصر الأعرابي غطّى التين بكسائه ، والأعرابي يلاحظه ، فجلس بين يديه ، فقال له الرجل : هل تحسن من القرآن شيئًا؟ قال : نعم . قال : فاقرأ؟ فقرأ «والزيتون وطور سينين» [٢] قال الرجل: فأين التين؟ قال : التين تحت كسائك .

حدثنا عيسى بن عمر قال [٣]: ولي أعرابي البحرين [٤] ، فجمع يهودها وقال : ما تقولون في عيسى بن مريم؟ قالوا : نحن قتلناه وصلبناه . قال : فقال الأعرابي: لا جرم ، فهل أديتم ديته. فقالوا: لا. فقال: والله لا تخرجون من عندي حتى تؤدوا إليَّ ديته، فما خرجوا حتى دفعوها له.

حدثنا ابن قتيبة قال : كان أبو العاج على حوالى البصرة ، فأتى برجل من النصارى ، فقال: ما اسمك. فقال : بندار شهر بندار ، فقال : أنتم ثلاثة وجزية واحدة . لا والله العظيم ، فأخذ منه ثلاث جزى .

قال : وولى تبالة ، فصعد المنبر ، فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال : إن الأمير ولاّني بلدكم ، وإني والله ما أعرف من الحق موضع سوطي هذا ، ولن أوتي بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضربًا ، فكانوا يتعاطون الحق بينهم ولا يرتفعون إليه .

قال : روى أن أعرابيا جاء إلى عمرو بن عبيد فقال له : إن ناقتي سُرقت ، فادعُ الله أن يردها عليَّ فقال: اللهم إن ناقة هذا الفقير سُرقت ولم تُرد سرقتها اللهم اردها عليه ، فقال الأعرابي : يا شيخ ، الآن ذهبت ناقتي ويئستُ منها . قال : وكيف؟ قال : لأنه إذا أراد أن لا تُسرق فسرقت لم آمَنْ أن يريد رجوعها فلا ترجع ، ونهض من عنده منصرفًا .

---

(١) الزمكي : منبت ذَنَب الطائر أو ذَنَبه كله . قاله صاحب القاموس المحيط . (٢) هذا تعريض بالقرآن لا نرضاه ولا نقرّه .

(٣) هو عيسى بن عمر الثقفي ، معلم الخليل وسيبويه ، قيل إنه أول من هذّب النحو ورتبه توفى سنة ١٤٩ هـ .

(٤) البحرين : ما بيْنَ البصرة وعمان .

من أنت ؟

استأذن حاجب ابن زرارة على كسرى ، فقال له الحاجب : من أنت؟ قال : أنا رجل من العرب، فأذن له ، فلمّا وقف بين يديه قال له : من أنت؟ قال : سيدُ العرب ، قال : ألم تقل للحاجب أنا رجل منهم؟ قال: بلى . ولكني وقفت بباب الملك وأنا رجل منهم ، فلمّا وصلتُ إلى الملك سُدْتهم ، فقال كسرى : زه احشوا فاهُ[1] درًا .

قال الجاحظ : قال رجل لأعرابي : أتهمز إسرائيل؟ قال : إني إذن لرجل سوء . قال : تعبر فلسطين؟ قال : إني إذن لقوي .

أضغاث أحلام ..

قال : كتب أبو صاعد الشاعر إلى الغفوي رقعة فيها :

رأيت في النوم أني مالك فرسا ... ولي نصيف وفي كفّي دنانير
فقال قوم لهم علم ومعرفة ... رأيت خيرا وللأحلام تفسير
اقصص منامك في دار الأمير تجد ... تحقيق ذلك وللفال التباشير

فلمّا قرأها كتب في ظهرها: ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ [يوسف : ٤٤].

قال : أنشد رجل أبا عثمان المازني شعرًا له قال : كيف تراه؟ قال : أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك ، لأنك لو تركته لأورثك الشك .

مع الأعراب ..

قيل : نزل أعرابي في سفينة ، فاحتاج إلى البراز[2] ، فصاح : الصلاة الصلاة ، فقربوا إلى الشط ، فخرج فقضى حاجته ، ثم رجع قال : ادفعوا فصلاتكم بعد وقت .

وقف أعرابي على قوم ، فسألهم عن أسمائهم ، فقال أحدهم : اسمي : وثيق ، وقال الآخر : منيع ، وقال الآخر : اسمي ثابت ، وقال الآخر : اسمي شديد . فقال الأعرابي : ما أظنّ الأقفال عُملت إلا من أسمائكم .

ما يروى عن الأعراب ..

قال هشام بن عبد الملك يومًا لأصحابه : من يسبني ولا يفحش وهذا المطرف له؟ وكان فيهم أعرابي ، فقال : ألقه يا أحول ، فقال : خذه قاتلك الله .

وقف أبو العيناء على باب صاعد ، فقيل له : هو يصلي ، فانصرف ، وعاد ، فقيل له : في الصلاة، فقال: لكل جديد لذّة .

سئل الحسن[3] : لأي شيء استُحِبَ صوم أيام البيض؟ فقال : لا أدري . فقال أعرابي في حلقته : لكني أدري . قال : وما هو؟ قال : لأن القمر لا ينكسف إلا فيهن ، فأحبّ الله عز وجل أن لا يحدث في السماء أمر إلا حدثت له في الأرض عبادة .

حضر أعرابي مائدة سليمان بن عبد الملك ، فجعل يمد يديه، فقال له الحاجب : كل ما بين يديك، فقال: من أجدب انتجع ، فشق ذلك على سليمان وقال: لا يعد إلينا .

---

(١) احشوا فاه : أي املؤوا فمه ذهبًا . (٢) البراز : التبرز .

(٣) هو الحسن البصري : سيد التابعين ، وثقة الثقات ، حجّةٌ ، بارع ، زاهد . اسمه الحسن بن يسار البصري رحمه الله تعالى. سكن البصرة وشبّ في رعاية عليّ بن أبي طالب ، مدحه العلماء وأثنوا عليه ، توفي سنة ١١٠ هـ.

ودخل أعرابي آخر ، فمدَّ يديه ، فقال له الحاجب : كل مما يليك . فقال : من أخصب تخيَّر، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه .

حدَّث ابن المدبر قال : انفرد الرشيد وعيسى بن جعفر بن المنصور ، والفضل بن الربيع في طريق الصيد، فلقوا أعرابيا فصيحًا ، فولع به عيسى إلى أن قال له : يابن الزانية ، فقال له : بئس ما قلت ، قد وجب عليك ردّها أو العوض ، فارض بهذين المليحين يحكمان بيننا . قال عيسى : قد رضيت ، فقالا للأعرابي : خذ منه دانقين عوضا من شتمك، فقال : هذا الحكم؟ قال : نعم . قال : فهذا درهم خذوه وأمكم جميعًا زانية ، وقد أرجحت لكم بدل ما وجب لي عليكم ، فغلب عليهم الضحك ، وما كان لهم سرور في ذاك النهار إلا حديث الأعرابي ، وضمه الرشيد إلى خاصته .

سمع أعرابي رجلاً يروي عن ابن عباس أنه قال : من نوى حجة وعاقه عنها عائق كتبت له . فقال الأعرابي : ما وقع العام كراء أرخص من هذا .

نظر أعرابي إلى البدر في رمضان فقال : سمنت فأهزلتني أراني الله فيك السل .

ودعا أعرابي على عامل فقال : صبَّ الله عليك الصادات. يعني الصفع والصرف والصلب .

وقال أعرابي : اللهمّ من ظلمني مرة فاجزه ، ومن ظلمني مرتين فاجزني واجزه ومن ظلمني ثلاث مراتٍ فاجزني ولا تجزه .

وقال أعرابي لامرأته : أين بلغت قدركم[١]؟ قالت : قد قام خطيبها . تعني الغليان .

وقف المهدي على عجوز من العرب ، فقال لها : ممن أنتِ؟ قالت : من طيء ، فقال : ما منع طيئًا أن يكون فيهم آخر مثل حاتم[٢] ، فقالت مسرعة : الذي منع الملوكَ أن يكون فيهم مثلك ، فعجب من سرعة جوابها ، وأمر لها بصلة .

وقال الأصمعي : سألت أعرابية عن ولدها وكنتُ أعرفه ، فقالت : مات والله ، وقد أمَّنني[٣] الله بفقده المصائب ، ثم قالت :

وكنت أخاف الدهر ما كان باقيًا ... فلما تولّى مات خوفي من الدهر

سمع ابن الأعرابي رجلا يقول : أتوسل إليكم بعليّ ومعاوية. فقال له : جمعت بين ساكنين .

الباب السادس عشر : في ذكر من احتال بذكائه لبلوغ الغرض

فارسيٌّ مسلم ..

حدثنا محمد بن سعد قال : كان الهرمزان من أهل فارس ، فلما انقضى أمر جلولاء خرج يزد جرد من حلوان إلى أصبهان ، ثم أتى اصطخر، ووجهه الهرمزان إلى بلدة «تستر» ، فضبطها، وتحصن في القلعة ، وحاصرهم أبو موسى ، ثم نزل أهل القلعة على حكم عمر ، فبعث أبوموسى بالهرمزان ومعه اثنا عشر أسيرًا من العجم عليهم الديباج[٤] ، ومناطق الذهب ، وأسورة الذهب ، فقدم بهم المدينة في زيِّهم ذلك،

---

(١) القدر : هو ما يوضع فيه اللحم على النار . (٢) يعني حاتم الطائي الشهير بالجود والكرم .
(٣) أمّنني الله : أذهب خوفي وروّعي (٤) الديباج : نوع من الحرير .

فجعل الناس يعجبون ، فأتوا بهم منزل عمر ، فلم يصادفوه فجعلوا يطلبونه ، فقال الهرمزان بالفارسية: قد ضللتم ملككم ، فقيل لهم : هو في المسجد ، فدخلوا فوجدوه نائماً متوسدًا[١] رداءه ، فقال الهرمزان: إن هذا ملككم . قالوا : هذا الخليفة . قال : أما له حاجب ، ولا حارس؟ قالوا : الله حارسه حتى يأتي عليه أجله . فقال الهرمزان : هذا المُلْكُ الهنيء ، فقال عمر : الحمد لله الذي أذل هذا ، وشيعته بالإسلام[٢] ، فاستسقى[٣] الهرمزان ، فقال عمر : لا يُجمع عليك القتل ، والعطش ، فدعا له بماء ، فأمسك بيده، فقال عمر : اشرب لا بأس عليك إني غير قاتلك حتى تشربه ، فرمى بالإناء من يده ، فأمر عمر بقتله ، فقال : أولم تؤمِّني؟ قال : وكيف؟ قال : قلت لي ، لا بأس عليك ، فقال الزبير[٤] ، وأنس[٥] وأبو سعيد[٦] : صدق. فقال عمر : قاتله الله أخذ أمانًا ، ولا أشعر ، ثم أسلم بعد ذلك الهرمزان .

الفتى المخادع ..

عن عبد الملك بن عمير قال : سمعت المغيرة بن شعبة يقول : ما خدعني قط غير غلام من بني الحرث ابن كعب ، فإني ذكرت امرأة منهم ، وعندي شاب من بني الحرث، فقال أيها الأمير: إنه لا خير لك فيها. فقلت : ولم؟ قال : رأيت رجلاً يقبِّلها، فأقمت أيامًا ، ثم بلغني أنَّ الفتى تزوج بها ، فأرسلت إليه فقلت: ألم تُعلمني أنك رأيت رجلا يُقَبِّلها ؟ قال : بلى . رأيت أباها يقبِّلها ، فإذا ذكرت الفتى ،وما صنع غمَّني ذلك .

مع شريح القاضي ..

قال الهيثم : وأخبرنا الفرات بن الأحنف بن مرح العبدي ، عن أبيه : أن رجلاً خطب إلى قوم ، فقالوا: ما تعالج؟ قال : أبيع الدّواب فزوجوه ، ثم سألوا عنه ، فإذا هو يبيع السنانير ، فخاصموه إلى شريح[٧] ، فقال : السنانير دواب ، وأنفذ تزويجه[٨] .

أخبرنا الأصمعي أن محمد بن الحنفية[٩] أراد أن يقْدِم الكوفة أيام المختار ، فقال المختار حين بلغه ذلك: إن في المهدي علامة يضربه رجل في السوق بالسيف ، فلا يضره ، فلما بلغ ذلك محمد أقام ، ولم يقدم الكوفة .

هات، بارك الله عليك ..

أخبرنا داود بن الرشيد قال : قلت للهيثم بن عدي[١٠] : بأي شيء استحق سعيد بن عثمان أن ولاّه المهدي القضاء ، وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟ قال : إن خبره في اتصاله بالمهدي ظريف، فإن أحببت شرحْتُه لك . قال : قلت : والله قد أحببت ذلك . قال : اعلم أنه وافى[١١] الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي، فقال: استأذن على أمير المؤمنين، فقال له الربيع: مَنْ أنت وما حاجتك؟ قال : أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة ، وقد أحببت أن تذكروني له ، فقال له الربيع : يا هذا ، إن القوم لا

---

(١) متوسدًا : جعل رداءه تحت رأسه . (٢) ذلك أنهم مدحوا مُلك عمر لأنه لا حرّاس ولا حجاب ولا خوف.
(٣) استسقى : طلب شربة ماء . (٤) هو الزبير بن العوام . (٥) أنس بن مالك وقد سبقت ترجمته .
(٦) هو أبو سعيد الخدري وقد ترجمنا له . (٧) هو شريح القاضي وقد ترجمنا له . (٨) أنفذ تزويجه : أي أمضاه .
(٩) محمد بن الحنفية هو ابن علي بن أبي طالب .
(١٠) هو الهيثم بن عدي الطائي . كان من رواة الأخبار لم يوثقه المحدّثون .
(١١) وافى عليه : أي قدم على الربيع .

يصدقون ما يرونه لأنفسهم، فكيف ما يراه لهم غيرهم ، فاحتَلْ بحيلة هي أرد عليك من هذه . فقال له: إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه ، فأخبرته أني سألتك الإذن عليه ، فلم تفعل، فدخل الربيع على المهدي، فقال له: يا أمير المؤمنين ! إنكم قد أطمعتم الناس في أنفسكم، فقد احتالوا لكم بكل ضرب . قال له : هكذا صنع الملوك فما ذاك؟ قال : رجل بالباب يزعم أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة ، وقد أحبَّ أن يقصها عليه ، فقال له المهدي : ويحك يا ربيع إني والله أرى الرؤيا لنفسي ، فلا تصح لي ، فكيف إذا ادّعاها من لعله قد افتعلها؟ قال : والله قلت له مثل هذا ، فلم يقبل . قال: هات الرجل ، فأدخل إليه سعيد ابن عبد الرحمن ، وكان له رؤية، وجمال، ومروءة ظاهرة ، ولحية عظيمة ، ولسان ، فقال له المهدي : هات بارك الله عليك . ماذا رأيت؟ قال : رأيت ياأمير المؤمنين آتيًا أتاني في منامي ، فقال لي : أخبر أمير المؤمنين المهدي أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة ، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلِّب ياقيت[1] ، ثم يعيدها ، فيجدها ثلاثين ياقوتة ، كأنها قد وهبت له ، فقال المهدي : ما أحسن ما رأيت، ونحن نمتحن[2] رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به ، فإن كان الأمر على ما ذكرته أعطيناك ما تريد ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك ، لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت ، وربما اختلفت . قال له سعيد : يا أمير المؤمنين، فما أنا أصنع الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي، فأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفرًا؟ قال له المهدي: فكيف نعمل ؟ قال : يعجل لي أمير المؤمنين ما أحب ، وأحلف له بالطلاق أني قد صدقت ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يؤخذ منه كفيل ليحضره من غد ذلك اليوم ، فقبض المال ، وقيل : مَنْ يكفل بك؟ فمد عينيه إلى خادم فرآه حسن الوجه ، والزي ، فقال : هذا يكفل بي ، فقال له المهدي : أتكفل به؟ فاحمرَّ، وخجل ، وقال : نعم . وكفله ، وانصرف ، فلمَّا كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفًا حرفًا، وأصبح سعيد في الباب ، واستأذن ، فأذن له ، فلما وقعت عين المهدي عليه قال : أين مصداق ما قلت لنا؟ قال له سعيد : وما رأى أمير المؤمنين شيئًا؟ فضجع في جوابه . فقال سعيد: امرأتي طالق إن لم تكن رأيت شيئًا . قال له المهدي : ويحك ما أجرأك على الحلف بالطلاق . قال : لأنني أحلف على صدق . قال له المهدي : فقد والله رأيت ذلك مبينًا . فقال له سعيد : الله أكبر ، فأنجز[3] يا أمير المؤمنين ما وعدتني ، قال له : حبًا ، وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار ، وعشرة تخوت ثياب من كل صنف ، وثلاثة مراكب من أنفس دوابّة محلاة، فأخذ ذلك ، وانصرف ، فلحق به الخادم الذي كان كفل به ، وقال له: سألتك بالله: هل كان لهذه الرؤيا التي ذكرتها من أصل ؟ قال له سعيد : لا والله . قال الخادم : كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له . قال : هذه من المخاريق الكبار التي لا يأبه لها أمثالكم ، وذلك أني لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله ، وحدَّث به نفسه ، وأسرَّ به قلبه ، وشغل به فكره، فساعة نام خيل له ما حلَّ في قلبه ، وما كان شغل به فكره في المنام . قال له الخادم : فقد حلفت بالطلاق . قال : طلقت واحدة، وبقيت معي على ثِنْتَيْن فأرد في مهر عشرة دراهم ، وأتخلص ، وأحصل على عشرة آلاف درهم ، وثلاثة آلاف دينار ، وعشرة

---

(١) الياقوت : نوع من المعادن النفيسة . (٢) نمتحن رؤياك : ننظر في أمرها . (٣) أنجز : أعطني وامنحني .

تخوت من أصناف الثياب ، وثلاثة مراكب . قال : فبهت الخادم في وجهه ، وتعجب من ذلك ، فقال له سعيد : قد صدقتك وجعلت صدقي لك مكافأتك على كفالتك بي ، فاستر عليَّ ذلك ، ففعل ذلك، فطلبه المهدي لمنادمته [١] ، فنادمه ، وحظي عنده ، وقلَّده القضاء على عسكر المهدي [٢] ، فلم يزل كذلك حتى مات المهدي .

قال مؤلف الكتاب : هكذا رويت لنا هذه الحكاية .

أوهمهم وتزوج..

عن عاصم الأحول قال : حدثنا سمير أَنَّ رجلاً خطب امرأة ، وتحته أخرى ، فقالوا : لا نزوجك حتى تطلق . قال : اشهدوا أني قد طلقت ثلاثًا ، فزوجوه ، وأقام على امرأته ، وادَّعى القوم الطلاق ، فقال لهم: كيف قلت؟ قالوا : قلنا لا نزوجك حتى تطلق ثلاثًا ، فقلت : اشهدوا أني قد طلقت ثلاثًا. فقال : أما تعلمون أنه كان تحتي فلانة بنت فلان فطلقتها ؟ قالوا : بلى . قال : فقد طلقت ثلاثًا [٣] . قالوا : ما هذا أردنا، فلما وفد شقيق بن ثور إلى عثمان ، وقدم علينا شقيق أخبر أنه سأل عثمان عن ذلك ، فجعلها نية .

دلنا على قومك ..

عن عوف بن مسلم النحوي [٤] ، عن أبيه قال : خرج عمر بن محمد صاحب السند ، وأصحابه يسيرون في بلاد الشرك ، فرأوا شيخًا ومعه غلام ، وقد كان العدو غدر بهم ، فهربوا، فقال عمر: يا شيخ ! دلنا على قومك ، وأنت آمِنٌ . قال : أخاف إن دللتك أن يسعى بي هذا الغلام إلى الملك فيقتلني ، ولكن اقتل هذا الغلام حتى أدلك، فضرب عنق الغلام ، فقال الشيخ: إنما كرهت إن لم أخبرك أنا أن يخبرك الغلام فالآن قد أمنت . والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعتها ، فضرب عنقه .

حدِّثني وحدثته ..

حدثنا الحسن بن عمارة قال : أتيت الزهري [٥] بعد أن ترك الحديث ، فقلت : إما أن تحدثني ، وإما أن أحدثك؟ فقال : حدثني . فقلت : حدثني الحكم بن عتبة ، عن يحيى بن الجزار قال : سمعت عليًا عليه السلام يقول : ما أخذ الله عز وجل على أهل الجهل أن ينتظموا ، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا . قال : فحدثني أربعين حديثًا .

كنا عند سفيان ..

حدثنا الحميدي قال : كنا عند سفيان بن عيينة [٦] ، فحدثنا بحديث زمزم «أنه لما شرب له»، فقام رجل من المجلس ثم عاد ، فقال له : أبا محمد أليس الحديث بصحيح الذي حدثنا به في زمزم أنه لما شرب له ، فقال سفيان : نعم ، فقال : إني قد شربت الآن دلوًا من زمزم على أن تحدثني بمائة حديث، فقال سفيان : اقعد ، فحدثه بمائة حديث .

---

(١) لمنادمته : أي لمصاحبته وصداقته .
(٢) عسكر المهدي: جنوده.
(٣) أي طلق امرأته السابقة ثلاث طلقات حتى بانت .
(٤) عوف بن مسلم النحوي : أحد علماء اللغة كان شاعرًا فقيهًا .
(٥) الزهري : هو عالم الحديث الثقة الحجَّة .
(٦) هو سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي سكن مكة ، وكان من أئمة الإسلام الحفّاظ الثقات ، أجمعت الأمة على إمامته وعنه قال الشافعي : «لولا سفيان بن عيينة ومالك بن أنس لذهب علم الحجاز» ومع علمه وفقهه كان رحمة الله عليه زاهدًا . مات سفيان سنة ١٩٨ هـ .

لا أقوم حتى تحدّثني ..

حدثنا ابن أبي ذر قال : كان الحاج إذا ورد جلس سفيان بن عيينة بباب بني هاشم على موضع عالٍ ليرى الناس ، فجاء رجل من أصحاب الحديث ، فقعد بين يديه ، فقال : يا أبا محمد ، حدثني فحدثه أحاديث ، فقال : زدني فزاده ، فقال : زدني فزاده ، فدفعه في صدره ، فوقع إلى الوادي ، فتفاشى [١] ذلك ، فاجتمع الحاج ، وقال : سفيان بن عيينة قتل رجلاً من الحاج فلما كثر ذلك أشفق سفيان ، فنزل إلى الرجل ، فترك رأسه في حجره ، وقال : مالك؟ أي شيء أصابك؟ فلم يزل يركض رجليه ، ويزيد من فيه . قال : وكثر الضجيج : سفيان بن عيينة قتل رجلاً ، فقال له : قم ويلك أما ترى الناس يقولون؟ فقال له وهو يخفي صوته : لا والله لا أقوم حتى تحدثني مائة حديث عن الزهري وعمرو بن دينار [٢] ففعل فقام .

ردّ فضائل قريش ..

قال المحسن بن علي التنوخي ، عن أبيه قال : حججت في موسم اثنين وأربعين ، فرأيت مالاً عظيماً وثيابًا كثيرة تُفرَّق في المسجد الحرام ، فقلت : ما هذا؟ فقالوا : بخراسان رجل صالح عظيم النعمة ، والمال ، يُقال له : علي الزراد أنفذ عام أول مالاً وثيابًا إلى هاهنا مع ثقة له ، وأمره أن يعتبر قريشا ، فمن وجده حافظًا للقرآن دفع إليه كذا وكذا ثوبًا قال : فحضر الرجل عام أول ، فلم يجد في قريش ألبتة أحدًا يحفظ القرآن إلاّ رجلاً واحدًا من بني هاشم ، فأعطاه قسطه [٣] ، وتحدث الناس بالحديث ، وردَّ باقي المال إلى صاحبه ، فلما كان في هذه السنة عاد بالمال والثياب ، فوجد خلقًا عظيمًا من جميع بطون قريش قد حفظوا القرآن ، وتسابقوا إلى تلاوته بحضرته ، وأخذوا الثياب والدراهم ، فقد فنيت ، وبقي منهم من لم يأخذ ، وهم يطالبونه . قال : فقلت : لقد توصل هذا الرجل إلى رد فضائل قريش عليها بما يشكره الله سبحانه له .

إنما الأعمال بالنيّات ..

حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال : كنت في بيت عمّتي ، ولها بنون ، فسألت عنهم ، فقالوا : قد مضوا إلى عبد الله بن داود ، فأبطئوا ثم جاءوا يذمونه ، وقالوا : طلبناه في منزله ، فلم نجده ، وقالوا : هو في بُستينة [٤] له ، فقصدناه ، وسلمنا عليه ، وسألناه أن يحدثنا فقال : متعت بكم ، أنا في شغلي عن هذا . هذه البُستينة لي فيها معاش ، وتحتاج أن تسقى ، وليس لنا من يسقيها ، فقلنا : نحن ندير الدولاب [٥] ونسقيها ، فقال : إن حضرتكم نية فافعلوا ، فأدرنا الدولاب حتى سقينا البستان ، ثم قلنا له : حدثنا الآن فقال : مُتعت بكم ، ليس لي نية في أن أحدثكم ، وأنتم كانت لكم نية تُؤجرون عليها .

احتيال وكسب ..

أخبرنا علي بن المحسن [٦] ، عن أبيه قال : أخبرني جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها في طرف الجسر سائلان أعميان . أحدهما يتوسل بأمير المؤمنين علي ، والآخر بمعاوية ، ويتعصب لهما الناس ، ويجمعان القطع ، فإذا انصرفا فيقتسمان القطع ، وكانا يحتالان بذلك على الناس .

---

(١) أي فشى أمره .

(٢) عمرو بن دينار ، هو مفتي مكة في عصره ، له باع طويل في الحديث ، وثّقهُ النسائي ، توفي عمرو بن دينار سنة ١٢٦هـ.

(٣) قسطه : أي نصيبه من المال والثياب . (٤) بُستينة : تصغير بستان . (٥) الدولاب : كالساقية .

(٦) هو علي بن المحسن التنوخي وقد تقدمت ترجمته .

دهـــاء ..

حدثنا عبد الواحد بن محمد الموصلي ، حدثنا بعض فتيان الموصلي قال : لما قتل ناصر الدولة أبا بكر ابن رايق الموصلي نهب الناس داره بالموصل ، فدخلتُ لأنهب ، فوجدت كيسًا فيه أكثر من ألف دينار ، فأخذته وخفت أن أخرج وهو معي كذلك ، فيبصُرني [١] بعض الجند ، فيأخذه مني ، فطفتُ الدار ، فوقعت على المطبخ ، فعمدت إلى قدرة كبيرة فيها سكباج [٢] ، فطرحت الكيس فيها ، وحملتها على يدي ، فكل من استقبلني نظر أني ضعيف قد حملني الجوع على أخذ تلك القدرة التي سلمت إلى منزلي .

وحدثني أبو الحسن بن عباس القاضي قال : رأيت صديقًا على بعض زوارق الجسر ببغداد جالسًا في يوم شديد الريح ، وهو يكتب رقعة ، فقلت : ويحك في هذا الموضع وهذا الوقت . قال : أريد أن أزور على رجل مرتعش ويدى لا تساعدني ، فتعمدت الجلوس هاهنا لتحرك الزورق بالموج في هذه الريح ، فيجيء خطي مرتعشًا فيشبه خطه .

حاذق وامرأته ..

قال المحسن : وحدثني أبو الطيب [٣] بن عبد المؤمن قال : خرج بعض حذاق المكيدين من بغداد إلى حمص ومعه امرأته ، فلما حصل بها قال : إن هذا بلد حماقة [٤] ، وأريد أن أعمل حيلة فتساعديني ، فقالت : شأنك . قال : كوني بموضعك ، ولا تجتازي بي ألبتة ، فإذا كان كل يوم فخذي لي ثلثي رطل زبيب ، وثلثي رطل لوز آنيًا ، فاعجنيه ، واجعليه وقت الهاجرة على آجرة جديدة نظيفة لأعرفها في الميضاة الفلانية ، وكانت قريبة من الجامع . ولا تزيديني على هذا شيئًا ولا تمري بناحيتي ، فقالت : أفعل وجاء هو فأخرج جبة صوف كانت معه ، فلبسها وسراويل صوف ومئزر ، وجعلها على رأسه ، ولزم أسطوانة يمر الناس عليها ، فصلى نهاره أجمع ، وليلته أجمع لا يستريح إلاَّ في الأوقات المحظور فيها الصلاة ، فإذا جلس فيها سبح ، ولم ينطق بلفظة ، فتنبه على مكانه ، وروعى مدة ، ووضعت العيون عليه ، فإذا هو لا يقطع الصلاة ، ولا يذوق الطعام ، فتحيّر أهل البلد في أمره ، وكان لا يخرج من الجامع إلا في وقت الهاجرة في كل يوم دفعة إلى تلك الميضاة فيبول فيها ، ويعمد إلى الآجرة وقد عرفها وعليها ذاك المعجون ، وقد صار منحلاً وصورته صورة الغائط ، فمن يدخل ويخرج لا يشك أنه غائط [٥] ، فيأكله فيقيم أوده ويرجع ، فإذا كان وقت صلاة العتمة أو في الليل شرب من الماء قدر كفايته ، وأهل حمص يظنون أنه لا يطعم الطعام ، ولا يذوق الماء ، فعظم شأنه عندهم فقصدوه ، وكلموه فلم يجبهم ، وأحاطوا به ، فلم يلتفت ، واجتهدوا في خطابه [٦] ، فلزم الصمت ، فزاد مجلة عندهم حتى أنهم كانوا يتمسحون بمكانه ، ويأخذون التراب من موضعه ، ويحملون إليه المرضى والصبيان ، فيمسح بيده عليهم ، فلما رأى منزلته ، وقد بلغت إلى ذلك ، وكان قد مضى على هذا السمت سنة اجتمع مع امرأته في الميضاة وقال : إذا كان يوم الجمعة حين يصلي الناس فتعالى فاعلي بي ،والطمي وجهي ، وقولي : يا عدو الله يا فاسق قتلت ابني ببغداد ، وهربت إلى

---

(١) يبصرني أي يراني . (٢) سكباج : نوع من الطعام يشبه اللحم .

(٣) هو أبو الطيب بن عبد المؤمن الطبري . طاهر بن عبد الله القاضي سكن بغداد وتولى القضاء فيها ، وكان حسن الخلق توفى ببغداد سنة ٤٥٠

(٤) حماقة : الأحمق هو الشخص الذي لا يحسن التصرف ولا يضع الأمور في نصابها . (٥) الغائط : هو موضع قضاء الحاجة .

(٦) أي اجتهدوا وحاولوا أن يكلموه .

هاهنا تتعبد، وعبادتك مضروب بها وجهك ، ولا تفارقيني وأظهري أنك تريدين قتلي بابنك ، فإن الناس سيجتمعون إليك ، وأمنعهم أنا من أذيتك وأعترف بأني قتلته وتبت وجئت إلى هاهنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان مني ، فاطلبي قودي بإقراري ، وحملي إلى السلطان ، فيعرضون عليك الدية فلا تقبليها حتى يبذلوا لك عشر ديات ، أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم ، وحرصهم ، فإذا تناهت أعطيتهم في افتدائي إلى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئًا ، فاقبلي الفداء منهم ، واجمعي المال ، وخذيه واخرجي من يومك إلى بغداد ، ولا تقيمي بالبلد ، فإني سأهرب وأتبعك .

فلما كان من الغد جاءت المرأة فتعلقت به ، وفعلت به ما قال ، فقام أهل البلد ليقتلوها وقالوا : يا عدوة الله هذا من الأبدال ، هذا قوّام العالم ، هذا قطب الوقت ، فأومأ إليهم أن اصبروا ولا تناولوها بشر فصبروا ، وأوجز [١] في صلاته ثم سلم ، وتمرغ في الأرض طويلاً ثم قال : أيها الناس! هل سمعتم لي كلمة منذ أقمت عندكم؟ فاستبشروا بسماع كلامه ، وارتفعت ضجة عظيمة ، وقالوا : لا . قال : إني إنما أقمت عندكم تائبًا مما ذكرته ، وقد كنت رجلاً في دفع ، وخسارة ، فقتلت ابن هذه المرأة، وتبت ، وجئت إلى هاهنا للعبادة، وكنت محدثًا نفسي بالرجوع لها لتقتلني خوفًا من أن تكون توبتي ما صحت ، ومازلت أدعو الله أن يقبل توبتي ، ويمكنها مني إلى أن أجيبت دعوتي باجتماعي بها ، وتمكينها من قودي ، فدعوها تقتلني وأستودعكم الله . قال : فارتفعت الضجة والبكاء ، وهو مار إلى والي البلد ليقتله بابنها . فقال الشيوخ : يا قوم ، لقد ضللتم عن مداواة هذه المحنة ، وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح ، فارفقوا بالمرأة واسألوها قبول الدية نجمعها من أموالنا ، فطافوا بها وسألوها . فقالت : لا أفعل . فقالوا : خذي ديتين ، فقالت : شعرة من ابني بألف دية ، فمازالوا حتى بلغوا عشر ديات ، فقالت : اجمعوا المال ، فإذا رأيته وطاب قلبي بقبوله فعلت ، وإلاَّ قتلت القاتل ، فجمعوا مائة ألف درهم، وقالوا: خذيها. فقالت: لا أريد إلاَّ قتل قاتل ابني في نفسي أثر ، فأقبل الناس يرمون ثيابهم وأرديتهم ، وخواتيمهم، والنساء حليهن ، فأخذت ذلك وأبرأته من الدم ، وانصرفت، وأقام الرجل بعد ذلك في الجامع أيامًا يسيرة حتى علم أنها قد بعدت، ثم هرب في بعض الليالي، وطلب فلم يوجد، ولا عُرف له خبر، حتى انكشف لهم أنه كان حيلة بعد مدة طويلة.

ضيق بالمعاش..

قال : كان بالكوفة امرأة قد ضاق بزوجها المعاش ، فقالت له : لو خرجت فضربت في البلاد ، وطلبت من فضل الله تعالى ، فخرج إلى الشام فكسب ثلاثمائة درهم ، فاشترى بها ناقة فارهة وكانت زعرة [٢]، فأضجرته واغتاظ منها ومن زوجته حيث أمرته بالخروج ، فحلف بالطلاق ليبيعها يوم يدخل الكوفة بدرهم ، ثم ندم وأخبر زوجته ، فعمدت إلى سنور فعلقتها في عنق الناقة وقالت : أدخلها السوق وناد عليها : من يشتري هذا السنور بثلاثمائة درهم والناقة بدرهم ولا فرق بينهما ، ففعل فجاء أعرابي يدور حول الناقة ويقول : ما أحسنك ما أفرهك [٣] لولا هذا السنور الذي في عنقك.

---

(١) أوجز في صلاته : قصَّرها .
(٢) زعرة : لا ذيل لها .
(٣) ما أفرهك : أي ما أجملك . يقال دابة فارهة : حسنة .

بين المهدي وأبي دلامة ..

وبلغنا عن أبي دلامة[١] أنه دخل على المهدي ، فأنشده قصيدة فقال له : سلني حاجتك . فقال يا أمير المؤمنين : تهب لي كلبًا ، فغضب وقال : أقول لك سلني حاجتك ، فتقول تهب لي كلبًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الحاجة لي أم لك؟ قال : لا بل لك . قال : فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد ، فأمر له بكلب ، فقال يا أمير المؤمنين : فمن يقوم عليها ، فأمر له بغلام . فقال يا أمير المؤمنين : فهبني قصدت صيدًا وأتيت به المنزل ، فمن يطبخه ، فأمر له بجارية ، فقال ياأمير المؤمنين : هؤلاء أين يبيتون فأمر له بدار ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد صيرت في عنقي كفًا أي جمعًا من عيال ، فمن أين ما يقوت به هؤلاء؟ قال : فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامرًا وألف جريب غامرًا[٢] ، فقال: أما العامر فقد عرفته ، فما الغامر؟ قال : الخراب الذي لا شيء فيه . قال : فأنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالدو ، ولكنني أسأل أمير المؤمنين من ألفي جريب جريبا واحدًا عامرًا . قال: من أين؟ قال : من بيت المال ، فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريبًا ، فقال يا أمير المؤمنين: إذا حولوا منه المال صار غامرًا ، فضحك منه وأرضاه.

إن شربت حددْناك .. وإن رجعت قتلناك! ..

كان نصراني يختلف إلى الضحاك بن مزاحم[٣] ، فقال له يومًا : لِمَ لا تسلم؟ قال : لأني أحب الخمر ولا أصبر عنها . قال : فأسلم واشربها ، فأسلم ، فقال له الضحاك : إنك قد أسلمت الآن ، فإن شربت حددناك[٤] ، وإن رجعت عن الإسلام قتلناك[٥] .

اغتسال جماعي ! ..

وروى ضمرة عن شوذب قال : كان لرجل جارية فوطئها سرًا ، ثم قال لأهله : إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ، فاغتسلوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله .

من أقوال الجاحظ ..

قال الجاحظ : كان رجل يرقى الضرس يسخر بالناس ليأخذ منهم شيئًا ، وكان يقول للذي يرقيه: إياك أن يخطر على قلبك الليلة ذكر القرد ، فيبيت وجعًا فيبكر إليه ، فيقول لعلك ذكرت القرد . فيقول : نعم . فيقول : من ثم لم تنفع الرقية .

تخلّص نسائي ..

وبلغنا عن عقبة الأزدي أنه أتى بجارية قد جنت[٦] في الليلة التي أراد أهلها أن يدخلوها إلى زوجها، فعزم عليها ، فإذا هي قد سقطت ، فقال لأهلها : أخلوا بي بها ، فقال لها : أصدقيني عن نفسك ، وعلي خلاصك ، فقالت : إنه قد كان لي صديق وأنا في بيت أهلي ، وأنهم أرادوا أن يدخلوا بي على زوجي ولست

---

(١) أبي دلامة : هو الشاعر المطبوع زند بن المجون الأسدي . شاعر من أكابر شعراء بني العباس اتصل بالخلفاء والأمراء يمدحهم ، وكانوا يمنحونه ويعطونه ، اتهم بالزندقة ومات سنة ١٦١ هـ

(٢) الغامر : هو المكان الخرب الذي لا زرع فيه ولا ضرع . وقد وُضح في أعلى الصحيفة

(٣) الضحاك بن مزاحم : من الرواة عن ابن عباس ، وروايته عنه ضعيفة ، كان يؤدب الصبيان ، توفي سنة ١٠٥ هـ .

(٤) حددْناك : أقمنا عليك حدَّ الشرب .

(٥) قتلناك لأنك تعتبر مرتدا عن الإسلام . وجزاء المرتد القتل .

(٦) جنت : ارتكبت جناية الزنا .

ببكر ، فخفت الفضيحة . فهل عندك حيلة في أمري؟ فقال : نعم ، ثم خرج إلى أهلها، فقال : إن الجنّي قد أجابني إلى الخروج منها ، فاختاروا من أي عضو تحبون أن أخرجه من أعضائها، واعلموا أن العضو الذي يخرج منه الجني لا بد أن يهلك ويفسد، فإن خرج من عينها عميت ، وإن خرج من أذنها صمَّت[١] ، وإن خرج من فمها خرست ، وإن خرج من يدها شلت ، وإن خرج من رجلها عرجت ، وإن خرج من فرجها ذهبت عذرتها . فقال أهلها : ما نجد شيئًا أهون من ذهاب عذرتها ، فأخرج الشيطان من فرجها ، فأوهم أنه قد فعل ، ودخلت المرأة على زوجها .

لم ضربتني؟

لطم رجل الأحنف بن قيس فقال له : لِمَ لطمتني؟ قال : جُعِل لي جُعْل[٢] أن ألطم سيد بني تميم قال: ما صنعت شيئا ، عليك بحارثة بن قدامة ، فإنه سيد[٣] بني تميم ، فانطلق فلطمه فقطع يده، وذلك ما أراده الأحنف .

طبيب مخادع ..

قال الشيخ : حكى لنا أبو محمد الخشاب النحوي قال : حاز بعض الحاكة[٤] على طبيب ، فرآه يصف لهذا النقوع ، ولهذا التمر هندي ، فقال : من لا يحسن مثل هذا؟ فرجع إلى زوجته فقال : اجعلي عمامتي كبيرة ، فقالت : ويحك أي شيء قد طرأ لك؟ قال : أريد أن أكون طبيباً . قالت : لا تفعل فإنك تقتل الناس فيقتلونك، قال : لا بد ، فخرج أول يوم فقعد يصف للناس ، فحصل قراريط ، فجاء فقال لزوجته: أنا كنت أعمل كل يوم بحبة ، فانظري أيش يحصل ، فقالت : لا تفعل. قال: لا بد ، فلما كان في اليوم الثاني اجتازت جارية ، فرأته فقالت لسيدتها ، وكانت شديدة المرض، اشتهيت هذا الطبيب الجديد يداويك قالت : ابعثي إليه فجاء ، وكانت المريضة قد انتهى مرضها ومعها ضعف ، فقال : عليَّ بدجاجة مطبوخة ، فجيئ بها ، فأكلت ، فقويت ، ثم استقامت ، فبلغ هذا إلى السلطان ، فجاء به فشكا إليه مرضًا يشتكيه ، فاتُفِقَ أنه وصف له شيئًا أصلح به ، فاجتمع إلى السلطان جماعة يعرفون ذاك الحائك، فقالوا له : هذا رجل حائك لا يدري شيئاً ، فقال السلطان: هذا قد صلحت على يديه ، وصلحت الجارية على يديه ، فلا أقبل قولكم . قالوا : فنجَرّبه بمسائل قال : افعلوا ، فوضعوا له مسائل وسألوه عنها ، فقال : إن أجبتكم عن هذه المسائل لم تعلموا جوابها، لأن الجواب لهذه المسائل لا يعرفه إلا طبيب ، ولكن أليس عندكم مارستان[٥]؟ قالوا : بلى . قال : أليس فيه مرضى لهم مدة؟ قالوا : بلى . قال : فأنا أداويهم حتى ينهض الكل في عافية في ساعة واحدة، فهل يكون دليل على علمي أقوى من ذلك؟ قالوا : لا ، فجاء إلى باب المارستان ، وقال : اقعدوا لا يدخل معي أحد ، ثم دخل وحده وليس معه إلا قيِّم المارستان ، فقال للقيم : إنك والله إن تحدثت

---

(١) الصمم : عدم وصول الصوت إلى السمع .
(٢) الجُعل : الأجر من المال .
(٣) سيد بني تميم هو الأحنف بن قيس .
(٤) الحاكة جمع حائك ، وهو الخياط الذي يحيك الثوب .
(٥) المارستان : هو المكان الذي يعالج فيه المرضى .

بما أعمل صلبتك ، وإن سكت أغنيتك ، قال : ما أنطق . قال : فأحلفه بالطلاق ، ثم قال : عندك في هذا المارستان زيت؟ قال : نعم . قال : هاته ، فجاء منه بشيء كثير ، فصبَّه في قدر كبير ، ثم أوقد تحته ، فلما اشتد غليانه صاح بجماعة المرضى ، فقال لأحدهم : إنه لا يصلح لمرضك إلا أن تنزل إلى هذا القدر، فتقعد في هذا الزيت، فقال المريض : الله الله في أمري ، قال : لا بد ، قال : أنا قد شفيت، وإنما كان بي قليل من صداع ، قال : أيش يقعدك في المارستان وأنت معافى؟ قال : لا شيء . قال : فاخرج وأخبرهم ، فخرج وأخبرهم ، فخرج يعدو ويقول شفيت بإقبال هذا الحكيم ، ثم جاء إلى آخر، فقال : لا يصلح لمرضك إلا أن تقعد في هذا الزيت ، فقال : الله الله أنا في عافية : قال : لا بد ، قال : لا تفعل فإني من أمس أردت أن أخرج . قال : فإن كنت في عافية فاخرج ، وأخبر الناس بأنك في عافية، فخرج يعدو ويقول : شفيت ببركة الحكيم ، ومازال على هذا الوصف حتى أخرج الكل شاكرين له ، والله الموفق .

المرأة في صورة شيطان ! ..

بلغنا أن امرأة كان لها عشيق[١] ، فحلف عليها إن لم تحتالي حتى أطأك[٢] بمحضر من زوجك لم أكلمك!.. فوعدته أن تفعل ذلك ، فواعدها يومًا وكان في دارهم نخلة طويلة ، فقالت لزوجها : أشتهي أصعد هذه النخلة فأجتني من رطبها بيدي ، فقال : افعلي ، فلما صارت في رأس النخلة أشرفت على زوجها وقالت : يا فاعل . من هذه المرأة التي معك؟ ويلك أما تستحي أن تجامعها بحضرتي وأخذت تشتمه ، وتصيح وهو يحلف أنه وحده وما معه أحد ، فنزلت فجعلت تخاصمه[٣]، ويحلف بطلاقها أنه ما كان إلا وحده ، ثم قال لها : اقعدي حتى أصعد أنا ، فلما صار في رأس النخلة استدعت صاحبها ، فوطئها فاطَّلع الزوج ، فرأى ذلك ، فقال لها : جُعلت فداك لا يكون في نفسك شيء مما رميتني به ، فإن كل من يصعد هذه النخلة يرى مثل ما رأيت! ..

ذكاء شاعر ..

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى[٤] : أن الفرزدق مرّ بامرأة، وعليه ثوب وشي فتعرض لها، فقالت جاريتها : ما أحسن هذا البرد[٥]، فقال : هل لك أن أقبّل مولاتك ، وأهب لها هذا البرد ، فقالت الجارية لمولاتها : ماذا يضرك من هذا الأعرابي الذي لا يعرفه الناس ، فأذنت له فقبلها ، وأعطاها البرد ، ثم قال للجارية اسقني ماء ، فجاءته الجارية بماء في قدح زجاج ، ولما وضعته في يده ألقاه من يده ، فانكسر ، فقعد الفرزدق مكانه إلى أن جاء صاحب الدار فقال : يا أبا فراس[٦] ألك حاجة؟ قال : لا ، ولكني استسقيتُ من هذه الدار ماء ، فأتيت بقدح من زجاج ، فوقع الإناء من يدي فانكسر ، فأخذوا بردي رهنًا ، فدخل الرجل فشتم أهله وقال : ردوا على الفرزدق برده.

---

(١) عشيق : رجل خليل خائن .

(٢) الوطء : هو إتيان الرجل المرأة في موضع الولد .

(٣) تخاصمه : تجادله .

(٤) مرت ترجمة ابن المثنى ، وكذلك الفرزدق الشاعر .

(٥) البرد : الثوب .

(٦) أبو فراس : هي كنية الشاعر الفرزدق .

الباب السابع عشر : في ذكر من احتال فانعكس عليه مقصوده

أنا يا أمير المؤمنين ..

حدثنا إبراهيم قال : لما أسن معاوية اعتراه أرق[١] وكان إذا هو نام أيقظته النواقيس ، فلما أصبح ذات يوم ، ودخل الناس عليه ، قال : يا معشر العرب : هل فيكم من يفعل ما آمره به ، وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين إذا رجع؟ فقام فتى من غسّان[٢] فقال : أنا يا أمير المؤمنين. قال : تذهب بكتابي إلى ملك الروم ، فإذا صرت على بساطه أذنت ، قال : ثم ماذا؟ قال : فقط . قال : لقد كلفت صغيرًا ، وأعطيت كثيرًا، فلما خرج وصار على بساط قيصر[٣] أذن ، فحارت البطارقة[٤] ، واخترطوا سيوفهم ، فسبق إليه ملك الروم ، فجثا[٥] عليه ، وجعل يسألهم بحق عيسى ، وبحقه عليهم حتى كفوا، ثم ذهب إلى سريره حتى صعد به ، ثم جعله بين رجليه ، فقال : يا معشر البطارقة إن معاوية قد أسن ، ومن أسن أرق ، وقد آذته النواقيس ، فأراد أن يقتل هذا على الأذان فيقتل من ببلاده على ضرب النواقيس ، وبالله ليرجعن إليه على خلاف ما ظن فكساه وحمله ، فلما رجع إلى معاوية قال له : أو قد جئتني سالمًا ؟ قال: أما من قِبَلك فلا .

ويقال : ما ولى المسلمين أحد إلا وملك الروم مثله إن حازمًا وإن عاجزًا ، وكان الذي ملكه على عهد عمر بن الخطاب هو الذي دون لهم الدواوين ودوّخ[٦] لهم العدو ، وكان الذي على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه ، وعمله .

راهب سفاح ..

حدثنا رجل من الجند قال : خرجت من بعض بلدان الشام أريد قرية من قراها ، فلما صرت في الطريق، وقد سرت عدة فراسخ تعبت ، وكنت على دابة ، وعليها خرجي ، ورحلي، وقد قرب المساء ، فإذا بحصن عظيم وفيه راهب في صومعة ، فنزل إليّ واستقبلني ، وسألني المبيت عنده ، وأن يضيفني ففعلت ، فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيري ، فأخذ بدابتي ، وجعل رحلي في بيت ، وطرح للدابة الشعير ، وجاءني بماء حار ،وكان الزمان شديد البرد والثلج يسقط ، وأوقد بين يدي نارًا عظيمة، وجاء بطعام طيب ، فأكلت ، ومضت قطعة من الليل فأردت النوم ، فسألته عن طريق النوم ، ثم سألته عن طريق المستراح فدلني على طريقه ، وكان في غرفة فمشيت ، فلما صرت على باب المستراح إذا بارية[٧] عظيمة ، فلما صارت رجلاي عليها نزلت ، فإذا أنا في الصحرة ، وإذا البارية كانت مطروحة على غير سقف ، وكان الثلج تلك الليلة يسقط سقوطًا عظيماً ، فصحت فما كلمني، فقمت وقد تجرّح بدني ، إلا أني سالم ، فجئت فاستظللت بطاق

---

(١) الأرق : هو امتناع النوم عن العين ليلًا .
(٢) غسّان : اسم قبيلة .
(٣) قيصر : هو ملك الروم .
(٤) البطارقة : هم المقربون من الملك.
(٥) يقال : جثا على ركبتيه في الصلاة.
(٦) دوخ : أي أتعب .
(٧) البارية : حصيرة.

عند باب الحصـــن من الثلج ، فإذا حجرة لو جاءتني، وتمكنت من دماغي طحنته ، فخرجت أعدو[١] وأصيح ، فشتمني فعلمت أن ذلك من جانبه ، وطمع في رحلي ، فلما خرجت وقع الثلج عليَّ وبلَّ ثيابي ، ونظرت ، فإذا أنا تالف بالبرد والثلج ، فولد لي الفكر أن طلبت حجرًا فيه نحو ثلاثين رطلاً ، فوضعته على عاتقي[٢] ، وأقبلت أعدو في الصحراء شوطًا طويلاً حتى أتعب ، فإذا تعبت ، وحميت ، وعرقت طرحت الحجر، وجلست أستريح ، فإذا سكنت ، وأخذني البرد تناولت الحجر ، وسعيت كذلك إلى الغداة ، فلما كان قبل طلوع الشمس ، وأنا خلف الحصن إذ سمعت صوت باب الدير قد فتح ، وإذا أنا بالراهب قد خرج، وجاء إلى الموضع الذي قد سقطت منه ، فلما لم يرني قال : يا قوم ما فعل؟ وأنا أسمعه ، وأظنه المشوم قد رأى بقربه قرية ، فقام يمشي إليها كيف أعمل؟ قال : وأقبل يمشي ، فخالفته أنا إلى الباب، ودخلت الحصن ، وقد مشى هو من ذاك المكان يطلبني حوالي الحصن ، فحصلت أنا خلف باب الحصن، وقد كان في وسطي سكين لم يعلم بها الراهب ، فوقفت خلف الباب، فطاف الراهب ، فلما لم يقف لي على أثر عاد، ودخل ، وأغلق الباب، فحين خفت أن يراني أسرعت إليه ووجأته بالسكين، فصرعته، وذبحته ، وأغلقت باب الحصن ، وصعدت إلى الغرفة، واصطليت[٣] بنار كانت موقدة هناك، وطرحت عليَّ من تلك الثياب، وفتحت خرجي ولبست منه ثيابًا ، وأخذت كساء الراهب، فنمت فيه، فما أفقت إلا قريب العصر، ثم انتبهت فطفت بالحصن حتى وقعت على طعام ، فأكلت وسكنتْ نفسي ، ووقعت بمفاتيح بيوت الحصن، وأقبلت أفتح بيتًا بيتًا ، وإذا بأموال عظيمة من عين وورق وأمتعة ، وثياب وآلات، ورحال قوم وأخراجهم وحمولاتهم ، وإذا الراهب من عادته تلك الحال مع كل من يجتازه[٤] وحيدًا ويتمكن منه ، فلم أدر كيف أعمل في ثقل المال ، فلبست من ثياب الراهب شيئًا ووقفت في أتراءى أيامًا أترآى لمن يجتاز بي في الموضع من بعيد لئلا يشكوا في أني أنا هو، فإذا قربوا لم أبرز[٥] لهم وجهي إلى أن خفي خبري ، ثم نزعت تلك الثياب ، وأخذت جوالقين مما كان في الدير من تلك الأمتعة ، وملأتهما مالاً ، وجعلتهما على الدابة ، وسقتها إلى أقرب قرية كانت ، واكتريت فيها منزلاً ولم أزل أنقل منه الصامت حتى حملته كله ، ثم ماخف وكثرت قيمته ، حتى لم أدع إلا الأمتعة الثقيلة ، واكتريت عدة أحمال وحمير ورجَّالة ، وجئت بهم دفعة واحدة وحملت كل ما قدرت عليه وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة ، حتى قدمت بلدي ، وقد حصل لي عشرة آلاف درهم ودنانير كثيرة مع قيمة الأمتعة ، وغصت في الأرض فما عُرف خبري .

شارب أفيون ..

عن علي بن الحسن عن أبيه حدثنا جماعة من أهل جند نيسابور فيهم كتَّاب وتجَّار وغير ذلك أنه كان عندهم في سنة نيف وأربعين وثلثمائة ، شاب من كتَّاب النصارى ، وهو ابن أبي الطيب القلانسي ، فخرج إلى بعض شأنه في الرستَاق[٦] ، فأخذته الأكراد وعذبوه وطالبوه أن يشتري نفسه منهم ، فلم يفعل ، وكتب إلى أهله أنفذوا لي أربعة دراهم أفيون واعلموا أني أشربها ، فتلحقني سكتة ، فلا تشك إلى الأكراد

---

(١) أعدو : أسرع في المشي .
(٢) عاتقي : كتفي .
(٣) الاصطلاء : التدفئة بالنار من البرد .
(٤) يجتازه : يمر عليه ويستضاف عنده .
(٥) أبرز : أظهر .
(٦) الرستاق : هو السواد . وهو فارسيّ معرّب

أني قد مت فيحملوني إليكم ، فإذا حصلت عندكم ، فأدخلوني الحمَّام واضربوني ليحمي بدني وسوكوني بالأيارج، فإني أفيق .

وكان الفتى متخلقًا وقد سمع أنه من شرب أفيونًا[١] أسكت ، فإذا دخل الحمَّام ، وضرب وسوك بالأيارج بريء، فلم يعلم مقدار الشربة من ذلك ، فشرب أربعة دراهم فلم يشك الأكراد في موته، فلفوه في شيء ، وأنفذوه إلى أهله ، فلما حصل عندهم أدخلوه الحمَّام وضربوه وسوَّكوه[٢] ، فما تحرك وأقام في الحمَّام أيامًا ، ورآه أهل الطب ، فقالوا : قد تلف . كم شرب أفيونًا؟ قالوا : وزن أربعة دراهم . فقالوا لهم : هذا وشوي في جهنم ما عاش ، إنما يجوز أن يفعل هذا من شرب أربعة دوانيق[٣] أفيونًا أو وزن درهم[٤] أو حواليه ، فأما هذا ، فقد مات ، فلم يقبل أهله ذلك ، فتركوه في الحمَّام حتى أراح وتغيَّر فدفنوه ، وانعكست الحيلة على نفسه .

بلال بن بردة والحجاج ..

قال المحسن : وقد روي قديمًا مثل هذا أن بلال بن أبي بردة[٥] بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجَّاج ، وكان يعذبه وكان كل من مات من الحبس رفع خبره إلى الحجاج ، فيأمر بإخراجه، وتسليمه إلى أهله، فقال بلال للسجّان : خذ مني عشرة آلاف درهم ، وأخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى ، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض ، فلم يعرف الحجاج خبري، وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعليَّ غناك أبدًا ، فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى، فقال الحجاج : مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه ، هاته . فعاد إلى بلال فقال : أعهد . قال : وما الخبر؟ قال : إن الحجاج قال كيت وكيت ، فإن لم أحضرك إليه ميتًا قتلني ، وعلم أني أردت الحيلة عليه ، ولا بد أن أقتلك خنقًا فبكى بلال وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى وصلى ، فأخذه السجان وخنقه، وأخرجه إلى الحجاج ، فلما رآه ميتًا قال : سلمه إلى أهله فأخذوه، وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه .

وذكر ابن جرير وغيره أن المنصور دفع عبد الله بن علي إلى عيسى بن موسى سرًّا بالليل قال: يا عيسى، إن هذا أراد أن يزيل[٦] نعمتي ونعمتك، وأنت ولي عهدي بعد المهدي، والخلافة صائرة إليك ، فخذه فاضرب عنقه، وإياك أن تخور[٧] أو تضعف، ثم كتب إليه: ما فعلت فيما أمرتك به، فكتب إليه : قد أنفذت ما أمرتني به ، فلم يشك في أنه قتله ، وكان عيسى قد أخبر كاتبه بالحال ، فقال : إنما أراد قتلك وقتله لأنه أمرك أن تقتله سرًّا ثم يدعيه عليك علانية فيقيد به ، قال : فما الرأي؟ قال : أن تستره في منزلك ، فإن طلبه منك علانية أظهرته علانية .

---

(١) الأفيون : نوع خبيث من أنواع المخدّرات وهو حرام على المسلم.

(٢) سوّكوه : غسلوا أسنانه بالسواك .

(٣) دوانيق : الدانق هو سدس الدرهم .

(٤) الدرهم : معروف : وهو فارسيّ معرّب .

(٥) هو بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري ، كان قاضيًا على البصرة ، ثم عُزل وسجن ، ومات في السجن سنة ١٢٦ هـ . كان ثقة في الحديث وروى له البخاري حديثًا واحدًا .

(٦) إزالة الشيء . القضاء عليه .

(٧) الخور : الجبن والخوف .

ثم إن المنصور دسَّ على عمومته من يحركهم على مسألة عن عبد الله بن علي ويطمعهم في أنه سيفعل وكلموه ورافعوه، فقال: علي بعيسى بن موسى، فأتاه، فقال: يا عيسى، قد علمت أني دفعت إليك عبد الله بن علي، وقد كلموني فيه فأتني به، فقال يا أمير المؤمنين: ألم تأمرني بقتله؟ ثم قال لعمومته: قد أقر لكم بقتل ابن أخيكم فادعي أني أمرته بقتله وكذب، قالوا: فادفعه إلينا نقيده. قال: شأنكم به فخرجوه إلى الرحبة[١]، واجتمع الناس، فشهر أحدهم سيفه، وتقدم إلى عيسى ليضربه، فقال له عيسى: أقاتلي أنت؟ قال: أي والله قال: ردوني[٢] إلى أمير المؤمنين، فردوه، فقال: إنما أردت بقتله أن تقتلني. هذا عمك حي سوي فأتاه به.

خادم طبيب..

حدثنا الحارثي قال: اجتزت ببغداد في أيام المقتدر، وأنا أحدث مع جماعة من مجان أصحاب الحديث، وإذا بخادم خصي جالس على دكة في الطريق وبين يديه أدوية ومكاحل ومباضع، وعلى رأسه مظلة خرق كما يكون الطبيب، فقلت لأصحابنا: ما هذا؟ فقالوا: خادم طبيب يصف للناس ويعالج ويأخذ الدراهم، وهذا من عجائب بغداد، فقلت: أنا أحب أن أخاطبه لأنظر كيف فهمه، فقال واحد منهم: فهمه لا أدري ولكن نحب أن تعبث به، فتقدم إليه وتغاشى وتماوت وتمارض وقال: يا أستاذ يا أستاذ دفعات، فضجر الخادم وقال: قل. لا شفاك الله أيش أصابك أي طاعون ضربك؟ قال: فقال له: يا أستاذ، أجد ظلمة في أحشائي ومغصًا في أطراف شعري، وما آكله اليوم يخرج غدًا مثل الجيفة، فصف لي صفة لما أنا فيه، قال: وكان الخادم قد أعد الجواب، فقال: أما ما تجده من مغص في أطراف شعرك فاحلق رأسك ولحيتك حتى يذهب مغصك، وأما ظلمة في أحشاك، فعلق على باب حجرتك قنديلاً يضيء مثل السَّاباط[٣]، وأما ما تأكله اليوم يخرج غدًا مثل الجيفة فكل خرا واربح النفقة. قال: فعطعط[٤] بنا العامة القيام، وضحكوا بنا، وانقلب الطنز[٥] الذي أردنا بالخادم، وصار طنزًا بنا، فصار أقصى إرادتنا الهرب، فهربنا.

مع الإمام الباقلاني..

حدثنا الحسين بن عثمان وغيره: أن عضد الدولة بعث القاضي أبا بكر الباقلاني[٦] في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله من العلم، فأفكر الملك في أمره، وعلم أنه لا يفكر له إذا دخل عليه كما جرى رسم الرعية أن يقبّل الأرض بين يدي الملك، فنتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحد أن يدخل منه، إلا راكعًا ليدخل القاضي منه على تلك الحال عوضًا من تفكيره بين يديه، فلما وصل القاضي إلى المكان فطن بالقصة، فأدار ظهره وحنى رأسه، ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب وجهه وأدار وجهه حينئذ إلى الملك، فعلم الملك من فطنته وهابه.

وقد روينا أن مزينة أسرت ثابتًا[٧] أبا حسان الأنصاري، وقالوا: لا نأخذ فداءه إلا تيسًا فغضب قومه وقالوا: لا نفعل هذا، فأرسل إليهم أعطوهم ما طلبوا، فلما جاءوا بالتيس. قال: أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم، فسموا مزينة التيس، فصار لهم لقبًا وعبثًا.

---

(١) الرحبة: كل مكان متسع يقال له: رحبة. (٢) ردوني: أي أعيدوني.
(٣) الساباط: سقيفة بين حائطين بينهما طريق. (٤) العطعطة: السخرية. (٥) الطنز: السخرية والاستهزاء.
(٦) أبو بكر الباقلاني: هو قاضي قضاة عصره، وصاحب «أعجاز القرآن». (٧) ثابت: هو والد حسان شاعر الرسول ﷺ.

بين مهيار الشاعر والمطرز ..

كان مهيار الشاعر ألحى[١] والمطرز الشاعر كوسجًا[٢] ، فمرّ بأبي الحسن الجهرمي فقال :

أضرِطْ على الكَوْسَجِ والألحَى ... وزِدْهُما إن غَضِبَا سَلْحا

وأراد أن يتهاه ، فقال له المطرّز : فكيف وقع لك أن تذكر علي بن أبي علي حاجب القادر بالله، والحسن بن أحمد صاحب القادر بعد علي بن أبي علي ، وكان علي ألحى والحسن كوسجًا ، فانزعج الجهرمي وخاف أن يبلغه ذلك ، فيقابل عليه ، فكتب إلى مهيار الديلمي يستعطفه :

أبا الحَسَن اصْفَحْ إنَّ مثلي مَنْ جَنَى ... ومِثْلَكَ مَنْ أعفى من العدو أو عَفَا

أنِن طَوَّحَتْ بي هَفْوَةٌ قلت جَفْوَةً ... وَخَمَّلْتُ سَمْعي من عِتابكَ ما حَفَا

فقيه خطه رديء ..

حدثني أبو بكر الخطاط قال : كان رجل فقيه خطه في غاية الرداءة ، فكان الفقهاء يعيبونه بخطه ، ويقولون : لا يكون خط أردأ من خطك ، فيضجر من عيبهم إياه ، فمر يومًا بمجلد يباع فيه خط أردأ من خطه ، فبالغ في ثمنه ، فاشتراه بدينار وقيراط ، وجاء به ليحتج عليهم إذا قرءوه ، فلما حضر معهم أخذوا يذكرون قبح خطه ، فقال لهم : قد وجدت أقبح من خطي وبالغت في ثمنه ، حتى أتخلص من عيبكم ، فأخرجه فتصفحوه ، وإذا في آخره اسمه وأنه كتبه في شبابه ، فخجل من ذلك .

قال : كان بالبصرة مغنية حذرها[٣] خمس دنانير ، وكانت مفرطة[٤] في حسن الصورة والغناء إلا أنها بدوية تقلبْ القاف كافًا ، فدعيت لبعض أمراء البصرة ، فغنت : ومالي لا أبكي وأندب. فجاء في كلامها وأندب ناكتي فقال الأمير وزنًا خمسة دنانير ، فإذا كنت تندبيننا فما نريد أن تقيمي عندنا، فصرفها وقد خجلت[٥] والله أعلم .

الباب الثامن عشر : في ذكر من وقع في آفة فتخلص منها بالحيلة

الأدب يُنجي صاحبه ..

ذكر أن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- استعمل رجلاً من قريش على عمل ، فبلغه أنه قال:

اسْقِني شَرْبَةً ألَذّ عليها ... واسْقِ بالله مِثْلَها ابنَ هِشَام

فأشخصه إليه ، وذكر أنه إنما أشخصه من أجل البيت ، فضم إليه آخر فلما قدم عليه قال : ألست القائل:

اسقني شربةً ألذّ عليها ... واسق بالله مثلها ابن هشام

قال : نعم يا أمير المؤمنين :

لعلّه عللاً باردًا بماء سحاب ... إنّني لا أحبّ شرب المدام[٦]

---

(١) الألحى : صاحب لحية . (٢) الكوسج : الذي لا شعر له في وجهه . (٣) أي ثمنها .
(٤) الإفراط في الشيء الزيادة على الحد الواجب له . (٥) خجلت : أخرجت . (٦) المدام : الخمر .

شقائق النعمان ..

قال : حدثني عبيد راوية الأعشى [١] قال: خرج النعمان إلى ظهر الحيرة، وكان معشابًا، وكانت العرب تسميه خد العذراء فيه نبت الشيح، والقيصوم والخزامي والزعفران وشقائق النعمان [٢] والأقحوان فمر بالشقائق، فأعجبته فقال: من نزع من هذا شيئًا فانزعوا كفه، قال : فسميت شقائق النعمان: قال : فإنه ليسير فيها يومًا فانتهى إلى وهدة في طرق النجف، وإذا شيخ يخصف نعلاً، فوقف عليه وقد سبق أصحابه، فقال : ممن أنت يا شيخ؟ قال: من بكر بن وائل ، فقال يا شيخ : مالك هاهنا؟ قال : طرد النعمان الرعاة فأخذوا يمينًا وشمالاً ، ووجدت وهدة خالية فنتجت الإبل وولدت الغنم وسالت السمن ، فقال : أو ما تخاف النعمان؟ قال : وما أخاف منه ،والله لربما لمست بيدي هذه ما بين سرة أمه وعانتها ، كأنه أرنب جاثم. قال : أنت أيها الشيخ؟ قال : نعم. قال : فهاج وجهه غضبًا وطلعت أوائل خيله ، فقالوا : جيت أبيت اللعن قال : وحسر عن رأسه فإذا خرزات ملكه فقال النعمان : أيها الشيخ كيف قلت؟ قال : أبيت اللعن لا يهولنَّكَ ذاك ، والله لقد علمتُ العرب أنه ليس بين لابتيها أكذب مني ، فضحك ثم مضى .

قال : طلب الحجاج [٣] الحكم بن أيوب بن جبر بن حبيب ، فخشي أن يجيء به فيعاقبه ، فقال : تركته يتحرك رأسه يصب في حلقه الماء ، والله لئن حمل على سرير لتكونن عورة ، فقيل له : انصرف.

حدثنا محمد بن قتيبة في حديث عبد الله بن مسعود [٤] : أنه ذكر بني إسرائيل وتحريفهم وتغييرهم، وذكر عالمًا كان فيهم عرضوا عليه كتابًا اختلقوه على الله عز وجل ، فأخذ ورقة فيها كتاب الله عز وجل، ثم جعلها في قرن ، ثم علقه في عنقه ، ثم لبس عليه الثياب ، فقالوا : أتؤمن بهذا ؟ قال : فأومأ بيده إلى صدره وقال : آمنت بهذا الكتاب . يعني الكتاب الذي في القرن ، فلما حضره الموت نبشوه ، فوجدوا القرن والكتاب ، فقالوا : إنما عَنِيَ [٥] هذا .

اضربوا عنقه..

وعن الأصمعي عن أبيه قال : أتى عبد الملك بن مروان برجل كان مع بعض من خرج عليه، فقال: اضربوا عنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما كان هذا جزائي منك . قال : وما جزاؤك؟ قال : والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك وذلك أني رجل مشئوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم، وقد بان لك صحة ما ادعيت ، وكنت لك خيرًا من مائة ألف معك، فضحك وخلى سبيله .

إن مرضت مرضتُ ..

وقال إسحق بن إبراهيم الموصلي ، قال شبيب بن شبة : دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس وليس عنده أحد ، فقال : يا أمير المؤمنين إني والله ما زلت منذ قلـدك الله خلافته أطلب أن أصير إلى

---

(١) الأعشى : اسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذهل . شاعر إسلامي من سكان الكوفة وكان مرواني المذهب ، شديد الغضب لبني أمية . «انظر شخصيات الأغاني» .

(٢) كل ما ذكر من قيصوم وزعفران وشقائق النعمان : أنواع من الزهر والطيب .

(٣) هو الحجاج الثقفي شيطان ثقيف ووالبها . وقد ترجم له .

(٤) هو عبد الله بن مسعود الصحابي الكريم كان ضعيف البنية ، رفيع الساق ، قال الرسول ﷺ عنه : إن ساقه في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد .

(٥) عنى : أي أراد .

مثل هذا الموقف في هذه الخلوة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى أفرغ فعل. قال : فأمر الحاجب بذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إني فكرت في أمرك وأجلت الفكر فيك، فلم أر أحدًا له مثل قدرك اتساعًا في الاستمتاع بالنساء منك ، ولا بأضيق فيهن عيشًا ، إنك ملّكت نفسك امرأة من نساء العالمين ، واقتصرت عليها ، فإن مرضت مرضت ، وإن غابت غبت ، وإن عركت عركت ، وحرمت يا أمير المؤمنين نفسك من التلذذ بأطراف الجواري ، ومعرفة اختلاف أحوالهم والتلذذ بما يشتهي منهم . إن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة التي تُشتهي لجسمها ، والبيضاء التي تُحب لروعتها ، والسمراء اللعساء [١] والصفراء العجزاء [٢] ، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر ، وبنات سائر الملوك ، وما يشتهي من نظافتهن ، وتخلل خالد بلسانه فأطنب [٣] في صفات ضروب الجواري وشوقه إليهن ، فلما فرغ قال : ويحك والله ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا ، فأعد عليّ كلامك فقد وقع مني موقعًا فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه ، ثم انصرف وبقي أبو العباس متفكرًا ، فدخلت عليه أم سلمة ، وكان قد حلف أن لا يتخذ عليها ووفى ، فلما رأته مفكرًا قالت : إني لأنكرك يا أمير المؤمنين، فهل حدث شيء تكرهه وأتاك خبر ارتعت له؟ قال : لا ، فلم تزل تستخبره حتى أخبرها بمقالة خالد . قالت : فما قلت لابن الفاعلة؟ فقال لها : ينصحني وتشتميه ، فخرجت إلى مواليها فأمرتهم بضرب خالد ، فخرجت من الدار مسرورا بما ألقيت إلى أمير المؤمنين ولم أشك في الصّلة [٤] ، فبينما أنا واقف أقبلوا يسألون عني فحققت الجائزة ، فقلت لهم : هأنذا ، فاستبق إليّ أحدهم بخشبة ، فغمزت [٥] برذوني ولحقني فضرب كفله ، وركضت فَفُتُّهم واستخفيت في منزلي أيامًا ، ووقع في قلبي أني أتيت من قبل أم سلمة، فما أشعر إلا بقوم قد هجموا عليّ وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فسبق إلى قلبي أنه الموت ، فقلت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، لم أر دم شيخ أضيع من دمي ، فركبت إلى دار أمير المؤمنين ، فلقيته خاليًا ، فنظرت في المجلس بينا عليه ستور رقاق ، وسمعت حسًا خلف الستر ، فقال : ويحك وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها ، فقلت : نعم ياأمير المؤمنين أعلمتك أن النساء أكثر من واحدة إلا ضُرَرٌ وتنغص ، فقال له أبو العباس : لم يكن هذا للعرب إنما اشتقت اسم الضرتين من الضرر ، وإن أحد لم يكن عنده من في الحديث . قال: بلى يا أمير المؤمنين ، وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأنهن في القِدْر يغلي عليهن ، قال : برئت من قرابتي من رسول الله ﷺ إن كنت سمعت هذا منك ولا مرَّ في حديثك. قال : وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجموع لصاحبه يشينه ويهرمنه . قال : لا والله ما سمعت هذا منك . قلت: بلى والله . قال : أفتكذبني؟ قلت : أفتقتلني؟ نعم ، والله يا أمير المؤمنين إن أبكار الإماء رجال إلا أنه ليست لهن خصى. قال خالد : فسمعت ضحكا من خلف الستر، ثم قلت : نعم والله وأخبرتك أن عندك ريحانة قريش ، وأنت تطمح بعينك إلى النساء والجواري، قال : فقيل من وراء الستر : صدقت والله يا عماه بهذا حدثته ، ولكنه غيَّر حديثك ، ونطق من لسانك ، فقال أبو العباس : مالك قاتلك الله . قال : وانسللت ، فبعثتْ إليّ أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتخت ثياب .

---

(١) اللعساء : هي التي تضرب إلى السواد قليلاً .

(٢) العجزاء : هي عظيمة العُجز ، وهو مؤخر الشيء .

(٣) أطنب : أي أطال .

(٤) الصّلة : هي الجائزة المرجوة منه .

(٥) الغمز : إشارة باليد أو الرجل .

أم محجن وزوجها ..

حدثني رجل من بني نوفل بن عبد مناف قال : لما أصاب نصيب من المال ما أصاب ، وكان عنده أم محجن وكانت سوداء اشتاق إلى البياض ، فتزوج امرأة سرية بيضاء ، فغضبت أم محجن وغارت عليه ، فقال لها : والله يا أم محجن ما مثلي يغار عليه . إني شيخ كبير ، وما مثلك يغار إنك لعجوز كبيرة ، وما أحد أكرم عليّ منك ولا أوجب حقًا ، فجوزي[١] هذا الأمر ولا تكدريه[٢] عليّ . فرضيت وقرت ، ثم قال لها بعد ذلك : هل لك أن أجمع إليك زوجتي الجديدة، فهو أصلح لذات البين، وألم للشعث وأبعد للشماتة ؟ فقالت : نعم أفعل، وأعطاها دينارًا ، وقال لها : إني أكره أن ترى بك خصاصة أن تفضل عليك ، فاعملي لها إذا أصبحت عندك غداء بهذا الدينار ، ثم أتى زوجته الجديدة ، فقال لها : إني أردت أن أجمعك إلى أم محجن غدًا ، وهي مكرمتك وأكره أن تفضل عليك أم محجن ، فخذي هذا الدينار فأعدي لها به إذا أصبحت عندها غداء لئلا ترى بك خصاصة ، ولا تذكري لها الدينار ، ثم أتى صاحبًا له يستنصحه[٣] فقال : إني أريد أن أجمع زوجتي الجديدة إلى أم محجن غدًا ، فأتني مسلماً ، فإني سأستجلسك للغداء ، فإذا تغديت فسلني عن أحبها إليّ ، فإني سأنفر وأعظم ذلك ، فإذا أبيت عليك أن لا أخبرك فاحلف عليّ . فلما كان الغد، زارت زوجته الجديدة أم محجن ، ومر به صديقه ، فاستجلسه ، فلما تغديا أقبل الرجل عليه ، فقال : يا أبا محجن أحب أن تخبرني عن أحب زوجتيك إليك . فقال : سبحان الله : أتسألني عن هذا ، وهما يسمعان، ما سأل عن مثل هذا أحد . قال : فإني أقسم عليك لتخبرني ، فوالله لا عذرتك ولا أقبل إلا ذاك. قال : أما إذا فعلت فأحبها إليّ صاحبة الدينار والله لا أزيد على هذا شيئًا ، فأعرضت كل واحدة منهما تضحك ونفسها مسرورة ، وهي تظن أنه عناها بذلك القول .

قال : حدثني القاضي أبو الحسن بن عتبة قال : كانت لي ابنة عم موسرة[٤] وتزوجتها ، فلم أوثرها لشيء من الجمال ، ولكني كنت أستعين بها ، وأتزوج سرًا ، فإذا فطنت بذلك هجرتني وطرحتني وضيقت عليّ إلى أن أطلق من تزوجتها ، ثم تعود إليّ ، فطال ذلك عليّ ، وتزوجت صبية حسناء موافقة لطباعي مساعدة على اختياري، فمكثت معي مدة يسيرة وسعى بها إلى ابنة عمي ، فأخذت في المناكدة والتضييق عليّ ، فلم يسهل عليّ فراق تلك الصبية فقلت لها : استعيري من كل جارة قطعة من أفخر ثيابها ،حتى يتكامل لك خلعة تامة الجمال ، وتبخري بالعنبر[٥] واذهبي إلى ابنة عمي فابكي بين يديها ، وأكثري من الدعاء لها والتضرع إليها إلى أن تضجريها ، فإذا سألتك عن حالك ، فقولي لها : إن ابن عمي قد تزوجني ، وفي كل وقت يتزوج عليّ واحدة ، وينفق مالي عليها، وأريد أن تسألي القاضي معونتي وإنصافي منه، فإني أقدمه إليه ، فإنها سترفعك إليّ ، ففعلت فلما دخلت عليها واتصل بكاؤها رحمتها ، وقالت لها : فالقاضي شر من زوجك ، وهكذا يفعل بي ، وقامت فدخلت عليّ ، وأنا في مجلس لي وهي غضبى ويد الصبية في يدها ، فقالت : هذه المشئومة حالها مثل حالي ، فاسمع مقالها واعتمد إنصافها ، فقلت : ادخلا ، فدخلتا جميعًا ، فقلت لها : ما شأنك؟ قالت : فذكرت ما وافقها عليه ، فقلت لها : هل اعترف ابن عمك بأنه قد تزوج عليك ؟ فقالت : لا ، والله . وكيف يعترف بما يعلم إني لا أقاره عليه . قلت : فشاهدت أنت هذه المرأة وقفت على مكانها وصورتها، فقالت : لا والله . فقلت : يا هذه اتقي الله ولا تقبلي شيئًا سمعته ، فإن الحسّاد

---

(١) جوّزي هذا الأمر : اجعليه جائزًا . (٢) الكدر : ضد الصفاء . (٣) يستنصحه : يطلب منه النصيحة .
(٤) موسرة : غنية ذات مال . (٥) العنبر : نوع من الطيب .

كثير والطلاب لإفساد النساء كثير ، والحيل والتكذيب ، فهذه زوجتي قد ذُكِرَ لها أني تزوجت عليها، وكل زوجة لي وراء هذا الباب طالق ثلاثًا ، فقامت ابنة عمي فقبَّلت رأسي وقالت : قد علمت أنه مكذوب عليك أيها القاضي ، ولم يلزمني حنث لاجتماعهما بحضرتي .

الانتقام عدل ..

حدثنا الأصمعي قال : أتى المنصور[١] برجل ليعاقبه على شيء بلغه عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين! الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس[٢] النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين ، فعفا عنه .

حدثنا أبو الحسن المدائني أن أحمد بن سميط أسر خمسمائة فأتى بهم المختار ، فقتل مائتين وأربعين وحبس بعضًا ، ومنَّ على بعض ، فكان ممن حبس من الأسر سراقة بن مرداس البارقي، ثم أمر بقتله فقال : لا والله لا تقتلني ، حتى أنقض معك داري حجرًا حجرًا . قال : وما يدريك؟ قال : الأخبار الصادقة التي جاءت بها الكتب الناطقة ، فأقبل المختار على عبد الله بن كامل وعلى أبي عمرة ، فقال : من يظهر أسرارنا؟ فأمر بتخليته ، فقال سراقة : إنا قد أسرنا قوم لا نراهم . قال : هم هؤلاء وهم شرط الله . قال : لا والله لقد أسرنا قوم عليهم عمائم حمر على خيل بلق تطير بين السماء والأرض، قال : هذه الملائكة، فأعلم الناس ذلك يا سراقة . قال : فصعدت منارة وأعلمت الناس وحلفت لهم ، فخلى سبيلي .

ما نخاف على ركابنا غيره ..

حدثنا ابن عياض قال : استؤمن لعباس بن سهل بن سعد الساعدي من مسلم بن عقبة يوم الحرة ، فأبى[٣] أن يؤمنه فأتوه به ودعا بالغداء ، فقال عباس : أصلح الله الأمير ، والله لكأنهما جفنة أبيك كان يخرج عليه مطرف حرة حتى يجلس بفنائها ، ثم يضع جفنته بين يدي من حضر . قال : صدقت كان كذلك ، أنت آمن . فقيل للعباس : كان أبوه كما قلت؟ قال : لا والله ، لقد رأيته في عناء[٤] بحرة ما نخاف على ركابنا ، ومتاعنا أن يسرقه غيره .

لو أخطأتها لقتلتك ..

حدثنا دريد ، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي[٥] ، عن عمه قال : بعث إليَّ الرشيد ، فدخلت فإذا صبية، فقال : من هذه الصبية؟ فقلت : لا أدري . قال : هذه مواسة بنت أمير المؤمنين ، فدعوت لها وله. قال : نعم ، فقبَّل رأسها ، فقلت : إن أطعته أدركته الغيرة ، فقتلني، وإن أنا عصيتُه قتلني بمعصية ، فوضعت كُمي على رأسها وقبلت كمي ، فقال : والله ياأصمعي لو أخطأتها قتلتك . أعطوه عشرة آلاف درهم .

واصل بن عطاء والخوارج ..

حدثنا ابن البهلول أن أبا حذيفة واصل بن عطاء[٦] خرج يريد سفرًا في رهْط ، فاعترضهم جيش من الخوارج، فقال واصل : لا ينطقن أحد ودعوني معهم ، فقصدهم واصل ، فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا بهم،

---

(١) المنصور : أحد خلفاء الدولة العباسية والمؤسس الأول لها .(٢) الوكس : النقص وهي من باب وعد .

(٣) أبى : امتنع . (٤) العناء : الشدة . (٥) عبد الرحمن بن أخي الأصمعي : له روايات كثيرة عن عمه .

(٦) واصل بن عطاء : هو زعيم المعتزلة . كان يجلس في مجلس الحسن البصري ، ثم اختلف معه في مسألة ، فاعتزل المجلس فقال الحسن : اعتزلنا واصل . وقد حُكي عنه أنه كان صاحب ورع

فقال : كيف تستحلون هذا وما تدرون من نحن ولا لأي شيء جئنا ؟ فقالوا : نعم. فما أنتم؟ قال : قوم من المشركين جئناكم لنسمع كلام الله . قال : فكفوا عنهم ، وبدأ رجل منهم يقرأ عليهم القرآن فلما أمسك قال واصل : قد سمعنا كلام الله ، فأبلغنا مأمننا حتى ننظر فيه ، وكيف ندخل في الدين ، فقال : هذا واجب . سيروا ، فسرنا والخوارج - والله - معنا يحموننا فراسخ، حتى قربنا إلى بلد لا سلطان لهم عليه ، فانصرفوا .

أنا المطلب ..

قال أبو إسحق الجهمي : لما صرف الحجاج قال لغلام له : تعال نتنكر وننظر مالنا عند الناس ، فتنكرا وخرجا ، فمرا على المطلب غلام أبي لهب ، فقالا : يا هذا! أي شيء على الحجاج؟ قال : على الحجاج لعنة الله . قالا : فمتى يخرج؟ قال : أخرج الله روحه من بين جنبيه ما يدريني. قال : أتعرفني؟ قال : لا . قال : أنا الحجاج بن يوسف . قال المطلب : أتعرفني أنت؟ قال : لا . قال : أنا المطلب غلام أبي لهب معروف ، أصرع في كل شهر ثلاثة أيام أولها اليوم ، فتركه ومضى .

أبو ثور المجنون ..

وحكى أبو الحسن بن هلال الصابي أن الحجاج انفرد يومًا من عسكره ، فمر ببستاني يسقي ضيعته، فقال : كيف حالكم مع الحجاج؟ فقال : لعنه الله المبيد البر ، الحقود عجَّل الله الانتقام منه ، فقال له : أتعرفني؟ قال : لا . قال : أنا الحجاج ، فرأى أن دمه قد طاح [١] ، فرفع عصا كانت معه ، فقال : أتعرفني؟ قال : لا . قال : أنا أبو ثور المجنون ، وهذا يوم صرعى ، وأزبد [٢] وأرغى وهَاج، وأراد أن يضرب رأسه بالعصي ، فضحك منه وانصرف .

وبلغنا أن الحجاج انفرد يومًا عن عسكره، فلقي أعرابيًا، فقال: يا وجه العرب، كيف الحجاج؟ قال: ظالم غاشم. قال: فهلا شكوته إلى عبد الملك؟ فقال: لعنه الله أظلم منه وأغشم، فأحاط به العسكر، فقال: أركبوا البدوي، فأركبوه، فسأل عنه، فقالوا : هو الحجاج، فركض من الفرس خلفه، وقال: يا حجاج! قال: مالك؟ قال : السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد ، فضحك وخلاه [٣].

لابد من قتلك ..

ولقي الحجاج أعرابيًا بفلاة [٤] فسأله عن نفسه ، وعن عياله وسعاته ، فأخبره بكل ما يكره، فقال له : أنا الحجاج قتلني الله إن لم أقتلك ، قال : فأين حق الاسترسال؟ قال : أولى لك ما أحسن ما تخلصت وخلى سبيله .

ابن السماك ..

قال : كان أبو الحسين بن السماك يتكلم على الناس بجامع المدينة ، وكان لا يحسن من العلوم شيئًا إلاَّ ما شاء الله ، وكان مطبوعًا يتكلم على مذهب الصوفية [٥] ، فكتبت إليه رقعة : ما يقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا؟ ففتحها فتأملها فقرأ : ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات، فلما رآها في الفرائض [٦] رماها من يده ، وقال : أنا أتكلم على مذاهب قوم إذا ماتوا لم يخلفوا شيئًا ، فعجب الحاضرون من حدة خاطره .

اسمع تمام حديثي ..

ويُحكى أن مزيدًا كان يدخل على بعض ولاة المدينة ، فأبطأ عليه ذات يوم ، ثم جاء ، فقال: ما أبطأك عني؟

---

(١) أي أنه لا بد مقتول بسبب ما قاله (٢) أزبد: أي أخرج فقاعات اللعاب من فمه (٣) خلاه : تركه. (٤) الفلاة : الصحراء القاحلة
(٥) الصوفية : مأخوذة من الصفاء . قيل : صافى فصوفي لهذا سُمِّي الصوفي (٦) علم الفرائض : هو علم المواريث.

قال : جارة لي كنت أهواها منذ حين ، فظفرت بها ليلتي وتمكنت منها ، فغضب الوالي ، وقال : والله لآخذنَّك بإقرار، فلما رأى الجد منه ، قال : فاسمع تمام حديثي ، قال : وما هو؟ قال : فلما أصبحت خرجْتُ أطلب مفسرًا يفسر لي رؤياي ، فلم أقدر عليه إلى الساعة . قال : ذلك في المنام رأيت؟ قال : نعم. فسكن غضبه .

أبو دلف ..

وقد روينا عن أبي الفضل الربعي عن أبيه قال : قال المأمون يومًا وهو مغضب لأبي دلف أنت الذي يقول فيك الشاعر :

إنَّما الدُّنيا أبو دلف ... بين باديه ومُحتضره
فإذا ولَّى أبو دلف ... ولّت الدُّنيا على أثره

فقال : يا أمير المؤمنين ، شهادة زور ، وقول عزور[1] وملق[2] معتاف وطلب عراف ، وأصدق منه ابن أخت لي حيث يقول :

دعيني أجوبُ الأرضَ في طَلَبِ الغِنَى ... فلاَ الكرخ الدُّنيا ولا الناسَ قاسِم

فضحك المأمون وسكن غضبه .

عزة وبثينة ..

ورُوي أن عزة وبثينة اجتمعتا فتحدثتا ، فأقبل كثيِّر ، فقالت بثينة : أتحبين أن أبين لك أن كُثيِّرًا غير صادق في محبتك؟ قالت : نعم . قالت : ادخلي الخباء ، فدخلت فدنا كثيِّر فوقف على بثينة ، فسلم عليها ، فقالت له: ما تركت عزة فيك مستمعًا لأحد ، فقال كثيِّر : والله لو أن عزة أمة لوهبتها لك ، فقالت : إن كنت صادقًا فقل في هذا شعرًا فأنشأ يقول :

رَمَتْني عَلَى عَمْدٍ بثينة بعدَما ... تولّى شبابي وارجحنَ شبابُها
بعينين نَجْلاوين لو رَقْرقَتهَا ... لنوء الثريا لاستهلَّ سَحَابُها

فبادرت عزة وكشفت الحجاب ، وقالت له : يا فاسق ! قد سمعت البيتين ، فقال لها : فاسمعي الثالث. قالت : وما هو ؟ قال :

ولكنَّما تَرمين نفسًا سقيمةً ... لعزّة منها صفوها ولبابُها

فاستحسنت عذره .

يا معاوية هل وفيت ؟ ..

وذكر أبو هلال العسكري[3] أن رجلا كانت له صديقة لها زوج غائب ، وكان يأتيها على طمأنينة ، فقدم زوجها ، فدخل فرأى الرجل نائما ، فظنه المرأة ، فأخذ برجليه ، فوثب إلى السيف، وكان في جيرانه معاوية بن ستار، فنادى : يا معاوية ! هل وفيت؟ فتوهم الزوج أنه جعل له على ما فعل ، وعلم معاوية أنه مكروب ، فقال : نعم ، وتعليت ، فخلاَّه الزوج . وحكى أبو الحسن بن الصابي أن مغنية غنت بين يدي المهدي :

ما نِقَموا من بَني أُمَيَّة إلاَّ ... أنَّهم يسفَهون إذا غضبوا

فقيل لها : غلطت . فقالت : غلطي يذكرني هذا البيت فأصلحته بما سمعتم .

---

(١) قول عزور : يحتاج إلى تعزير القاضي ، والتعزير عقوبة .(٢) الملق : هو من يعطي بلسانه ما ليس في قلبه .
(٣) أبو هلال العسكري : هو عالم اللغة والبلاغة الشهير ومن أعظم مؤلفاته كتاب «الصناعتين» .

الباب التاسع عشر: في ذكر من استعمل بذكائه المعاريض

لا يدخل الجنة عجوز! ..

أخبرنا سعيد بن المسيب[١] أن عائشة - رضي الله عنها - سُئلت، هل كان رسول الله ﷺ يمزح؟ قالت: نعم. كان عندي عجوز، فدخل رسول الله ﷺ فقالت: ادع الله أن يجعلني من أهل الجنة. قال: «إن الجنة لا تدخلها العجائز» وسمع النداء، فخرج، ودخل وهي تبكي، فقال: ما لها؟ قالوا: إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز. قال: «إن الله يحولهنّ أبكارًا عُربًا أترابًا»[٢]

كل خير أرجوه من ربي ..

قال: وحدثنا الحرث بن نوفل أن العبّاس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله! ما ترجو لأبي طالب؟ قال: «كل خير أرجو من ربي»[٣]

من زوْجُك؟

وحدثنا القرشي قال: دخلت امرأة على رسول الله ﷺ، فقال: «من زوجك؟»، فسمتُهُ له، فقال: «الذي في عينيه بياض»[٤]؟، فرجعت، فجعلت تنظر إلى زوجها، فقال: مالكِ[٥]؟ قالت: قال رسول الله ﷺ: زوجك فلان؟ قلت: نعم. قال: الذي في عينيه بياض؟ قال: أوليس البياض في عيني أكثر من السواد؟.

نحملك على ولد ناقة ..

حدثنا أنس بن مالك[٦] قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ليستحمله، قال: «أنا حاملك على ولد ناقة» قال: يا رسول الله: وما أصنع بولد ناقة؟ قال: «وهل تلد الإبل إلا النوق».

نحن من ماء ..

حدثنا محمد بن سلمى، عن محمد بن إسحق[٧] أن رسول الله ﷺ، لما سار إلى بدر، نزل قريبا منها، ثم ركب هو ورجل من أصحابه. قال ابن إسحق: حدثني محمد بن يحيى بن حِبّان أنه وقف على شيخ، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما. فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتَنا أخْبرناكَ». قال: وذاك بذاك، ثم قال الشيخ: إنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدَقَني[٨] الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا، وكذا، بالمكان الذي فيه رسول الله ﷺ، وبلغنا أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدَقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا

---

(١) هو سعيد بن المسيب. التابعي الثقة بل سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وهو فقيه، محدث، ورع، كان من أحفظ الناس لكلام عمر حتى أطلق عليه. راوية عمر، أرخ له ابن كثير توفي سنة ٩٤ هـ.

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل مرسلاً، وأسنده ابن الجوزي من حديث أنس بسند ضعيف «انظر مختصر منهاج القاصدين».

(٣) وهذا تعريض من النبي ﷺ، فهو يرجو لنفسه كل خير من ربه.

(٤) عراه العراقي للزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح، ولم يذكر سنده ولا تكلم عنه.

(٥) مالك: أي لم تنظرين إلى هذه الطريقة.

(٦) أنس بن مالك: هو خادم الرسول الكريم - والحديث رواه البخاري في الأدب المفرد.

(٧) ابن إسحاق: هو راوية السير والتاريخ. (٨) صدقني الذي أخبرني: أي لم يكذبني.

بالمكان الذي به قريش ، فلمّا فرغ من خبره[١] قال : فمن أنتم؟ قال رسول الله ﷺ : «نحن من ماء» ، قال أحمد بن علي : أوهمه[٢] النبي ﷺ بأنه من العراق ، فكان العراق يسمى "ماء" ، وإنما أراد النبي ﷺ من الماء أنه خُلق من نطفة ماء .

غفر الله لك يا عبد الله :

عن ابن أبي الزناد قال : كان عند أسماء بنت أبي بكر قميص رسول الله ﷺ ، فلما قُتل عبد الله بن الزبير، ذهب القميص فيما ذهب ، وفيما انتهب ، فقالت أسماء : لَلقميصُ أشد عليّ من قتل عبد الله، فوُجدَ القميص عند رجل من أهل الشام ، فقال : لا أرده أو تستغفر لي أسماء ، فقيل لها . قالت : كيف أستغفر لقاتل عبد الله؟ قالوا : أفليس يرد القميص؟ قالت : قولوا له فليجئ، فجاء بالقميص، ومعه عبد الله بن عروة ، فقالت : ادفع القميص إلى عبد الله ، فدفعه، فقالت : قبضت القميص يا عبد الله ؟ قال : نعم . قالت: غفر الله لك يا عبد الله ، وإنما عنت عبد الله بن عروة .

العنوه لعنه الله ! ..

عن حجر المدري[٣] قال : قال لي عليٌّ رضي الله عنه : كيف بك إذا أُمرتَ أن تلعنني؟ قلت: أو كائن ذلك[٤]؟ قال : نعم . قلتُ: كيف أصنع ؟ قال: العني ولا تتبرأ مني. قال : فقام محمد بن يوسف إلى جنب المنبر يوم الجمعة فقال : العن عليًا . فقال : إنّ الأمير أمرني أن ألعنَ عليًا محمد بن يوسف العنوه لعنه الله، فلقد تفرّق أهل المسجد، وما فهمها إلا رجل واحد[٥].

أخرجوه ..

قال : قامت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة ، فقام صعصعة بن سرحان ، فتكلم فقال المغيرة: أرجعوه ، فأقيموه على المصطبة ، فليلعن عليًا . فقال : لعن الله من لعنَ الله ولعن عليّ ابن أبي طالب ، فأخبره بذلك ، فقال : أقسم بالله لتقيدنّهُ ، فخرج فقال : إنّ هذا يأبى إلا عليّ بن أبي طالب ، فالعنوه ولعنه الله ، فقال المغيرة : أخرجوه أخرج الله نفسه .

توبة من ابن شبرمة ..

قال : كلّمَ رجل عيسى بن موسى[٦] في شيء وعنده عبد الله بن شبرمة القاضي ، فقال عيسى للرجل : من يعرفك؟ قال : ابن شبرمة . قال : أتعرفه؟ قال : إني لأعلم أن لهُ شرفًا وبيتًا وقدمًا ، فلمّا خرج ابن شبرمة سئل عن ذلك . فقال : أعلم أن له أُذُنَيْن مشقوقتين ، وأنّ له بيتا يأوي[٧] إليه، وأن له قدمًا يطأ[٨] بها .

الحجاج وابن أبي ليلى ..

قال : ضرب الحجاج ، عبد الرحمن بن أبي ليلى وأقامه للنّاس ، ومعه رجل يحثه ويقول : العن عليًا، فيقول : اللهم العن الكذابين ، ثم يسكت ، ويقول : آه علي بن أبي طالب ، ثم يسكت ، ثم يقول المختار ابن الزبير .

---

(١) فرغ من خبره : انتهى من حديثه .
(٢) أوهمه النبي ﷺ وأراد ما جاء في القرآن ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ .
(٣) حجر المدري : من أصحاب علي بن أبي طالب .
(٤) أو كائن ذلك : يعني هل هذا سيكون ؟.
(٥) والحقيقة أنه لعن محمد بن يوسف ولم يلعن عليًا .
(٦) عيسى بن موسى ، من كبار الرجال ، وهو من بيت الخلافة.
(٧) يأوي إليه : يعود إليه ويسكن فيه .
(٨) يطأ بها : أي يمشي بها .

الحجاج وقاتل ابن سمية ..

حدثنا المبارك قال : بينما الحجاج جالس إذ أقبل رجل مقارب الخلق، أفجع، ذو غديرتين، فلمّا رآه الحجاج قال : مرحبًا بأبي غادية ، فلم يرحب به حتى أجلسه على سريره ، ثم قال له : أنت قاتل ابن سمية؟ قال : نعم . قال : كيف ؟ قال : صنعتُ كذا وفعلتُ كذا حتى قتلته . قال الحجاج لأهل الشام : من سرَّه أن ينظر إلى رجل عظيم الباع يوم القيامة ، فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية ، ثم سار أبو غادية ، فسأله شيئًا ، فأبى عليه ، فقال أبو غادية : نعطي لهم الدنيا ، ثم نسألهم منها شيئًا فلا يعطونا ، وتزعم أنه عظيم الباع يوم القيامة ، قال : أجل . والله إنّ من كان ضرسه مثل أُحُد ، وفخذه مثل وقان ، وساقه البيضاء ، ومجلسه ما بين المدينة إلى زبيد لعظيم الباع يوم القيامة ، والله لو أنّ عمار بن سمية قتله أهل الأرض لدخلوا كلهم النار .

أكفرت؟! ..

قال القُرشي : كان مطرّف بن عبد الله [١] خرج مع ابن الأشعث [٢] ، فأُتي به إلى الحجاج بعد ذلك ، فقال له الحجاج ، يا مطرّف ، أكفرت؟ قال : لا . ولكن كانت حيرة ، ولو نصرنا الحق وأهله كان خيرًا لنا .

اذهب عنّا ! ..

قال القرشي : وحدثنا أبو جعفر المَديني قال : خرج قوم من الخوارج بالبصرة ، فلقوا شيخًا أبيض الرأس واللحية ، فقالوا له : من أنت ؟ قال : أعهد إليكم من اليهود بشيء لو بدا لكم في قتل أهل الدية ، قالوا : اذهب عنا إلى النّار .

ما تحفظ من الأصول ؟

أخبرنا أبو العباس أحمد بن يعقوب قال : كان يحيى بن أكثم يحسد حسدًا شديدًا ، وكان مفننًا [٣] فكان إذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث ، وإذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو ، وإذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ليخجله ، ويقطعه ، فدخل عليه رجل من أهل خراسان ذكيٌّ حَافظ، فناظرهُ ، فرآه مفننًا ، فقال له : نظرتَ في الحديث؟ قال : نعم . قال: فما تحفظ من الأصول؟ قال : أحفظ حديث شريك، عن الحرث أنّ عليا رجم لُوطيًّا . فأمسك فلم يكلمْهُ .

كم مضى من عمرك ؟

قال : قال رجل لهشام بن عمرو القوطي [٤] : كم تَعُدُّ ؟ قال : من واحد إلى ألف ألف وأكثر. قال: لم أُرِدْ هذا؟ قال : فما أردتِ؟ قال : كم تعد من السنّ؟ قال : اثنتين وثلاثين ، ست عشرة من أعلى ، وست عشرة من أسفل . قال : لم أرِدْ هذا ؛ قال : فما أردت؟ قال : كم لك من السنين؟ قال : ما لي منها شيء كلها لله عزّ وجل ، قال : فما سِنُّكَ؟ قال : عَظْم. قال: فابن كم أنت؟ قال : ابن اثنين أبٌ وأم . قال : فكم أتى عليك؟ قال : لو أتى عليَّ شيء لقتلني. قال : فكيف أقول؟ قال : قل كم مضى من عمرك؟ .

---

(١) مطرّف بن عبد الله – تابعي فاضل مؤثر الترجمة له .

(٢) ابن الأشعث : هو الخارج على الحجاج الثقفي ، وقد خرج معه جمهرة من العلماء .

(٣) مفنّنًا : صاحب فنون وعلوم .

(٤) هشام بن عمرو القوطي . من أصحاب أبي الهذيل العلاّف ، وهو معتزلي المذهب ..

من أقرّ رفعناه مكانا عليًا ..

وثب رجلان على بعض الملوك في زمن الإسكندر ، فقال الإسكندر : إن من قتل هذا عظيم الفعال، ولو ظهر لنا جازيناه بما يستحق ، ورفعناه على الناس ، فلمّا بلغهما ذلك ظهرا فأقرّا ، فقال الإسكندر : أنا مجازيكما بما تستحقان ، فما يستحق من قتل سيّده ورافع قدره ، فغدر به إلا القتل ، وأمّا رفعكما على الناس فإني سأصلبكما على أطول خشب يمكنني .

مؤمن من آل فرعون ..

روي أنّ رجلين من آل فرعون سعيا برجل مؤمن إلى فرعون[1] ، فأحضَرَهُ فرعون ، وأحْضَرهُمَا، وقال للساعيَيْن : من ربكما ؟ قالا : أنت . فقال للمؤمن : من ربك؟ قال : ربي وربهما . فقال فرعون: سعيتُما برجل على ديني لأقتله ، فقتلهما . قالوا : فذلك قوله تعالى :﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر : ٤٥] .

بين يحيى والمروزي ..

حدثنا إسحاق بن هانئ قال : كُنّا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – في منزله ومعنا المروزي ، ومهنى بن يحيى الشامي ، فدَقّ داق الباب وقال : المروزي هاهنا؟ فكأن المروزي كره أن يعلم موضعه ، فوضع مهنى بن يحيى إصبعيه في راحته وقال : ليس المروزي هاهنا ، فضحك أحمد ولم ينكر عليه ذلك .

ابن حنبل ومهنى بن يحيى ..

بلغني عن أبي بكر الخلال ، قال : قال أبو بكر المروزي : جاء مهنى بن يحيى الشامي إلى أبي عبد الله ومعه أحاديث ، فقال : يا أبا عبد الله ! معي هذه الأحاديث وأريد أن أخرج ، فحدثني بها ، فقال: متى تريد أن تخرج؟ قال : الساعة أخرج ، فحدثهُ بها وخرج ، فلما كان من الغد أو بعد ذلك ، جاء إلى أبي عبد الله ، فقال له أبو عبد الله : أليس قلت لي أخرج الساعة ؟ قال : قلتُ لك : إني أخرج الساعة من بغداد؟ ، إنما قلتُ أخرج من زقاقك .

الأدب يخلص صاحبه ..

عن مصعب الزبيري[2] قال: أتى العريان بشاب شكران، فقال له : من أنت؟ فقال شعرًا :

أنا ابن الذي لا ينزلُ الدهر قدره ... وإن نزلت يوماً فسوف تعود

فقال لبعض شَرطه : سل عن هذا فسأل عنه ، فقال : هو ابن صاحب باقلا ، قلت وفي رواية أخرى زيادة :

ترى الناس أفواجًا إلى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فظنّه كبير القدر ، فخلّى به ، فإذا هو ابن باقلاّوي[3]

---

(١) المقصود به : فرعون موسى .

(٢) هو : مصعب بن عبد الله الزبيري . شاعر من شعراء المدينة ، كان ثقة في الحديث ، عارفًا بالأنساب والتاريخ سكن بغداد وتوفي بها سنة ٢٣٦هـ.

(٣) الباقلاّوي : بائع الباقلي وهو الفول .

كناية وتعريض ..

أتى الحارث بن مسكين أيام المحنة ، وابن أبي دواد [١] يمتحن الناس بخلق القرآن ، فقال للحارث: اشهَدْ أنّ القرآن مخلوق . فقال : أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة، وبسط أصابعه الأربع، فقال : التوراة، والإنجيل ، والزبور [٢] ، والفرقان . فعرّض [٣] وكنّى ، وتخلص من القتل . قال شيخنا عبد الوهاب الأنماطي: كان أحمد بن عبد المحسن الوكيل إذا حمل إليه محضر كتب فيه يحل صدره ، فيكتب فيه ، فقيل له: كيف تكتب خلاف الأول ؟ فقال : أنا أكتب ما ذكر صحيح، ومقصودي نفي الصحة .

الباب العشرون : في ذكر من فلج على خصمه في المناظرة بالجواب المسكت

جواب مسكت ! ..

حدثنا خبيب [٤] ، عن عبد الرحمن بن خبيب، عن أبيه، عن جدّه [٥] خبيب بن يساف قال : أتيتُ رسول الله ﷺ، وهو يريد غزوًا أنا ورجل من قومي ولم نسلم ، فقلنا : إنّا لنستحي أن يشهد قومنا مشهدًا لا نشهده معهم . قال : وأسلمتما؟ قلنا : لا . قال : فإنّا لا نستعين بالمشركين على المشركين . قال : فأسلمنا ، وشهدنا معه ، فقتلتُ رجلا، وضربني ضربة ، فتزوجتُ ابنتهُ بعد ذلك، فكانت تقول : لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح ، فأقول لها : لا عُدمتِ رجلا عجّل أباك إلى النّار .

منعني أبوك ! ..

عن إبراهيم بن جعفر بن محمود الأشهلي ، عن أبيه قال : كان حويطب بن عبد العزّى قد بلغ مائة وعشرين سنة ، ستين في الجاهلية ، وستين في الإسلام ، فلمّا ولىَ مروان بن الحكم المدينة ، دخل عليه حويطب ، فقال له مروان : ما نيتك ؟ فأخبره ، فقال له : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث، فقال : والله لقد هممتُ بالإسلام غير مرّة ، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك ، وينهاني ، ويقول: تدعُ دين آبائك لدين محمد ، فأسكت مروان ، وندم على ما كان .

من علامات الحمق ! ..

قال مروان لحبيش بن دلجة : أظنّك أحمق ، فقال : أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنّه .

خذ هذه معها ..

حدثنا محمد بن زكريا قال : حضرتُ مجلسا فيه عبيد الله بن محمد بن عائشة التميمي ، وفيه جعفر بن القاسم الهاشمي ، فقال لابن عائشة : هاهنا آية نزلت في بني هاشم خصوصًا . قال : وما هي؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] فقال ابن عائشة : قومه قريش ، وهي لنا معكم .

---

(١) ابن أبي دواد . وقد سبقت ترجمته .

(٢) الزبور : كتاب سماوي نزل على نبي الله داود . قال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ .

(٣) عرّض : أي أوهمهم ولم يكذب .

(٤) هو خبيب بن عبد الرحمن بن يساف الأنصاري. شيخ الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة. كان عالمًا ورعًا ثقة توفي سنة ١٣٢ هـ.

(٥) جده : حبيب بن يساف : من الصحابة الذين شهدوا بدرًا وأحدًا وتوفي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

قال : بل هي لنا خصوصاً . قال : فخذ معها ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام : ٦٦] قال : فسكت جعفر ، فلم يجد جوابًا .

لي عندك حاجة ..

قال المصنّف غفر الله له : وروينا أن معاوية قال لعبد الله بن عامر : إن لي عندك حاجة أتقضيها؟ قال: نعم . قال : ولي إليك حاجة أتقضيها؟ قال : نعم . قال : سل حاجتك . قال: أريد أن تهب لي دورك وضياعك بالطائف . قال : فعلتُ ، فسل حاجتك ، قال : أن تردّها عليَّ . قال : قد فعلت .

أجبهم يا خالد ..

وافتخر قوم من اليمن عند هشام بن عبد الملك ، فقال لخالد بن صفوان : أجبهم فقال : هم بين حائك بُرد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ، وملكتهم امرأة[١] ، ودل عليهم هدهد[٢] . وغرقتهم فأرة[٣] .

أنشدك الله ..

قال : قال غيلان لعبد الرحمن : أنشدك الله ! أترى الله يحبُّ أن يُعصى؟ فقال ربيعة : أنشدك الله! أترى الله يعصى قسرًا؟ فكأن ربيعة ألقم غيلان حَجَرًا .

الرفق نصف العفو ..

قال : وقف رجل بين يديْ المأمون قد جنا جنايةً ، فقال له ، والله لأقتُلنّك . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ! تأنَّ عليَّ ، فإنّ الرفق نصف العفو . قال : وكيف؟ قال : أن تلقاه قاتلاً ، قال: فخلّى سَبِيلَهُ .

كم سن القاضي ؟

قال المنصور : وُلِّيَ يحيى بن أكثم قضاء البصرة ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة قال : فاستزري به الناس واستضعفوه ، فامتحنوه ، فقالوا : كم سنُّ القاضي؟ قال : سنُّ عتاب بن أسَيْد حيث ولاه رسول الله ﷺ مكة .

ليكن سرّك معك ..

كان النظام لا يكتم سرًّا ، فأسرَّ إليه يونس التمّار سرًّا ، فأذاعه ، فلامه ، فقال النظّام للناس: سلوه ، هل أذعتُ سرًا مرة أو مرتين أو ثلاثًا أو أربعًا فلمن الذنب الآن؟ فلم يرض أن يشاركه في الذنب ، حتى سار الذنب كله لصاحب السرّ .

انصرف راشدًا ..

قال : كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول : إن كان فيكم أبو العبّاس الزّجاج، وإلاّ انصرفوا، فحضروا مرّة ، ولم يكن الزجاج[٤] فيهم ، فقال لهم ذلك ، فانصرَفوا ، وثبت رجل منهم،

---

(١) إشارة إلى ملكة سبأ . ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ .

(٢) إشارة إلى ما ورد في سورة النمل عن جواب الهدهد لسليمان عليه السلام .

(٣) إشارة إلى سيل العرم الذي ورد ذكره في سورة سبأ .

(٤) الزجاج هو : أحد كبار علماء اللغة العربية ، له فيها باع طويل ، وكان صديقًا حميمًا للمبرد كما في هذه القصة .

فقال عثمان للآذن : قل لأبي العبّاس انصرف القوم كلهم إلاّ عثمان ، فإنّه لا ينصرف ، فعاد الآذن إليه وأخبره ، فقال له : إنّ عثمان إذا كان نكرة انصرف، ونحن لا نعرفك ، فانصرفْ راشدًا .

لم يرجع إليكم ..

قال : قال رجل من أهل الحجاز لرجل من أهل العلم : أَخرجَ من عندنا . قال : نعم . إلا أنه لم يرجع إليكم.

أكلّ العلم سمعت ؟

قال : تكلّم شاب يوما عند الشعبي ، فقال الشعبي : ما سمعنا بهذا . فقال الشاب : كل العلم سمعت؟ قال : لا . قال : فشطره [١] ؟ قال : لا . قال : فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعْه ، فأفحم [٢] الشعبي .

حُجة مغلوب ..

وقال عبد الله بن سليمان بن الأشعث : سمعت أبي يقول : كان هارون الأعور يهوديا ، فأسلم، وحسن إسلامه ، وحفظ القرآن وضبطه ، وحفظ النحو ، فناظره إنسان يومًا في مسألة ، فغلبه هارون، فلم يدر المغلوب ما يصنع ، فقال له : أنت كنت يهوديًا فأسلمت . فقال له هارون : أفبئس ما صنعت؟ فغلبه أيضًا، والله الموفق .

أعجب الخليفة جوابه ..

قال مالك بن سليمان : كان لإبراهيم بن طهمان جراية [٣] من بيت المال ، فسئل عن مسألة في مجلس الخليفة ، فقال : لا أدري . فقالوا له : تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تُحسن مَسألة، فقال: إنما آخذ على ما أُحسن ، ولو أخذتُ على ما لا أحسنُ لفنى بيت المال ، ولا يفنى ما لا أحسن ، فأعجب الخليفة جوابه ، وأمر له بجائزة فاخرة ، وزاد في جرايته .

ضيف ثقيل ! ..

قال أبو العبّاس المبَرّد : ضاف رجلٌ قومًا فكرهوه ، فقال الرجل لامرأته: كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه؟ [٤] فقالت: ألقِ بيننا شرًا حتى نتحاكم إليه. ففعلا. فقالت للضيف: بالذي يبارك لك في غدوك غدًا أيُنا أظلم؟ فقال الضيف: والذي يُبارك لي في مقامي عندكم شهرًا ما أعلم.

خذ أجرة وصفك للدواء ..

قال ابن خلف: حدّثني بعض أصحابنا قال: بلغني أنّ الرشيد خرج يومًا متنزهًا، وانفرد عن عسكره، والفضل بن الربيع خلفه، فإذا هو بشيخ قد ركب حمارًا له، وفي يده لجام كأنه مبعد محشو، فنظر إليه، فإذا هو رطِبُ العينين ، فغمز الفضل عليه، فقال له الفضل : أين تريد؟ قال: حائطا لي، قال : هل لك أن أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهبُ هذه الرطوبة؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك. قال له: خذ عيدان الهواء، وغبار الماء، وورق الكمأة، فصيِّره في قشر جَوْزة واكتحل به ، فإنه يُذهبُ عنك ما تجدُ ، قال : فاتكأ على قربوسه ، فضرط [٥] ضرطة

---

[١] شطره : نصفه، ومنه قول النبي ﷺ "الطهور شطر الإيمان" [٢] أفحمه : أسكته عن الجواب .

[٣] جراية : مال يجريه الخليفة عليه . [٤] أي مقدار ضيافته عندهم .

[٥] ضرط : أخرج ريحًا بصوت وهي كلمة فصيحة . سئل أبو هريرة عن الحدث فقال : فساء أو ضراط .

طويلة ، ثم قال : تأخذ هذه أُجْرَةً لوصْفَتِك[١] ، فإن نفعتنا زدناك ، قال : فاستضحك الرشيد حتى كاد أن يسقط عن ظهر دابته .

المهدي وشريك القاضي ..

قال الجاحظ : قال المهدي لشريك القاضي ، وعيسى بن موسى عنده : لو شهد عندك عيسى كنت تقبله، وأراد أن يضرب بينهما ، فقال شريك : من سألت عنه لا يسأل عن عيسى غير أمير المؤمنين ، فإن زكيتَهُ قبلته ، فقبلها عليه .

قياس على قياس ..

قال أبو بكر بن محمد : كان لي أخ يجيد الشعر ، فقال له رجل منهم ، وقد حسده على شعره : ما أدري ما معنى أعجمي يقول الشعر ، فقال له : رجل دبّ إلى أمه عربيّ ، فقال له : وكذلك يلزم في قياس قولك إذا لم يقل العربي شعرًا ، فقد دبّ إلى أمه أعجمي .

إنه نمّام ..

غضب رجل على رجل فقال له : ما أغضبك؟ قال : شيء تنقله إليّ الثقةُ عنك ، فقال : لو كان ثقةً ما نَمَّ .

بين المأمون وقاضيه ..

قال أبو الحسن بن المأمون : قال المأمون ليحيى بن أكثم : من الذي يقول ، وهو يعرّض به :

قاضٍ يرَى الحدّ في الزّنا ولا ... يَرَى على من يلوطُ من بأس

قال : أو ما يعرف أمير المؤمنين من قاله؟ قال : لا . قال : يقول الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول:

حاكمُنا يرْتشي وقاضينا ... يلوطُ والرأس شرّ ما راس

لا أحسبُ الجورَ ينقضي على ... السلامة وآل من آل عبّاس

قال : فأفحم المأمون وسكت خجلاً ، وقال : ينبغي أن ينفى أحمد بن أبي نعيم إلى السند .

مناظرة بين مسلم ويهودي ..

روى يعقوب الشحّام قال : قال لي أبو الهذيل[٢] : بلغني أن رجلا يهوديا قدم البصرة ، وقد قطع وغلب عامة متكلميهم[٣] ، فقلت لعمي : امض إلى هذا اليهودي كلّمْه ، فقال : يا بُني هذا قد غلب جماعة متكلمي البصرة ، فقلت : لابد ، فأخذ بيدي ، فدخلنا على اليهودي ، فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه نبوة موسى عليه السلام ، ثم يجحد نبوة نبيّنا ﷺ فيقول : نحن على ما اتفقنا عليه من نبوة موسى إلى أن نتفق على غيره فنُقِرُّ به[٤] ، فدخلت إليه ، فقلت له : أسألك أو تسألني ؟ فقال : يا بني أو ما ترى ما أفعله بمشايخك؟، فقلت : دع عنك هذا ، واختر ، قال : بل أسألك ، أخبرني : أليس موسى نبيًّا من أنبياء الله قد

---

(١) يعني الرجل لما قلته من وصف دوائك لعلاج عيني .

(٢) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاّف . من أشهر علماء الكلام بالبصرة وولد فيها وكان قويّ الحجة ، سريع البديهة مات سنة ٢٣٥ هـ .

(٣) متكلميهم : أي علماء الكلام .

(٤) نقر به : أي نؤمن به نبيا . والإيمان هو التصديق والإقرار .

صحت نبوته ، وثبت دليله . تقرّ بهذا أو تَجْحَدُهُ ، فتخالف صاحبك؟ فقلت له : إن الذي سألتني عنه من أمر موسى عندي على أمرين : أحدهما ؛ إني أقرُّ بنبوة موسى الذي أخبر بصحة نبوة نبينا محمد ﷺ ، وأمرنا باتباعه ، وبشّر بنبوته ، فإن كان عن هذا تسألني، فأنا مقرٌّ بنبوته ، وإن كان الذي سألتني عنه لا يقرُّ بنبوة نبينا محمد ولم يأمر باتباعه ، ولا يشّر به ، فلستُ أعرفه ، ولا أقرّ بنبوته ، وهو عندي شيطان مخزي، فتحير[1] مما قلتُ له ، فقال لي : فما تقول في التوراة؟ فقلت : أمر التوراة أيضًا عندي على وجهين : إن كانت التوراة التي أنزلت على موسى الذي أقرّ بنبوة محمد ﷺ فهي التوراة الحق ، وإن كانت الذي تدّعيه فباطل ، وأنا غيرُ مصدق بها . فقال : أحتاج إلى أن أقول لك شيئا بيني وبينك، فظننتُ أنه يقول شيئا من الخير ، فتقدمتُ إليه، فسارني وقال : أمُّك كذا وكذا ، وأمُّ الذي علمك، لا يَكنّي ، وقد رأى أني أثبُ به ، فيقول : وثبا عليّ ، فأقبلتُ على من كان في المجلس ، فقلتُ: أعزّكُمُ الله . أليس قد أجبته؟ قالوا : نعم ، فقلتُ : أليس عليه أن يردَّ جوابي؟ فقالوا : نعم . فقلت : إنه لمّا سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد، وشتَم من علمني ، وإنه ظنّ أني أثب به ، فيدعى أنّا واثبناه وقد عرفتكم شأنه ، فأخذتُهُ الأيدي بالنعال، فخرج هاربًا من البصرة ، وقد كان له بها دَيْن كثير ، فتركه وخرج هاربًا لما لحقهُ من الانقطاع .

أريد أن أستبرئك ..

قال : لمّا دخل الجماز[2] على المتوكل قال له : إني أريد أن أستبرئك . فقال الجماز : بحيضة أو حيضتين، فضحك الجماعة منه ، فقال له الفتح : قد كلمتُ أمير المؤمنين فيك حتى ولاّك جزيرة القرود . فقال له الجماز : أفلستُ في السمع والطاعة أصلحك الله ، فحُصر الفتح وأسكت ، فأمر له المتوكلُ بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر ، فمات فرحًا بها .

عمامة بألف درهم ..

قال العتبي : دخل الوليد بن يزيد[3] على هشام بن عبد الملك ، وعلى الوليد عمامةٌ وَشْيء، فقال له هشام: بكم أخذت عمامتك ؟ قال : بألف درهم ، فقال هشام : عمامة بألف – يستَكْثِرُ ذلك . فقال الوليد: إنها لأكرم أطرافي يا أمير المؤمنين ، وقد اشتريتَ جاريةً بعشرة آلاف درهم لأخس أطرافك .

لك ما خلا التوحيد ..

كان معن بن زائدة[4] يذكر عنه قلة دين ، فبعث إلى ابن عيّاش بألف دينار ، وكتب إليه بعثتُ إليك بألف دينار اشتريتُ بها دِينك ، فاقبض الثمن واكتب بالتسليم ، فكتب إليه : قد قبضتُ ، وبعتُك ديني ما خلا التوحيد ، لعلمي بزهدك فيه .

---

(١) تحيّر : أي حار في أمره ولم يجب!.

(٢) الجماز : هو محمد بن عمرو الملقب بالجماز . كان قبيح اللسان ، يشبه خاله سلم الخاسر الذي قام بحملة ماجنة على أبي العتاهية وعلى شعره في الزهد ، مات بالبصرة سنة ٢٥٠ هـ . وقد كان مقربا من المتوكل ، وقيل في سبب موته أنه أمر له بعشرة آلاف درهم فمات فرحًا كما في القصة التي معنا .

(٣) الوليد بن يزيد : هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك . خليفة من خلفاء بني أمية شاعر رقيق ولي الخلافة ١٢٥ هـ . وتوفي سنة ١٢٦ هـ .

(٤) معن بن زائدة : هو كريم من أجواد العرب ، كان مكرّمًا في بني أمية مات معن مقتولا سنة ١٥١ هـ .

obeikandl.com

إمام ينتظر من يصلي ..

حدثنا يموتُ بن المزرع[١] قال : كان أبي والجماز يمشيان، وأنا خلفهما بالعشي ، فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمرُّ عليه ، فيصلي معه ، فلما رآنا أقام الصلاة مبادرًا ، فقال له الجماز : دع عنك هذا ، فإن رسّول الله ﷺ قد نهى أن يتلقى الجلب[٢] .

عزة النفس ..

أخبرنا ابن الأعرابي عن الأصمعي قال : اجتزتُ في بعض سكك الكوفة ، فإذا برجل قد خرج من حبس على كتفه جرّة ، وهو ينشد ويقول :

وأكـــرمُ نَـفْـسي إنَّـنـي إنْ أهنتُهـا ... وحـقّـكَ لم تـكْـرمْ عـلى أحـدٍ بعـدي

فقلت له : تكرمها بمثل هذا ؟ فقال : نعم . وأستغنى عن سفلة مِثْلَكَ ، إذا سألته قال : صنع الله لك، فقلت : تُراه عرفني ، فأسرعتُ ، فصاح بي : يا أصمعي ، فالتفت إليه فقال :

لـنـقـلُ الـصـخـر مـن قُـلَـلِ الجبـال ... أحـبّ إليَّ مـن مِـنَـنِ الرجـال
يـقـول الـنـاسُ كَـسْـبٌ فيه عـارٌ ... وكـل الـعـار في ذل الـسـؤال[٣]

بين مخنث وامرأة ..

حدثنا أبو الطيب بن هرثمة قال : كنتُ مجتازًا ببغداد ، ومخنث يمشي ، فرأته امرأة ، وكان حسنَ البدن، فقالت : ليتَ علي شحم هذا المخنث . فقال لها المخنث : مع بغاءَ ، فشتمته ، فقال لها : كيف صار؟ تأخذينَ الجيد ، وتدعينَ الرديء[٤] .

ودخل رجل إلى الحمّام ، فرأى مخنثا بين يدي خَطمي ، فقال الرجل : أعطني منه قليلا ، فأبى ، فقال الرجل : كل قفيز بدرهم . فقال المخنث : كل أربعة أقفزة بدرهم احسب حسابك ، كم يصيبك بلا شيء.

مناظـــرة ..

قال طراد بن محمد: إن يهوديًا ناظر[٤] مسلما أظنّه قال في مجلس المرتضى ، فقال اليهودي: إيش أقول في قوم سماهم الله مدبرين ، يعني النبي ﷺ وأصحابه يوم حُنَيْن؟ فقال المسلم : فإذا كان موسى أدبر منهم. قال له : كيف؟ قال : لأن الله تعالى قال : ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل : ١٠]. وهؤلاء ما قال فيهم : ولم يعقبوا . فسكت .

جواب يصيب بالحمّى ..

قال نصر بن سيّار: قلت لأعرابيّ : هل اتخمت[٥] قط؟ فقال : أمّا من طعامك وطعام أبيك فَلاَ. فيقال: إن نصرًا حمَّ من هذا الجواب أيامًا .

عليٌّ يفحم يهوديًا ..

قال رجلٌ من اليهود لعلي بن أبي طالب : ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار : منَّا أمير ، ومنكم أمير، فقال له علي عليه السلام : أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف : ١٣٨] .

---

(١) يموت بن المزرع : هو أحد الشعراء الأدباء الإخباريين سماه أبوه يموت ، وسمّى نفسه محمدًا . توفى سنة ٣٠٤ هـ .
(٢) الجلب : هو كل ما يجلب من البادية إلى القرى من الطعام . (٣) رويت هذه الأبيات في ديوان الإمام الشافعي منسوبة إليه .
(٤) نبات يعمل عمل الصابون (٤) المناظرة : المجادلة والمحاورة . (٥) أصابتك تخمة الطعام .

الويل .. الويل ..

حبلت امرأة يزيد ، فقالت له ، وكان قبيح الصورة : الويل لك إن كان يشبهك ، فقال لها: والويل لك إن لم يشبهْني .

حان خروج الدجال ..

رأى رجل من الأعاجم رجلاً أعور فقال : قد حان خروج الدّجال ، فقال : إنه يخرج من بلاد الأعاجم لا العرب .

لبيك يا عائشة ..

جاز أبو بكر بن قانع بالكرخ في زمن الرفض ، فقالت له امرأة : يا سيدي أبا بكر ، فقال لها: لبيك يا عائشة : فقالت : كان اسمي عائشة ، قال : فيقتلوني وحدي ، أريد أن يضربوا رقابنا جميعًا .

أجوبة حسنة ..

ظفر رجل بخصمه في حرب ، فقال له : ما تراني أصنع بك؟ فقال : مهلا ، فما أمكنك الله مني إلا لشأن حلمك .

أشهد معاوية بدرًا ؟

قيل لأبي الأسود[1] : أشهدَ معاوية بدرًا ؟ فقال : نعم من ذاك الجانب .

سقطت عنك الجزية ! ..

كان أبو الحسن المتيم الصوفي يسكن الرصافة ، وكان مطبوعًا مضاحكا ، وكان يتولع برجل شاهدَ فيه غفلة يعرف بأبي عبد الله الكيّا . قال ابن المتيم : فلقيته يومًا ، فسلمت عليه ، وصحت به اشْهَدْ عليَّ ، فاجتمع الناس علينا ، فقال : بم أشهدُ؟ فقلتُ بأنّ الله إله واحد لا إله إلا هو وأنّ محمدًا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأنّ الله يبعث من في القبور . فقال : أبشر يا أبا الحسن . سقطت عنك الجزية[2] ، وصرتَ أخًا من إخواننا ، فضحك الناس ، وانقلب الولع بي .

ذكاء عامي ..

قال الشيخ : سمعتُ بعض أصدقائي يحكي أنّ رجلاً كان يشرب ليلة الجمعة ، فنهاه بعض العوام ، وقال له : هذه ليلة عظيمة ، فقال له الرّجُل : في مثل هذه الليلة يرفع القلم ، فقال العاميُّ : ولكن يُكتب بصوفة . قال : فاتعظ الرجل ، ولم يرجع بعد إلى شرب الخمر .

كلمة بكلمة ..

وقفت امرأة قبيحة على عطّار ماجنْ ، فلمّا نظر إليها قال : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير : ٥] فقالت : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ [يس : ٧٨] .

استأجر رجلٌ غلامًا ليخدمه ، فقال له : كم أجرتك؟ قال : شبع بطني، فقال له سامحني : فقال : أصوم الإثنين والخميس .

---

(١) هو أبو الأسود الدؤلي . واضع أصول علم النحو بأمر علي بن أبي طالب .

(٢) الجزية : هي ما يؤخذ من أهل الذمة من المال .

وأفحم الأمير..

شكا جماعة من الصالحين ضرر الأتراك إلى أمير المؤمنين، فقال لهم: أنتم تعتقدون أنّ هذا بقضاء الله، فكيف أدفع قضاء الله؟ فقال له أحدهم: صاحب القضاء قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] فأفحم أمير المؤمنين.

الباب الحادي والعشرون: في ذكر من غلب من العوام بذكائه كبار الرؤساء

رجل لقّن حجته..

حدثني رجل من أهل الرقة، عن عبد الملك بن عمير قال: أخذ زياد رجلا من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخاه، فقال: إن جئت بأخيك، وإلا ضربتُ عنقك. قال: أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي. قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم، وأقيم عليه شاهدين، إبراهيم وموسى عليهما السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٣٨] قال زياد: خلّوا سبيله، هذا رجلٌ لقن حجته.

ما غلبني أحد قط إلا رجل وامرأة!..

قال يموت بن المزرع قال لنا الجاحظ: ما غلبني أحد قط إلا رجل وامرأة، فأما الرجل، فإني كنتُ مجتازًا[1] في بعض الطرق، فإذا أنا برجل قصير، بطين، كبير الهامة، طويل اللحي، متزر بمئزر، وبيده مشط يسقي به شقه، ويمشطها به، فقلت في نفسي: رجل قصير بطين ألحى، فاستذريته، فقلت: أيها الشيخ قد قلتُ فيك شعرًا، فترك المشط من يده، وقال: قل، فقلت:

كأنك صَعْوةٌ[2] في أصل حُشٍّ[3] أصابَ الحشّ طَشٌّ[4] بعد رَشّ

فقال لي: اسمع جواب ما قلت، فقلتُ: هات، فقال:

كأنكَ كِندرٌ[5] في ذنب كبش يُدَلْدَلُ[6] هكذا والكبش يَمْشي

وأما المرأة، فكنتُ مجتازًا ببعض الطرقات، فإذا أنا بامرأتين، وكنتُ راكبا على حمارة، فضربت الحمارة، فقالت إحداهما للأخرى: ويْ حمارة الشيخ تضرط، فغاظني قولها، فأخذتني حدة ثم قلت لها: إنه ما حملتني أنثى قط إلا وضربت، فضربت بيدها على كفّ الأخرى وقالت: كانت أمُّ هذا منه تسعة أشهر على جهد جهيد.

ما تطير بعدها أبدًا..

لقيَ بعض الأكاسرة في موكبه رجلا أعور، فحبسه، فلمّا نزل خلاّه[7]، وقال: تطيرتُ منك. قال: أنت أشأم مني لأنك خرجتَ من منزلك ولقيتني، فما رأيتَ إلاّ خيرًا، وخرجتُ من منزلي فلقيتك، فحبستني. فلم يَعُدْ بعدها يتطير.

---

(١) اجتازاً: أي مارًا. (٢) الصعوة: طائر أصغر من العصفور. (٣) الحش: الكنيف.
(٤) الطش: مطر ضعيف، والرش: مطر أقل من الطش. (٥) الكندر: اللبان.
(٦) يدلدل: يتحرك متدليًا. (٧) خلاه: أي أخلى سبيله.

غلبتني قبّحك الله ! ..

عن الأصمعي قال : قال الوليد بن عبد الملك لبديح : خُذ بنا في المُنَى [١] ، فوالله لأغلبنك ، قال : لا تغلبني ، قال : بلى لأفعلنّ ، وقال : فستعلم . قال الوليد : فإني أريد أن أتمنى ضعف ما تتمنى أنت ، فهات. قال : فإني أتمنّى سبعين كفلا من العذاب ، ويلعنني الله لعنًا كبيرًا . فقال : غلبتني قبّحك الله.

ليس لي وارث غيرك ..

قال : مرض مولى لسعيد بن العاص [٢] ، ولم يكن له من يخدمه ويقوم بأمره ، فبعث إلى سعيد بن العاص ، فلمّا أتاه قال لي : ليس لي وارث غيرك ، وهاهنا ثلاثون ألف درهم مدفونة ، فإذا أنا متُّ فخذها ، فقال سعيد حين خرج من عنده : ما أرانا إلا قد أسأنا إلى مولانا ، وقصّرنا في تعاهده ، فتعاهده كلّ التعاهد ووكل به من يخدمه ، فلما مات اشترى له كفنًا بثلاثمائة درهم ، وشهد جنازته ، فلمّا رجع إلى البيت حفر البيتَ كلّه ، فلم يجد شيئًا ، وجاء صاحب الكفن يطالب بثمن الكفن ، فقال : لقد هممتُ أن أنبش عليه وأسلبه كفنه .

حسن التخلص ! ..

أتى الحجاج برجل ليقتله وبيده لقمة ، فقال : والله لا أكلتُها حتى أقتلك قال : أو خير من ذلك. تطعمنيها ولا تقتلني ، فتكون قد بررت بيمينك ومننت عليّ . فقال : ادن مني ، فأطعمه إياها وخلاّه .

بين عمرو بن العاص وجنديّ له ..

وبلغنا عن عمرو بن العاص أنه منع أصحابه ما كان يصل إليهم ، فقام إليه رجل ، فقال : أيها الأمير! أتتخذ جندًا من حجارة لا تأكل ولا تشرب ، فقال له عمرو : اخسأ أيها الكلب . فقال له الرجل : أنا من جندك ، فإذا كنتُ كلبًا ، فأنت أمير الكلاب وقائدها .

تخطبنا من بئر جلولاء ..

قال المتوكل [٣] يومًا لجلسائه: أتدرون ما الذي نقم المسلمون من عثمان؟ قالوا: لا . قال: أشياء منها أنه قام أبو بكر دون مقام الرسول بمرقاة ، ثم مقام عمر دون مقام أبي بكر بمرقاة ، فصعد عثمان ذروة المنبر، فقال عبّاد : ما أحد أعظم منه عليك يا أمير المؤمنين من عثمان ، قال: وكيف؟ ويلك ، قال : لأنه صعد ذروة المنبر ، فلو أنه كلما قام خليفة نزل عمّن تقدمه كنت أنت تخطُبُنا من بئر جلولاء ، فضحك المتوكل ومن حوله .

غلام وسيده ..

قال رجل لغلامه : يا فاجر ، فقال الغلام : مولى القوم منهم .

غلبه بالحجة ..

قال الربيع: كنت قائما على رأس المنصور إذ أُتي بخارجيّ [٤] قد هزم له جيوشًا، فأقامه ليضرب عنقه، ثم قال له: يابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش ، فقال له الخارجي : ويلك وسوءة لك بيني وبينك ، أمس

---

[١] المُنى : الأماني .

[٢] هو سعيد بن العاص الأموي القرشي . تربى في حجر عمر بن الخطاب ، وولاه عثمان بن عفان الكوفة ، وقد اعتزل سعيد الفتنة في معركة الجمل ، مات سنة ٥٩ هـ .

[٣] المتوكل : خليفة من خلفاء الدولة العباسية .

[٤] خارجيّ : أي رجل من الخوارج .

القتل والسيف، واليوم القذف والسب، وما كان يؤمنك أن أردّ عليك، وقد يئست من الحياة فلا تستقبلها أبدًا، فاستحى المنصور وأطلقه.

ما أخجلني إلا هؤلاء..

وقال الصاحب بن عباد[١]: ما أخجلني غير ثلاثة، منهم أبو الحسين البهديني، فإنه كان في نفر من جلسائي، فقلت له وقد أكثر من أكل المشمش: لا تأكله، فإنه يلطخ المعدة. فقال: ما يعجبني من يطبب الناس على مائدته. وآخر قال لي، وقد جئت من دار السلطان وأنا ضجر[٢] من أمر عرض لي: من أين أقبلت؟ فقلت: من لعنة الله، فقال: ردّ الله غربتك، فأحسن عليّ إساءة الأدب. وصبي مستحسن داعبته[٣] فقلت: ليتك تحتي، فقال: مع ثلاثة أخر. يعني في رفع جنازتي، فأخجلني.

لم تصغر نفسك؟

قال رجل: شربتُ البارحة، فاحتجت إلى القيام لإراقة الماء كأنني جَدْي، فقال لي عاميٌّ: لِمَ تصغر نفسك يا سيدنا؟!.

الباب الثاني والعشرون: في ذكر أقوال وأفعال صدرت من أواسط الناس وعوامهم تدل على قوة الذكاء

ليس نطوي سرًا..

حدثنا يحيى المروزي قال: كنتُ آكل مع الرشيد يومًا، فرفع رأسه إلى خادم، فكلّمه بالفارسية، فقلت له: يا أمير المؤمنين! إن كنت تريد أن تُسِرّ إليه شيئًا فإني أفهم بالفارسية، فاستحسن الرشيد ذلك مني، وقال: ليس نطوي[٤] عنك سرًا.

صعدت وهي بكر ونزلت وهي ثيب..

قال: عاد أبو عمرو الضرير رجلا من أصحابه، فأخذت أَمَةٌ بيده فصعدت به، فلمّا أراد أن ينزل جاءت، فأخذت بيده، فقال: رديني إلى مولاك، فردّته، فقال: إنّ جاريتك أخذت بيدي حين صعدت، وهي بكر، ثم أخذت بيدي الساعة وهي ثيب، فسأل عن ذلك، فأخبر أن ابنًا للرجل افترشها.

لم يدر ما يقول..

قال مصعب بن عبد الله[٥]: قال مالك بن أنس[٦]: صلى بعض الشطار خلف رجل، فلمّا قرأ ارتج عليه، فلم يدر ما يقول، فجعل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وجعل يردد ذلك مرارًا، فقال الشاطر من خلفه: ما للشيطان ذنب إلا أنك ما تحسن تقرأ.

---

(١) الصاحب بن عبّاد: هو أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد الطالقاني. وزير أديب، استوزره مؤيد الدولة ثم أخوه فخر الدولة، له شعر فيّاض، ولغة وبلاغة. توفي ابن عبّاد سنة ٣٨٥ هـ.

(٢) ضجر: متعب ومتضايق.

(٣) داعبته: مازحته وضاحكته. (٤) نطوي: نخفي. (٥) مصعب بن عبد الله الزبيري: سبقت ترجمته.

(٦) هو مالك بن أنس إمام دار الهجرة وأحد أئمة المذاهب الأربعة له كتاب الموطأ الذي استحسنه الرشيد.

ما تشتهي أن أُسمعك ..

قال محمد بن عبد الرحمن : دعا معن أخًا له ، فأقعده إلى جانب العصر ، فلم يطعمه شيئًا ، فاشتد جوعه، فأخذه مثل الجنون ، فأخذ صاحب البيت العود ، وقال له : بحياتي أي شيء تشتهي أن أُسمِعكَ؟ قال : صوت المقلي .

أخبرنا الجماز قال : سمعت واحدًا يقول لآخر قد رمد[1] : بأي شيء تداوي عينيك؟ قال: بالقرآن ، ودعاء الوالدة ، فقال : اجعل معهما شيئًا من أَنْزَرُوت[2] .

قد ينفع الرجل الصغير ..

قال أبو الحسن عليّ بن هشام بن عبيد الله الكعب المعروف أبوه بأبي قيراط : سمعتُ حامد ابن العبّاس يقول : ربما انْتَفَعَ الإنْسان في نكبته[3] بالرجل الصغير أكثر من انتفاعه بالرجل الكبير، فمن ذلك أن إسماعيل بن بلبل لمّا حَبَسني جعلني في يد بواب كان يخدمه ، فكان رجلاً حرًا ، فأحسنتُ إليه وبررته ، وكان ذلك البواب يدخل إلى مجلس الخاصّة ، ولا يُنكرُ عليه لسابق خدمته ، فجاءني في بعض الليالي، وقال: قد حرّر الوزير على بن الفرات ، وقال : ما يكسّر المال على حامد غيرك ، ولا بُدّ من الجد في مطالبته بباقي مصادرته، وسيدعوُ بك الوزير غدًا إلى حضرته ويهددك ، فشغل ذلك قلبي ، فقلتُ له : فهل عندك من رأي ؟ فقال: اكتب رقعة إلى رجل من مُعَامليكَ تعرف شُحَّهُ[4] ، والتمس منه لعيالك ألف درهم يُقرضك إياها، واسأله أن يجيبك على ظهر الرقعة لترجع إليك لتخرجها ، فإنها لشحه يردّك بعذر ، فاحتفظ بالرقعة، فإذا طالبك أخرجتها إليه ، وقلت له : قد أفضتْ حالي إلى هذا ، فأخرجتها على غير مواطأة ، فلعلّ ذلك ينفعك ، ففعلتُ ما قال ، وجاءني الجواب بالردّ كما حَسِبْنَا ، فلمّا كان من الغد أخرجني الوزير ، وطالبني فأخرجتُ الرقعة ، فقرأها فلان ، واستحيى ، وكان ذلك سببه خفة أمري ، وزوال محنتي .

تحقيق الرؤيا ..

قال عيسى بن محمد الطوماري : سمعتُ أبا عمرو محمد بن يوسف القاضي يقول : اعتلّ أبي علةً شهورًا ، فانتبه ذات ليلة ، فدعا بي وبإخوتي ، وقال لنا : رأيت في النوم كأنّ قائلا يقول : كُلْ لا ، واشرب لا ، فإنك تبرأ ، فلم ندر تفسيره ، وكان بباب الشام رجلٌ يُعرف بأبي عليّ الخياط ، حسن المعرفة بعبارة الرؤيا[5] ، فجئنا به ، فقصّ عليه المنام ، فقال : ما أعرف تفسيره، ولكنّي أقرأ كل ليلة نصف القرآن ، فأخلوني الليلة حتى أقرأ رسمي وأتفكّر ، فلما كان من الغد جاءنا فقال : مررتُ على هذه الآية ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور : ٣٥] فنظرتُ إلى «لا» وهي تُردد فيها . اسقوه زيتًا ، وأطعموه زيتا ، ففعلنا ، فكانت سبب عافيته .

هو في الكوز ..

قال : حدثنا الأصمعي قال : رأيتُ رجلا قاعدًا على قصر أوس في الطاعون يَعُدُّ الموتى في كوز ، فعدّ أول يوم عشرين ومائة ألف ، فلمّا كان اليوم الثاني عدَّ خمسين ومائة ألف ، فمرَّ قوم بميتهم وهو يَعُدُّ، فلمّا رجعوا إذا عند الكوز غيره، فسألوه عنه ، فقالوا لهم : هو في الكوز .

---

(١) الرمد : تعب بالعين . (٢) الأَنْزَرُوت : صمغ شجرة تنبت في بلاد الفرس ، والكلمة فارسية ويقال لها في العربية عنزروت.
(٣) النكبة : هي الكارثة والمصيبة يقال : حلتْ به نكبة . (٤) الشح : البخل بالشيء . (٥) عبارة الرؤيا : تفسير الأحلام .

لم نصبْت ؟

حكى جعفر البرني قال : مررت بسائل على الجسر وهو يقول : مسكينًا ضريرًا ، فدفعتُ إليه قطعة وقلت : يا هذا لِمَ نصبْتَ ؟ قال : فديتك بإضمار ارحموا .

قصيدة مدح ..

حدثنا أبو عثمان الخالدي[١] قال : عملتُ قصيدة في مدح سيف الدولة[٢] أبا الحسن بن حمدان، وعرضتها على جماعة أتعرَّف ما عندهم فيها ، إذ حضر مخنث وأنا أقرؤها ، فلمّا انتهيتُ إلى قولي :

وأنكرتُ شيبةٌ في الرأس واحدة فعاد يسخطها ما كان يُرضيها

قال : هذا غلط . قلت : ما هو؟ قال : تقول للأمير في الرأس واحدة ، ألا قلتَ : في الرأس طالعة، أو لائحة ، فعجبتُ من فطنته ، وجودة خاطره .

أنا ابن من سجدت له الملائكة ..

روى سعيد بن يحيى الأموي عن أبيه قال : كان فتْيان من قريش يرمون ، فرمى منهم من ولد أبي بكر وطلحة فقرطس[٣] ، فقال : أنا ابن القرينين. فرمى آخر من ولد عثمان فقرطس، فقال : أنا ابن الشهيد . ورمى رجل من الموالي فقرطس ، فقال : أنا ابن من سجدت له الملائكة، فقالوا لهُ : من هو ؟ فقال : ادم .

أريد منزلاً ..

قال المبرد : قدم بعض البصريين من أصحاب أبي هذيل[٤] بغداد، قال : فلقيتُ مُخَنَّثَيْن ، فقلت لهما : أريد منزلاً ، وكان هذا الرجل في نهاية القبح – فقال أحدهما : بالله من أين أنت؟ قلت : من البصرة ، فأقبل علي الآخر وقال : لا إله إلا الله تحول يا أخي كل شيء من الدنيا حتى هذا ، كانت القرود تجيء من اليمن، صارت تجيء من البصرة .

كيف كانت ليلتك ؟

بلغنا عن أبي الحارث أنه كان يهودي جارية يتعرّس[٥] بطيفها ، فشكا حاله إلى محمد بن منصور ، فاشتراها له وأنفذها إليه ، فلم يساعده ما معه عليها ، فبكّرَ إليه ، فقال : كيف كانتْ ليلتُك؟ قال: شرّ ليلة. صار ما عندي قرشيًا من بني أمية ، قال : كيف ذاك؟ قال : صار كما قال الأخطل :

شمسُ العداوةِ حتّى تُستقادُ لهم وأعظمُ الناس أحلامًا إذا قَدرُوا

فضحك محمد بن منصور ، ومضى إلى الفضل وجعفر ، فأخبرهما ، وكان خبره حديثهم عامة يومهم.

إفلاس وفرج ..

شكا أصحاب هشام إلى أسلم بن الأحنف احتباس أرزاقهم ، فدخل على هشام ، فقال : يا

---

(١) هو سعيد بن هاشم الخالدي الذي ذكره ابن الجوزي مع أخيه محمد وهما الخالديان .

(٢) سيف الدولة : هو علي بن عبد الله بن حمدان الثعلبي . أمير حلب . كان أديبا شاعرًا يقرب الشعراء والأدباء، وكان شديد الذكاء صاحب المتنبي الشاعر . توفي سيف الدولة سنة ٣٥٦ هـ .

(٣) قرطس : أي أصاب . يقال : رمى فقرطس : أصابه (٤) أبو هذيل العلاف المعتزلي تقدمت ترجمته . (٥) يتعرّس : يأنس ويتحبب .

أمير المؤمنين ! لو أنَّ مناديًا نادى يا مفْلِسُ ما بقى أحد من أصحابك إلا التفت ، فضحك ، وأمر بصلة أرزاقهم .

معك عقلك ..

عربد[١] هاشمي على قوم ، فشكوْه إلى عمّه ، فأراد عمه أن يتناوله بالأدب ، فقال : إني أسأتُ الأدب وليس معي عقلي ، فلا تُسئ إليَّ ومعك عقلك ، فصفح عنه .

لم جئتم ؟

قال : قدم وفد من العراق على سليمان بن عبد الملك ، فقام رجل منهم ، فقال : يا أمير المؤمنين! ما أتيناك رغبة ولا رهبة[٢] . قال : فلمَ جئتم؟ قال : نحن وفد الشكر . أما الرغبة ، فقد وصلت إلينا في رِحَالنا، وأمَّا الرهبة ، فقد أمنَّاها بعَدْلِكَ ، ولقد حببت إلينا الحياة ، وهونْتَ علينا الموت، فأمَّا تحبيبك إلينا الحياة، فلما انتَشَر من عدْلِكَ ، وأمَّا تهوينك علينا الموت ، فلما نثق منك فيمن تخلف من أعقابنا عليك ، فوصله ، وأحسن جائزته، وجوائز أصحابه .

متى هذا الوعد ؟

حدثنا أبو الحسن المدايني قال بعض العلماء : كان لنا صديق من أهل البصرة ، وكان ظريفًا أديباً، فوعدَنا أن يدعونا إلى منزله ، فكان يمُرُّ بنا ، فكلَّما رأيناه قلنا : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الملك: ٢٥] فيسكت ، إلى أن اجتمع له ما يريده ، فمرّ بنا ، فأعدنا عليه القول ، فقال : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [المرسلات : ٢٩].

أبو العجب المشعبذ..

ذكر هلال بن المحسن أن رجلاً كان يقال له : أبو العجب ، لم يُرَ مثله فيما كان يَعْمل من الشعبذة. دخل يومًا إلى دار المقتدر بالله ، فرأى خادمًا من خواصه يبكي على بلبل[٣] مات له ، فقال له: ما عليك أيها الأستاذ إن أحييته؟ فقال : ما تريد ، فأخذ البلبل الميت ، فأدخله كُمّه وأدخل رأسه، وأخرج بعد ساعة بلبلاً حيًا فهاجت الدّار ، وعجب الحاضرون ، فاستدعاه عليٌّ ابن عيسى[٤] وقال : والله إن لم تصدُقني عن حقيقة الأمر لأضربنّ عنقك ، فقال : إني شاهدتُ الخادم يبكي على بلبله ، فطمعتُ بها آخذه منه ، فمضيتُ في الحال إلى السوق ، وابتعتُ بلبلاً ، وخبّأته في كُمّي ، وعدتُ إلى الخادم ، فقلتُ ما قُلْتُه ، وأخذتُ البلبل الميت وأدخلتُ رأسه في كُمّي ، وأكلتُه ، وأخرجتُ الحيَّ ، فلم يشك أنه بلبله ، وهذا رأس الميت .

أُحضر رجل بين يدي المأمون قد أذنب ، فقال له : أنت الذي فعلت كذا وكذا؟ قال : نعم. أنا ذاك يا أمير المؤمنين الذي أسرف على نفسه واتّكل على عفوك ، فعفا عنه .

أجوبة فائقة ..

قال بعض الأدباء لصديق له : أنت والله بستان الدنيا . فقال الآخر : أنت النهر الذي يشربُ منه ذلك البستان .

---

(١) عربد : العربدة هي سوء الخلق (٢) رغبة ولا رهبة : لا حباً ولا خوفاً .

(٣) البلبل : طائر معروف له صوت حسن . (٤) هو علي بن عيسى الربعي أحد أئمة اللغة . توفي ببغداد سنة ٤٢٠ هـ .

تظلّم أهل الكوفة من عاملها إلى المأمون ، فقال : ما علمتُ في عُمّالي أعدل منه . فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنين ! فقد لزمك أن تجعل لسائر البلدان نصيبا من عدله حتى تكون قد ساويت بين رعاياك في حسن النظر ، فأمّا نحن فلا تخصّنا منه بأكثر من ثلاث سنين ، فضحك المأمون ، وأمر بصرفه.

دعا بعض الظرفاء قومًا ، فجاءوا ومعهم طفيلي[١] ، ففطن[٢] الرجل به ، وأراد أن يُعْلِمَهُمْ أنه قد فطِن، فقال : ما أدري لمن أتنكر لكم؟ إن دعوتكم فجئتم ، أو لهذا الذي تجشّمَ[٣] من غير أن دعوته .

مداعبـــة ..

قال يموت بن المزرع : قال لي سهل بن صدقة وكانت بَيْنَنا مداعبة : ضربك الله باسمك ، فقلت له مسرعا : أحوجك الله إلى اسم أبيك .

ما وقوفك ؟

مرّ رجل من الأذكياء برجل قائم في الطّريق قال : ما وقوفُك؟ قال : أنتظر إنسانًا. قال : يطول قيامك إذن .

ســوء الأدب ..

تقدم رجل سيئ الأدب إلى حجّام ، فقال له : تقدم يا ابن الفاعلة ، وأصلح شاربي . فقال له : إن كان خطابك النّاس كذا ، فعن قليل تسترحّ منه .

خيــاط لـص ..

حضر خياط عند بعض الأتراك ليفصّل له قباء ، فأخذ يفصل والتركي ينظر إليه ، فلم يتهيأ له أن يسرق منه شيئًا، فضرطَ ، فضحك التركيُّ حتى استلقى ، فأخرج الخياط من الثوب ما أراد ، فجلس التركيُّ وقال: يا خياط! ضرطةٌ أخرى ، فقال : لا يجوز ، يضيق القباء .

ذكــاء جيد ..

قال رجل لرجل : بكم ابتعتَ هذه الشاة؟ فقال : أخذتها بستة ، وهي خير من سبعة ، وقد أعطيت بها ثمانية ، فإن كانت من حاجتك بتسعة ، فزِنْ بعشرة .

لو رأيت ..

تزوج أعمى امرأة ، فقالت له : لو رأيت حُسْني وبياضي لعجبت ، فقال : لو كنتِ كما تقولين ما تركتكِ لِيَ البَصراء .

أحسنت ..

قال رجل لبعض المياسير : وعدتني وعدًا فأنجزه لي ، فقال : ما أذكر هذا الوعد ، فقال : صدقتَ. أنت لا تذكره ، لأن من تعِدُ مثلي كثير ، وأنا لا أنسى ، لأن من أسأله بمثلك قليل ، فقال : أحسنتَ، وقضى حاجته .

---

(١) الطفيلي : هو من يذهب إلى البيوت بدون دعوة ، ومنه طفيلي الأعراس .

(٢) فطن : فهم . (٣) تجشم : تكلف الأمر على مشقة وهي من باب علم

أخشى ..

كان رجل في دار بأجرة ، وكان خشب السقف يتفرقع كثيرًا ، فلمّا جاء ربُّ الدار يطالبه بالأجرة قال له : أصْلِحْ هذا السقف ، فإنه يتفرقع . قال : لا بأس عليك فإنه يسبح الله ، قال : أخشى أن تدركهُ الرأفة فيسجد .

اللحم .. اللحم ..

وقف قوم على مزيد وهو يطبخ قدرًا ، فأخذ أحدهم قطعة لحم ، فأكلها ، وقال : يا مزيد! تحتاج القدْر إلى الخل ، وأخذ آخر قطعة لحم ، فأكلها وقال : تحتاج القدر إلى أبزار ، وأخذ آخر قطعة لحم وقال : تحتاج القدر إلى مِلْح ، فأخذ الطباخ قطعة لحم وقال : تحتاج القدر إلى لحم . فتضاحكوا منه وانصرفوا .

ما اسمك ؟

قال رجل لأعرابي : ما اسمك ؟ فقال : فُراتٌ بن البحرين الفياض . قال فما كنيتُك؟ قال : أبو الغيث . قال : بأبي أنت ينبغي أن نلقي فيك زورقا وإلا غرقنا .

من محاسن الأجوبة ..

قال سعيد بن مسلم لبعض جلسائه في بستانه : ما أحسن هذا البستان! قال : أنت أحسن منه لأنه يؤتي أُكُلَهُ كلّ عام مرة ، وأنتَ تؤتي أكلك كل يوم .

قام رجل على رأس ملِك ، فقال له : لِمَ قُمتَ ؟ قال : لتقعد ، فولاّه .

دخل مخنث على العريان بن الهيثم ، وهو أمير المؤمنين بالكوفة ، فقال : يا عدو الله ! أتتخنث وأنت شيخ؟ فقال : مكذُوب عليَّ كما كُذب على الأمير أعزه الله ، فاستوى جالسًا ، وقال : وما قيل فيَّ؟ قال : يسمونك العُريان[1] وأنت صاحبُ عشرين جبّة، فضحك ، وخلّى سبيله .

رمى رجل عصفورًا فأخطأه ، فقال له رجل : أحسنت ، فغضب ، وقال : أتهزأ بي؟ قال : لا . ولكن أحسنت إلى العصفور .

قال جعفر بن يحيى البرمكي[2] لبعض ندمائه : أشتهي والله أن أرى إنسانًا تليق به النعمة، فقال له الرجل : أنا أريك ذاك عيانًا . فقال : هات ، فأخذ المرآة فقَرّبها من وجهه .

نبيذ جيد ..

قصّ قاص ، فقال : إذا مات العبد وهو سكران، دفن وهو سكران ، وحُشر وهو سكران، فقال رجل في طرف الحلقة : هذا والله نبيذ جيد يساوى الكوز منه عشرين درهما .

سُرّ ..

نظر الأصبهاني إلى أبي هفان يُسَارُّ رجلا[3] ، فقال : فيم تكذبان؟ قالا : في مدحك .

---

(١) العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي . شاعر قليل الشعر وردت أخباره في العقد الفريد لابن عبد ربه وكان رئيسا لشرطة الكوفة .

(٢) جعفر بن يحيى البرمكي : هو أحد كبار البرامكة . كان وزيراً لهارون الرشيد واستمر في الوزارة إلى أن حدثت نكبة البرامكة ، وقتل الرشيد بهم ، فقتله في مقدمتهم سنة ١٨٧ هـ .

(٣) يسار رجلا : يقول له سرًا .

الحمد لله ..

كان رجل من الظراف مع الرشيد في سفره إلى خراسان ، فلمّا علا «عقبة ماسدان» قال للرشيد: الحمد لله الذي أخرجنا من الدنيا سالمين .

اجتاز بالناشئ البغدادي قصّاب [١] يبيع لحم بقر هزيل ، وهو يقول : أين من حلف لا يغبن [٢]، فقال له الناشئ : حتى تحنثه .

مخنثون ..

قال : تاب مخنث فلقيه مخنث آخر ، فقال : من أين تأكل ؟ قال : من بقية ذاك الكسب . فقال: لحم الخنزير طريًا أطيب منه قديدًا .

وقال : رأى عبادة المخنث ثغر دابة ، فمطّ ذنبها [٣] وقال : هذه تمشي على استِحْياء .

أطعم رجل رجلاً من جدي أربعة أيام ، فقال له : هذا الجديُ موته أطول عمرًا منه في حياته .

أنام كما أشاء ..

اجتمع قوم في دعوة وفيهم رجل له محبوبٌ في الجماعة ، فلمّا ناموا قام المحب ، فأطفأ السراج ، وأخذ بيده مخدة حتى إن رآه أحد وَضع المخدة تحت رأسه ونام ، فلما بلغ إلى المكان خرجت جارية بشمعة ، فألصق المخدة بالحائط واتكأ عليها يغط ، فقالت الجارية : ويحك . تنام وتغط قائما . فقال لها : إيش عليك مني ، كيفما أردتُ أن أنام نمتُ .

ويحـــك ..

دخل رجل ذكيّ إلى المسجد يصلي ، فسرقوا نعله ، فتركوها في كنيسة بجوار المسجد ، فجعل يُفَتِّشُ عليها ، فرآها في الكنيسة ، فقال : ويحك . لما أسلمتُ أنا تهودْتِ أنتِ .

بلاغة وخبـرة ..

قال بعض الأذكياء : إذا رأيتَ رجلاً من صلاة الغداة على باب داره ، وهو يقول : ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [القصص : ٦٠] فاعلم أن في جواره وليمة لم يُدْعَ إليها ، وإذا رأيت قومًا يخرجون من مجلس القاضي وهم يقولون : ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف : ٨١] فاعلم أن شهادتهم لم تُقبل ، وإذا تزوج الرجل ، فسئل عن حاله ، فإن قال : ما رغبنا إلا في الصلاح ، فاعلم أن زوجته قبيحة .

من هذا أضحك ..

قال الشيخ : حُكي لنا أن بعض الناس ضاف رجلاً ، فانتبه صاحب الدار بالليل ، فسمع ضحك الرجل من الغرفة ، فصاح به : فلان . قال : لبيك . قال : أنت كنت في الدار ، فما الذي رقاك إلى الغرفة [٤] ؟ قال : تدحرجت، قال : الناس يتدحرجون من فوق إلى أسفل، فكيف تدحرجتَ أنتَ؟ قال: فمن هذا أضحك .

قال رجل لرجل : إن لطمتك لأبلغنّ بك المدينة ، فقال له : فأحبُّ أن تردفها بأخرى لعل الله يرزقني الحج على يديك .

قال صبي ليهودي : يا عم قف حتى أصفعك . قال : أنا مستعجل اصفع أخي .

---

(١) القصاب : الجزار . (٢) لا يغبن : لا يخدع ولا يغش . (٣) مطّ ذَنَبها : أي مدّ ذيلها . (٤) تكون فوق الدار .

قال رجل لبعض المغنين : ما تعرف الثقيل الأول ولا الثقيل الثاني . فقال : وكيف لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك .

نظر أبو الفضل الهمداني إلى رجل طويل بارد ، فقال : قد أقبل ليل الشتاء .

رُؤي فقير في قرية فقيل له: ما تصنع ؟ فقال : ما صنع موسى والخضر عليهما السلام. يعني: ﴿ اَسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ [الكهف: ٧٧] ، وسئل بعض السوقة عن سوقهم ، فقال : مثل سوق الجنّة. يعني أنه: لا بيعٌ فيه ولا شراء.

قال : شتم رجل رجلا من العوام ، فقال له : إيش قلت لك؟ فأوهمه أنه يسأل أي شيء قلته لك حتى تشتمني . وإنما أراد أي شيء قلتُه فهو لك ، وهذا من عجيب الفطنة .

بشـــرى ..

جاءت جارية رجل إليه وهو في الموت بشيءٍ يشربه ، فكرهه ، فقالت له : يا سيدي غمض عينيك وخذه ، وكذا أفعل ، بُشرى لي أني أموت .

قال رجل لرجل : بأي وجه تلقاني وقَدْ فعلتَ كذا وكذا؟ فقال : بالوجه الذي ألقى به ربي عز وجل ، وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك .

في السماء ملك يقول ..

تكلم بعض القصاص[١] قال : في السماء ملَكٌ[٢] يقول كل يومٍ : لِدوا للدود وابنوا للخراب ، فقال بعض الأذكياء : اسم ذلك الملك «أبو العتاهية» .

اتبعاني جميعًا ..

قال : استدعى رجل مغنيْين ، فلمّا همَّا بالغناء قال أحدهما للآخر : اتبعني . قال : لا . بل أنت اتبعني. قال : لا. بل أنت اتبعني، فلما طال هذا بينهما، قال صاحب البيت: اتبعاني جميعًا.

ما تشتهي ؟

قال : قدّم طباخ إلى بعض الأذكياء طبقًا وعليه رغيفان ، ثم قال له : أيش تشتهي أجيئك به. فقال : خبزًا .

محتسب وبائع ..

وحُكي أيضا: أن بعض المحتسبين جاز يومًا على رجل ينادي: الخبيص رطلين بحبة، فقال له: ويْحَك. الدبس[٣] يباع رطل بحبة، والشيرج رطل بقيراط فكيف تبيع أنت الخبيص رطلَيْن بحبة؟ فقال: يا سيدنا! ما في الخبيص[٤] شيء من اللذيْن ذكرت. قال: فبع الآن كيف شئت. والله الموفق .

---

(١) القصّاص : جماعة من المتحدثين في الإسلام يحفظون الأخبار ويقصونها ، صحت القصة أم لم تصح ، وقد حذر منهم السيوطي في كتابه «تنبيه الخواص بأحاديث القصاص» .

(٢) ليس القائل لهذا الكلام ملك وإنما هو شطر بيت لأبي العتاهية ونص البيت :

لـدوا للـدود وابنـوا للخـراب فكلكـم يصيـر إلى تـراب

«انظر ديوان أبي العتاهية ص ٣٣ . وأبو العتاهية : هو الشاعر الزاهد إسماعيل بن القاسم الغنوي ، وقد اتهمه البعض بأنه متصنع في زهده، والذي تولى كبر هذا الإثم هو الشاعر الماجن سلم الخاسر وهي دعوى ليست بصحيحة توفي أبو العتاهية سنة ٢١١ هـ .

(٣) الدبس : هو ما يسيل من الرطب . (٤) الخبيص : الحلواء من التمر والسمن .

الباب الثالث والعشرون : في احترازات الأذكياء

العباس بن عبد المطلب ..

قال الشيخ رضي الله عنه : روينا عن العبّاس بن عبد المطلب أنه سُئل : أيما أكبر أنت أم رسول الله ﷺ؟ قال : رسول الله ﷺ أكبر وأنا ولدتُ قبله .

عثمان بن عفان ..

وروينا عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه أنه قال لبعض أهل المدينة : أنا أسن منك أم أنت؟ فقال له : لا أذكر ليلة زفت أمك المباركة على أبيك الطيب ، وهذا الاحتراز مليح لأنه لم يقل أمك الطيبة.

فراسة معلم ..

قال ابن عرابة المؤدب: حكى لي محمد بن عمر الضبي أنه حفّظ ابن المعتز وهو يؤدبه ﴿والنازِعَاتِ﴾[1] وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين أبوك في أي شيء أنت؟ فقل له: في السورة التي تلي «عبس» ولا تقل: أنا في ﴿النازعات﴾. قال: فسأله أبوه. في أي شيء أنت؟ قال: في السورة التي تلي عبس، فقال: من علمك هذا؟ قال: مؤدبي. قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم.

دهـــاء ..

حدثنا عبد الواحد بن نصر المخزومي[2] قال : أخبرني من أثق به أنه خرج في طريق الشام مسافرًا يمشي وعليه مرقعة ، وهو في جماعة نحو الثلاثين رجلاً كلهم على هذه الصفة ، فصحبنا في بعض الطريق رجل شيخ حسن الهيئة ومعه حمار فاره يركبه ، ومعه بغلان عليهما رجل وقماش ومتاع فاخر، فقلنا له : يا هذا إنك لا تفكّر في خروج الأعراب علينا ، فإنه لا شيء معنا يؤخذ ، وأنت لا تصلح لك صُحْبَتنا مع ما معك. فقال : يكفينا الله . ثم سار ولم يقبل منا ، وكان إذا نزل يأكل استدعى أكثرنا فأطعمه وسقاه ، وإذا عيِيَ الواحد منا أركبه على أحد بغليه ، وكانت جماعة تخدمه وتكرمه وتتدبر برأيه إلى أن بلغنا موضعًا ، فخرج علينا نحو ثلاثين فارسًا من الأعراب ، فتفرقنا عليهم ومانعناهم ، فقال الشيخ : لا تفعلوا ، فتركناهم ، ونزل ، فجلس وبين يديه سفرته ، ففرشها وجلس يأكل ، وأظلتنا الخيل ، فلمّا رأوا الطعام دعاهم إليه، فجلسوا يأكلون ، ثم حلّ رحْلَهُ ، وأخرج منه حلوى كثيرة ، وتركها بين يدي الأعراب ، فلمّا أكلوا وشبعوا جمدتْ أيديهم ، وخدرت[3] أرجلهم ولم يتحركوا ، فقال لنا : إنَّ الحُلْوَ مبنج[4] أعددته لمثل هذا ، وقد تمكن منهم ، وتمت الحيلة ، ولكن لا يُفك البنج إلا أن تصفعوهم . فافعلوا ، فإنهم لا يقدرون لكم على ضرر ، ونسير ففعلوا ، فما قدروا على الامتناع ، فعلمنا صدق قوله ، وأخذنا أسلحتهم ، وركبنا دوابهم ، وسرنا حواليْه في موكب ، ورماحهم على أكتافنا ، وسلاحهم علينا ، فما نجتاز[5] بقوم إلا يظنوننا من أهل البادية، فيطلبون النجاة منا حتى بلغنا مأمننا .

---

(١) النازعات : سورة من سور القرآن الكريم تقع في الجزء الثلاثين منه ترتيبها ٧٩ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر (٣) خدرت : تخدّرت (٤) مبنج : فيه بنج . (٥) نجتاز : نمر

حدثنا أبو محمد بن علي المقري قال : دفن رجل مالا في مكان ، وترك عليه طابقًا وترابًا كثيرًا ، ثم ترك فوق ذلك خرقة[١] فيها عشرون دينارًا ، وترك عليها ترابًا كثيرًا ، ومضى ، فلما احتاج إلى الذهب كشف عن العشرين فلما يجدها ، فكشف عن الباقي فوجده ، فحمد الله على سلامة ماله ، وإنما فعل ذلك خوفًا أن يكون قد رآه أحد ، وكذلك كان ، فإنه لما جاء الذي رآه وجد العشرين ، فأخذها ولم يعتقد أن ثَمَّ شيئًا آخر .

من أين علمت ؟

حدثني بعض المشايخ أن رجلا يهوديًا كان معه مال ، فاحتاج إلى دخول الحمّام ، وخاف أن ينكسر سبته إن حَمَلَهُ معه ، فدخل إلى خزانة الحمّام ، فحفر ودفنه ، ثم دخل إلى الحمّام وخرج ، فبحث عنه ، فلم يجده ، فسكت ولم يُخبر أحدًا لا زوجته ولا ولدًا ولا صديقا ، فجاءه بعد أيام رجل ، فقال : كيف أنت من شغل قلبك؟ فلزمه وقال : رُد مالي لي ، فقالوا له : من أين علمت؟ قال : ما رآني لما دفنته مخلوق ، ولا حدثتُ به مخلوقًا ، فلولا أن هذا أخذه ما قال : كيف أنت من شُغل قلبك؟.

وقال بعضهم : خرجتُ في الليل لحاجة ، فإذا أعمى على عاتقه جرّة[٢] ، وفي يده سراجٌ ، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر ، وملأ جرّته ، وانصرف راجعا . فقلت: ما هذا ! أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فقال: يا فضولي[٣] ! حملتها معي لأعمى القلب مثلك يستضيء بها ، فلا يعثر بي في الظلمة ، فيقع عليّ ، فيكسر جرّتي .

اختبار ونجاح ..

روى أبو الحسن الأصفهاني أنّ إبراهيم الموصلي[٤] دخل على الرشيد وبين يديه جارية كأنها خُوط بأن ، فقال لها الرشيد : غنّي ، فغنت :

تـوهّمـــه[٥] قـلـبـي فـأصـبـح خـدّه ... وفيه مكانَ الوهـم من نظري أثـر
ومـــرّ بـوهـمـي خـاطـرًا فجرحته ... ولم أرَ جسمًا قطّ يجرحه الفكر

قال إبراهيم : فذهبت والله بعقلي حتى كدتُ أفتضح ، فقلت : من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه التي يقول فيها الشاعر :

لـها قلبـي الـغـداة وقلبها لي ... فنحنُ كـــذاك في جسديْـن روح

ثم قال : غنّ يا إبراهيم ، فغنيْتُ :

تشـرّب قلبي حبها ومشى بها ... تمشي حميّا الكأس في جسم شارب
ودبّ هـــواها في عظامي فشفها ... كما دبّ في الملسوع سُم العقارب

قال : ففطن بتعريضي ، وكانت غلطة مني ، فأمرني بالانصراف ، ولم يدْعُني شهرًا ، ثم دسّ إليّ خادمًا ومعه رقعة مكتوب فيها :

قـد تخـوفـتُ أن أمـــوت من الوجد ... ولم يـــــدر مـن هـــويْـتُ بـما بي
يـا كتابـي اقـرأ الـسـلامَ عـلى مَـنْ ... لا أسَـمّـي وقـل لـه يـا كـتـابـي .
إنّ كـفـــاً إلـيـــك قـد كتبتني ... في شقـــاء مـواصـل وعـــذاب

---

(١) الخرقة : قطعة من القماش . (٢) الجرّة : إناء من الخزف . (٣) الفضولي : هو من يتكلم فيما لا يعنيه .
(٤) إبراهيم الموصلي : مغني من أشهر المغنين لهارون الرشيد وخوط بان: غصن (٥) التوهم : الظنُّ في الشيء .

فأتاني الخادم بالرقعة ، فقلت : ما هذا؟ قال : رقعة من فلانة الجارية التي غنّتك بيْن يدي أمير المؤمنين، فأحسَسْتُ بالقصة ، فشتمتُ الخادم ، وقمتُ إليه ، فضربتُه ضربًا شُفِيَتْ منه نفسي، وركبت إلى الرشيد من فوري، فأخبرته بالقصّة، وأعطيتُه الرقعة ، فضحك حتى كاد أن يستلقي، وقال على عمد : فعلتُ ذاك لأمْتَحِنَكَ، وأعرف مذهبك وطريقتك ، ثم دعا لي الخادم، فخرج ، فلمّا رآني قال : قطع الله يديك ورجليك ، ويلك قتلتني ، فقلتُ : القتلُ بعض حقك لما وردتَ به عليّ ، ولكني أبقيتُ عليك ، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتي في عقوبتك ما تستحقه ، فأمرَ لي الرشيد بصلة سنيّة، والله يعلم أني ما فعلتُ ما فعلتُه عفافًا بل خوفًا .

عقلك عقلك ..

وقعت على المهلب[١] حية ، فلم يدفعها عن نفسه ، فقال له أبوه : يا بُنيّ ضيّعتَ العقل من حيثُ حفظت الشجاعة[٢] .

الباب الرابع والعشرون : في ذكر طرف من أحوال الشعراء والمذاحين

أصلح الله الأمير ..

قال يموت بن المزرّع : جلس الجماز يأكل على مائدة بين يدي جعفر بن القاسم[٣] وجعفر يأكل على مائدة أخرى ، وكانت الصحفة ترفع من بين يدي جعفر ، فتوضع بين يدي الجماز، فربما كان عليها قليل، وربما لم يكن عليها شيء ، فقال الجماز : أصلح الله الأمير ما نحن اليوم إلاّ عَصَبة ، فربما فضل لنا بعض المال، وربما أخذه أهل السهام ولا يبقى لنا شيء .

الخالديان ..

قال أبو الحسن السلامي[٤] الشاعر : مدح الخالديان سيف الدولة بن حمدان بقصيدة أولها :

تصدّ وداره ما تصدّد ... وتُوعِدُهُ ولا تَعِدُ

وقد قتلتهُ ظالمة ... فلا عقل ولا قود

وقالاَ فيها في مدحه :

فوجهٌ كلهُ قمر ... وسائر جسمه أسد

فلما أنشده إياها أعجب بها سيف الدولة ، واستحسن هذا البيت منها ، وجعل يردد إنشاده، فقال له الشيمطي : احمد ربك أن جعلك من عجائب البحر .

قال المصنف : الخالديان : رجلان وهما محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم ، كانا أخوين ، واتفقا في حسن الطبع ، ورِقة الشّعْر ، وكثرة الأدب ، وكانا يشتركان في الشعر وينفردان فقال فيهما أبو إسحق الصابي :

---

(١) هو المهلب بن أبي صفرة ، كان أمير العراق بعد الحجاج بن يوسف الثقفي ، ثم عزله عمر بن عبد العزيز وحبسه بحلب. قتل المهلب سنة ١٠٢ هـ .

(٢) وهذا الشيء لا يجوز عقلا ذلك أنه لا بد من العقل مع الشجاعة بل إن العقل مقدم على الشجاعة .

(٣) جعفر بن القاسم : لم أعثر له على ترجمة .

(٤) هو عبد الله بن موسى أبو الحسن السلامي. شاعر من كبار شعراء العصر العباسي ، له معرفة بالأدب والتاريخ. توفي سنة ٣٧٤هـ .

أرى الشاعرين الخالدين سيرًا ... قصائد يفنى الدهر وهي تخلد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا ... ومرّ جدال بينهم يتردد
فطائفة قالت سعيد مقدّم ... وطائفة قالت لهم بل محمد
وصاروا إلى حكمي فأصلحتُ بينهم ... وما قلتُ إلا بالتي هي أرشد
هما في اجتماع الفضل روح مؤلف ... ومعناهما من حيث ثنيت مفرد

مع طاهر بن الحسين ..

خرج طاهر بن الحسن لقتال عيسى بن هامان ، فخرج وفي كمه دراهم يفرقها على الفقراء، ثم سها وأسبل[١] كمه ، فتبدّدت ، فتطير[٢] ، فقال له شاعر في ذلك :

هذا تفرّق جمعهم لا غيره ... وذهابه متّا ذهاب الهم
شيء يكون الهم نصف حروفه ... لا خير في إمساكه في الكم

عبد الملك وأحد الخوارج ..

أحضر عبد الملك رجلاً يرى رأي الخوارج ، فأمر بقتله ، فقال : ألست القائل :

ومنا سُويد والبطين وقعنب ... ومنّا أمير المؤمنين شبيبُ

فقال : إنما قلت : ومنا أمير المؤمنين أردتُ يا أمير المؤمنين ، فحقن دمه[٣] ، ودرأ[٤] عن نفسه إذْ صَرَفَ الإعراب عن الخبر إلى الخطاب .

هجاء ..

هجا بعض الشعراء أبا عثمان المازنيّ فقال :

وفتى من مازنٍ ... ساد أهل البصره
أمه معرفة ... وأبوه نكره

تعزية حسنة ..

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فلقيه إسماعيل بن صبيح الحاجب ، فقال : أعلم أنه وُلِدَ لأمير المؤمنين ابنان ، فعاش أحدهما ومات الآخر ، فيجب أن تخاطبه بحسب ما عرّفتك ، فلمّا صار بين يديه قال : سرّك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرّك ، وجعلها واحدة بواحدة تستوجب من الله زيادة الشاكرين ، وجزاء الصابرين .

الضبي وابن سهل ..

قال : دخل جعفر الضبي على الفضل بن سهل[٥] فقال : أيها الأمير أسْكَتَني عن أوصافك تَساوي أفعالك في السؤدد[٦] ، وحيّرني فيها كثرة عددها ، فليس إلى ذكر جميعها سبيل ، فإن أردْتُ وصف واحدة اعترضت أختها ، فلم تكن الأولى أحق بالذكر ، فلستُ أصِفُها إلا بإظهار العجز عن وصفها.

عامر وغامر ..

قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدة ، فقال : يا أبا دلامة ، إنَّ أمير المؤمنين قد أمر لك بكذا وكذا من صلةٍ ، وكساك ، وحمَّلك ، وأقطعك أربعمائة جريب ، مائتان عامر ، ومائتان غامر ، فقال:

---

(١) أسبل كمّه : أرخاه . (٢) التطير : التشاؤم . (٣) حقن دمه : منع من أن يسفك . (٤) درأ : أي دفع عن نفسه .
(٥) الفضل بن سهل : أحد المقربين إلى الخليفة المأمون . (٦) السؤدد : الرفعة والشرف .

أما ما ذكر أمير المؤمنين من الصلة فقد عرفتُه ، وعرفت العامر ، فما الغامر؟ قال : الذي لا نبات فيه ولا شجر . قال : فقد أقطعتُ أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامر ، قال : ويحك أين؟ قال : فيما بين الحيرة والكوفة ، فضحك منه وسوّغها[١] إياه عامرة .

شاعر وخليفة ..

قال المدايني : دخل نصيب[٢] على عبد الملك بن مروان فتغدّى معه ، ثم قال له : هل لك فيما يتنادم عليه؟ قال: لوني حائل ، وشعْري مفلفل ، وخَلْقي مشوّه ، ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إيّاي بشرف أب ولا أم وإنّما بلغتُه بعقلي ولساني فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة فأعفاه .

قال المدايني : جلس نساء ظراف إلى بشار بن برد[٣] ، فتحدث وتحدثْنَ ، ثم قُلْنَ له : لوددنا أنك أبُونا . قال : على أني على دين كسرى .

شاعر بليغ ..

قال خالد الكاتب : أرتج عليّ وعلى دعبل[٤] وواحد من الشعراء – قد سمّاهُ ولم أحفظ اسمه – نصف بيت ، قلنا جميعًا : يا بديع الحسْن . ثم قلنا : ليس لنا إلاّ جعيفران الموسوس ، فجئناه ، فقال ما تبغوني؟ فقال خالد : جئناك في حاجة . فقال : لا تؤذوني فإني جائع ، فبعثنا ، فاشترينا له طعاما ، فلمّا شبع . قال : ما حاجتكم؟ قلنا : اختلفنا في نصف بيت . فقال : ما هو؟ قلنا : يا بديع الحسن ، فما تلعثم والله أن قال :

يـــا بـديـــع الحســـن حـاشـا لـــك مـــن هـجـــر بـــديـــع

فقال دعبل : زدني بيتًا فقال :

وبحســـن الـوجـــه عـوّذْ ثُـــكَ مـــن ســـوء الصنيع

فقال له الذي معنا ولي بيتٌ . فقال : نعم . وعزازة وكرامة .

ومِـــنَ الـنـخـــوة[٥] يستعفيـك لـــي ذل الخضـــوع

فقلت : أستودعك الله . فقال : انتظروا أزدكم بيتًا آخر فقال :

لا يعـــبْ بعضـــك بعضـاً كـــن جميـــلاً فـــي الجميـع

بلاغة الكلمة ..

ومن الفطنة : الكلام الموجَهُ الذي يحتمل المدح والذم ومنه قول المتنبي[٦]: عدوُّك مذموم بكل لسان. فإنه يحتمل المدح ويحتمل الذم ، ووجه الذم أن يكون المذكور دنيًّا ، ولا يعادي الدنيُّ إلاّ مثله. وكذلك قوله :

ولله سِرٌّ في عُلاك. يحتمل المدح : أي سر لا يُطلع عليه في تقديم مثلك .

---

(١) سوّغها له : أي أجازها ومنحها .
(٢) هو نصيب الشاعر . وقد ترجمنا له .
(٣) بشار بن برد : شاعر من كبار الشعراء ومن مقدّمي المولدين ، كأبي نواس وأبي العتاهية . كان الكل يتقي هجاء بشار ، وقد كان كفيف البصر .
(٤) دعبل الشاعر : تقدمت ترجمته .
(٥) النخوة : الكبر والعظمة .
(٦) المتنبي : هو الشاعر العظيم صاحب الديوان ، ومادح سيف الدولة : قدم إلى مصر فمدح كافورًا الأخشيد ، ثم هجاه. قبل إنه ادّعى النبوة وديوانه مطبوع .

قال شاعر : فأراد أن يُكثِر عليه ، فقال لأهل البلد :

وتشابهت سور القرآن عليكمو ... فقرأتم الأنعام بالشعراء

ومدح رجل رجلا يقال له يسير ، فقال في مدحه :

وفضلُ يسيرٍ في البلاد يسير[1]

فقيل له : إنك قد مدحته ، وإنه لا يعطيك شيئا . فقال : إن لم يعطني شيئًا قلتُ بيدي هكذا ، وضمَّ أصابعه يعني أنه قليل .

وبلغني من هذا الجنس قول رجل في رجل :

تحلَّى بأسماء الشهور فكفه ... جُمادَى وما ضمت عليه المحرّم

وقال شاعر آخر :

وقائل لي ما الذي تشتهي ... من التي قد ضمها خدرها

أوَجْهُهَا حين بدا مقبلا ... أم شعرها الأسود أم ثغرها

أم طرفها الأدعج أم كشحُها ... أم منبت الرمان أم صدرها

قلتُ له أعشقُ ذا كله ... ونصف حمّران وثلثي زها

سئل جحْظة[2] عن دعوة حضرها ، فقال : كل شيء كان منها بارد إلا الماء . وقدمت إلى أبي يعقوب الخزيمي سكباجة كبيرة العظام ، فقال : هذه شطرنجية ، واتبعت بفالوذجة قليلة الحلاوة . فقيل : قد عملت هذه قبل أن يوحى ربك إلى النحل . قال شاعر لشاعر : أنا أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمّه . قال : دخل بعض شعراء الهند على أمير فمدحه ، فقال له الأمير: تقدم يا زوج القحبة. فقال : ما زوج القحبة[3] ؟ فقال: هذه بلغة العرب كناية عَمّنْ له قدر جليل، ومحل كبير، ومال ودواب وغلمان ومنزلة. قال: فأنت أيها الأمير أكبر زوج قحبة في الدنيا، فخجل وعلم أن مزاحه جرّ عليه شتمه.

أحسنت ..

دخل بعض الأدباء على المأمون يسأله حاجة ، فلم يقضها ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّ لي شكرًا. قال : ومن يحتاج إلى شكرك؟ فأنشأ يقول :

فلو كان يستغني عن الشكر مالك ... لكثرة مال أو علو مكان

لما ندبَ الله العباد لشكره ... وقال اشكروني أيها الثقلان[4]

فقال : أحسنت ، وقضى حاجته .

قال ابن الهبارية :

قد قلتُ للشيخ الرئيس ... أخي السماح أبي المظفّر

ذكّرَه مُعين الملك بي ... قال المؤنث لا يذكّر

روى أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال: دخلتُ على أبي نضر بن أبي زيد وعنده عَلَوي[5] مبرم[6] ، فتأذّى بطول جلوسه ، وكثرة كلامه ، فلمّا نهض قال لي : أبو نضر بن عمك هذا خفيف على

---

(١) أي عطاء الرجل المسمى بيسير . قليل وصغير .

(٢) جحْظة : هو جحظة البرمكي أحد الأدباء ورواة الأخبار ، ومن المغنين ، واسمه أحمد بن جعفر ، صاحب الخليفة المعتز والخليفة المعتمد توفي سنة ٣٢٤ هـ . (٣) القحبة : سبٌّ ولعن . (٤) الثقلان : الإنس والجن .

(٥) علوي : نسبة إلى علي بن أبي طالب ، ويطلق على جماعتهم العلويين . (٦) مبرم : جالس .

القلب ، فقلت : نعم . فقال : ما أظنك فهمت؟ ففكرت ، فعلمتُ أنه أراد خفيفا مقلوبًا وهو الثقيل ، وهذا المعنى الذي أراده أبوسيد بن دوست[١] :

وأثقل مني زائري فكأنما ... يقلِّبُ في أجفان عيني وفي قلبي
فقلتُ له لما برمتُ بقربه ... أراك على قلبي خفيفًا على القلب

ذم من شاعر ..

وُصِفَ لشاعر طِيبُ خراسان ، فلمّا سافر إليها لم تعجبه فقال :

تمنينا خراسانًا زمانًا ... فلم نُعْط المنى والصبرَ عنها
فلما أن أتيناها سراعًا ... وجدناها بحذف النصف منها[٢]

الباب الخامس والعشرون في ذكر طرف من حيل المحاربين

بين عمر والهرمزان ..

حدثنا زياد بن جبير - رضي الله عنه - قال : أُتي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - برجل من المشركين. يقال له : الهرمزان ، فأسلم ، فقال : فإني مُسْتَشِيرُك في مغازيَّ هذه فأشِرْ عليَّ . فقال : نعم يا أمير المؤمنين. الأرض مَثَلُها ومثلُ من فيها من الناس مِنْ عَدوِّ المسلمين مثلُ طائر لَه رأس وجناحان، وله رِجْلان، فإن انكسر أحد الجناحيْن نهضت الرجلان بجناح وبالرأس . وإن انكسر الجناح الآخر نهضت الرِّجْلان والرأس ، فإن انشدخ الرأس ذهبت الرجلان والجناحان ، فالرأس كسرى[٣] والجناح قيصر، والجناح الآخر فارس ، فَمُرْ المسلمين فلينفروا إلى كسرى .

حاكم وقائد ..

وقد روينا أن الإسكندر[٤] رأى في عسكره سَمِيًّا[٥] له لا يزال ينهزم ، فقال له : إمّا أن تغير اسمك أو فعلك .

وخرج يومًا في الحرب من صف أصحابه وأمر مناديًا فنادى : يا معشر الفرس ! قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات ، فمن كان على الوفاء فليعتزل عن العسكر ، وله منَّا الوفاء بما ضمناه ، فانهمت الفرس بعضها بعضًا وكان أول اضطراب حدث فيهم . وفي رواية أخرى : أنه لما صادف دارا أمر مناديًا ينادي في عسكر دارا : أيها الناس أما نحن فقد فعلنا ما اتفقنا عليه ، فكونوا من وراء ما ضمنتم ، فاستشعر دارا أن عسكره قد عزموا على تسليمه إلى الإسكندر وكان ذلك سبب هزيمته .

ولمَّا شخص[٦] عن فارس إلى الهند تلقاه ملكها في جمع عظيم ، ومعه ألف فيل عليها السلاح والرجال وفي خراطيمها السيوف والأعمدة[٧] فلم تقف لها دواب الإسكندر فهُزم ، وعاد إلى مأمنه، فأمر باتخاذ فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألِفَتْهَا ، ثم أمر فمُلِئَتْ نفطًا وكبريتًا، وألبسها الدروع[٨] ، وجُرت على

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر . (٢) أي أنه وجدها كالخرا . وهذا ذم لأنه لم يجد بها يغنيه .
(٣) كسرى ملك الفرس وقائدها . (٤) الإسكندر : زعيم من قدامى الحكام .
(٥) سميًا : قائدا مُسَمًّى باسمه . (٦) شخص : رجع . (٧) العمد : هو جراب يوضع فيه السيف . (٨) الدروع : هي لباس الحرب .

العجل إلى المعركة وبين كل تمثالين منها جماعة من أصحابه ، فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النّار في جوف التماثيل ، فلمّا حَمِيَتْ انكشف أصحابه عنها ، وغشيتها الفيلة فضربتها بخراطيمها ، فتشيطت وولتْ مدبرة راجعة على أصحابها ، وصارت الدائرة على ملك الهند .

قال : ونزل مرّة على مدينة حصينة ، فتحصّنَ أهلها منه ، فأخبر أن عندهم من الميرة قدر كفايتهم، فدَسَّ تُجارًا متنكرين وأمرهم بدخول المدينة ورحل عنها ، وأمدهم بمال ومتاع ، فباعوا ما معهم ، وابتاعوا الميرة[١] ، فلمّا اكتنزوا قال : أحرقوا ما عندكم من الميرة واهربوا ، ففعلوا ، فزحف إلى المدينة، فحاصرها أيامًا يسيرة ، فأخذها ، وكان إذا أراد محاصرة بلد شرد من حولها من القُرى ، فهربوا إليها فيسرعون في أكل الميرة ، فَتقلّ فيحاصرهم ، فيفتحها .

ملك الفرس وقائده ..

وحكى عن كسرى بن هرمز أنه كان بعث الأصهد إلى الروم في جيش عظيم ، فأعطى من الظفر[٢] ما لم يُعْطَه أحد قبله ، وأخذ الأصهد خزائن الروم ووجهها على هيئتها إلى كسرى ، ففطن كسرى أن مال الأصهد[٣] من الظفر ، وأنّ هذا يغيره عليه ويوجب له كبْرًا ، فبعث إليه رجلا ليقتله، وكان المبعوث عاقلاً، فلمّا رأى الأصهد وتدبيره وعقله قال : ما يصلح قتل هذا بغير جرم ثم أخبره بالذي جاء له ، فأرسل الأصهد إلى قيصر[٤] أني أريد أن ألقاك قال : إذا شئت فنلتقي . فقال لهم : إنّ هذا الخبيث قد همَّ بقتلي، ووجّه إليّ رجلاً بذلك ، وإني أريد هلاكه كالذي أراد مني ، والبادى أظلم، فاجعل لي من نفسك ما أطمئن إليه ، وأعطيك من بيوت أمواله مثل الذي أصبتُ منك ، ومثل الذي أنت منفقه في مسيرك هذا ، فأعطاه من المواثيق ما اطمأنّ إليه ، وسار قيصر في أربعين ألفًا ، فنزل بكسرى ، فعلم كسرى كيف جرى الأمر؟ فاحتال لفضّ جنود قيصر ، فدعا قسًّا[٥] منتصرًا في دينه ، فقال : إني كاتبٌ معك كتابًا لطيفًا في حَريرة لتبلغه الأصهد ، فلا تُطلعَنَّ على ذلك أحدًا وأعطاه ألف دينار ، وقد علم كسرى أن القسّ يوصل كتابه إلى قيصر لأنه تحته هلاك الروم ، وكان في الكتاب : إلى الأصهد: إني أكتبُ إليك وقد دنا مني قيصر ، فقد أحسن الله إلينا ، وأمكن منهم بتدبيرك، لا عُدمت صواب الرأي وقد تفوقت عليهم ، وأنا مهله حتى يقرب من المدائن ، ثم أغافله في يوم كذا فغرّه على من قتلك إياي ، فإني أستأصلهم . فخرج القسُّ بالكتاب، فأوصله إلى قيصر ، فقال قيصر : هذا الحق ، وما أراد إلاّ هلاكنا ، فتولّى منصرفًا ، وأتبعه كسرى إياس بن قبيصَة الطائي، فقتل أصحابه ونجا قيصر في شرذمة[٦] قليلة .

جذيمة والزباء ..

قال هشام بن محمد الكلبي ، عن أبيه قال : كان جذيمة بن مالك مَلِكًا على الحيرة وما حولها من السواد، ملك ستين سنة ، وكان به وَضَحٌ ، وكان شديد السلطان يخافه القريب ويهابه البعيد، فنُهِيَتْ العرب أن يقولوا : الأبرص[٧] . فقالوا : الأبرش ، فغزا مليح بن البرء ، وكان ملكًا على الحضر – وهو الحاجز بين الروم والفرس – وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قصيدة منها هذا البيت :

---

(١) الميرة : الطعام يمتاره الإنسان . (٢) الظفر : النصر وهزيمة الأعداء (٣) الأصهد : هو قائد كسرى المطرود
(٤) قيصر ملك الروم . (٥) قسًّا: جمعها قُسس وقساوسة: وهو رجل الدين من أهل النصارى
(٦) الشرذمة : الجماعة القليلة العدد . (٧) الأبرص : هو المصاب بداء البرص .

وأخـــو الخضـــر إذ بنـــاه وإذ دجلـــة تجبـى إليـــه والخابـــور

فقتله جذيمة وطرد الزباء إلى الشام ، فلحقت بالروم ، وكانت عربية اللسان حسنة البيان ، شديدة السلطان ، كبيرة الهمّة . قال ابن الكلبي : لم يكن في نساء عصرها أجمل منها ، وكان اسمها فارعة ، وكان لها شَعْر إذا مشت سحبته وراءها ، وإذا نشرته جللها ، فَسُميت الزباء . قال الكلبي : وبُعِث عيسى بن مريم – عليه السلام – بعد قتل أبيها ، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال ، وبذلت الأموال ، وعادت إلى ديار أبيها وملكتها ، فأزالت جذيمة الأبرش عنها ، وابتنت على الفرات مدينتين متقابلتين من شرقيّ الفرات ومن غربيّه ، وجعلت بينهما نفقا تحت الفرات ، وكان إذا راهقها الأعداء أوت إليه ، وتحصّنت به ، وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء ، وكان بينها وبين جذيمة مهادنة ، فحدَّث جزيمة نفسه بخطبتها ، فجمع خاصته فشاورهم في ذلك ، وكان له عبد يقال له : قصير بن سعد وكان عاقلاً لَبيبًا ، وكان خازنه، وصاحب أمره ، وعميد دولته ، فسكت القوم وتكلم قصير ، فقال : أبيت اللعن أيها الملك ، إن الزباء امرأة قد حُرمت الرجال فهي عذراء لا ترغب في مال ولا جمال ، ولها عندك ثأر ، والدم لا ينام ، وإنما هي تاركتك رهبة ، وحذار دولة ، الحقد دفين في سويداء القلب[١] له كمون ككمون النار في الحجر إنْ اقتدحته أورى وإن تركته توارى ، وللملك في بنات الملوك الأكفاء متسع ، ولهن فيه منتفع ، وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن دونك ، وعظم شأنك فما أحد فوقك . فقال جذيمة : يا قصير . الرأي ما رأيت ، والحزم فيما قلته ، ولكنّ النفس توّاقة إلى ما تحب وتهوى ، ولكل امرئ قدر لا مفر له منه ولا وَزَر ، فوجهه إليها خاطبا وقال : ائت الزباء ، فاذكر لها ما يرغبها فيه وتصبو إليه ، فجاءتها خِطبتهُ[٢] ، فلمّا سمعت كلامه ، وعرفت مراده. قالت له : أنعِمْ بك عينًا ، وبما جئت به وله، وأظهرتْ له السرور به ، والرغبة فيه ، وأكرمت مقدمه، ورفعت موضعه ، وقالت : قد كنتُ أضربتُ عن هذا الأمر خوفًا أن لا أجد كفؤا ، والملك فوق قدري، وأنا دون قدره ، وقد أجبْت إلى ما سأل ، ورغبت فيما قال، ولولا أنّ السعيَ في مثل هذا الأمر بالرجال أجمل لسرتُ إليه ، ونزلتُ عليه ، وأهدت إليه هدية سنية ، ساقت العبيد ، والإماء ، والكراع[٣] ، والسلاح والأموال ، والإبل ، والغنم ، وحملت من الثياب والعين والورق[٤] ، فلمّا رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب ، وأبهجه ما رأى من اللطف وظنّ أن ذلك لحصول رغبة ، فأعجبته نفسه ، وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته وفيهم قصير خازنه ، واستخلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي اللخميّ – وهو أول ملوك الحيرة من لخم – وكان ملكه عشرين ومائة سنة ، وهو الذي اختطفته الجن وهو صبي وردته[٥] وقدّ شبَّ ونبر فقالت أمه : ألبسوه الطوق ، فقال خاله جذيمة : شَبَّ عمرو عن الطوق، فصارت مثلا ، فاستخلفه وسار إلى الزباء ، فلمّا صار ببقّة نزل وتصيّدَ وأكل وشرب، واستعاد المشورة والرأي من أصحابه ، فسكت القوم ، وافتتح الكلام قَصير بن سعد قال : أيها الملك ! كل عزم لا يؤيد بحزم . قال لي : أفٍّ ما يكون كونه فلا تثق بزخرف قول لا حصول له . ولا تعتقد الرأي بالهوى فيفسد ، ولا الحزم بالمنى فيبعُد ، والرأي عندي للملك أن يعقب أمره بالتثبُّت ، ويأخذ حذره بالتيقظ ، ولولا أن

(١) سويداء القلب : حبته وداخله . (٢) الخطبة : مقدمة الزواج . (٣) الكُراع : اسم يجمع الخيل والسلاح .
(٤) الورق : الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة . (٥) ردّته : أعادته .

الأمور تجري بالمقدور لعزمتُ على الملك عزمًا بأن لا يفعل ، فأقبل جذيمة على الجماعة فقال : ما عندكم أنتم في هذا الأمر ؟ فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته في ذلك وصوّبوا رأيه ، وقووا عزمه ، فقال جذيمة: الرأي للجماعة والصواب ما رأيتم . فقال قصير : أرى القدَرَ يسابق الحذَر[١] ، ولا يُطاع لقصير أمر ، فأرسلها مثلا. وسار جذيمة فلمَّا قرب من ديار الزباء نزل وأرسل إليها يعلمها بمجيئه ، فرحبَتْ ، وقربت، وأظهرت السرورية والرغبة فيه ، وأمرتْ أن يُحمَل إليه الأنزال والعلوفات ، وقالت لجندها وخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها ورعيتها: تلقوا سيدكم ، وملك دولتكم . وعاد الرسول إليه بالجواب بما رأى وسمع ، فلمّا أراد جذيمة أن يسير دعا قصيرًا فقال : أنت على رأيك؟ قال : نعم . قد زادت بصيرتي فيه. أفأنت على عزمك؟ قال : نعم . وقد زادت رغبتي فيه . فقال قصير : ليس للأمور بصاحب ، من لم ينظر في العواقب[٢] ، وقد يستدرك الأمر قبل فواته . وفي يد الملك بُغية هُوَ بها مسلط على استدراك الصواب ، فإن وثقت بأنك ذو ملك وعشيرة ومكان فإنك قد نزعت يدك من سلطانك . وفارقت عشيرتك ومكانك ، وألقيتها في يديْ من لستُ آمنُ عليك مكرَهُ وغدرهُ ، فإن كنت ، ولا بُدَّ فاعلاً ، وهواك تابعًا ، فإنَّ القوم إن تلقوك غدًا فرقًا ، وساروا أمامك وجاء قوم ، وذهب قوم ، فالأمر بعده في يدك ، والرأي فيك إليك ، وإن تلقوك رزدقًا[٣] واحدًا ، وأقاموا لك صَفَّيْن حتى إذا توسطتهم انقضوا عليك من كل جانب ، فأحدقوا بك ، فقد ملكوك وصرت في قبضتهم ، وهذه العصا لا يشق غبارها ، وكانت لجذيمة فرس تسبق الطير وتجاري الرياح ، يقال لها : العصا ، فإذا كان كذلك فتملك ظهرها فهي ناجية بك إن ملكت ناصيتها، فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جوابًا ، وسار، وكانت الزباء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها: إذا أقبل جذيمة غدًا فتلقوه بأجمعكم ، وقوموا له صفين عن يمينه وشماله ، فإذا توسط جمعكم فتعرضوا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به ، وإياكم أن يفوتكم ، وسار جذيمة وقصير عن يمينه ، فلما لقيه القوم رزدقا واحدًا أقاموا له صفين ، فلما توسطهم انقضوا عليه من كل جانب انقضاض الأحدل على فريسته ، فأحدقوا به، وعلم أنهم قد ملكوه . وكان قصير يسايره ، فأقبل عليه وقال : صدقت يا قصير. فقال قصير: أيها الملك أبطأت[٤] بالجواب حتى فات الصواب. فأرسله مثلاً ، فقال : كيف الرأي الآن؟ قال : هذه العصا فدونكها لعلك تنجو بها ، فايض جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش ، فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأسر وأيقن بالقتل جمع نفسه ، فصار على ظهر العصا ، وأعطاها عنانها وزجرها ، فذهبت تهوي به هوى الريح، فنظر إليه جذيمة وهي تطاول به ، وأشرفت[٥] الزباء من قصرها فقالت: ما أحسنك من عروس تجلى علي وتزف إلي . حتى دخلوا به إلى الزباء ، ولم يكن معها في قصرها إلا جوار أبكار أتراب وكانت جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زي ، وهي

---

(١) القدر يسابق الحذر . مثل عربي ومنه قول الشاعر : تقدّرون وتضحك الأقدار .

(٢) العواقب : جمع عاقبة : والعاقبة مؤخرة الشيء ونهايته .

(٣) رزدقا: صفًا من الناس مجتمعًا

(٤) أبطأت : تأخرت

(٥) أشرفت : أطلت .

بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم تزهو ، فأمرت بالأنطاع[١] فبسطت ، وقالت لوصائفها : خذوا بيد سيدكُنَّ وبعل[٢] مولاتكن، فأخذن بيده فأجلسنه على الأنطاع بحيث يراها وتراه ، وتسمع كلامه ويسمع كلامها، ثم أمرت الجواري ، فقطعن رواهشه (عروق باطن الذراع أو ظاهر الكف) ووضعت الطشت[٣] تحت يده ، فجعلت تشخب في الطشت ، فقطرت قطرة على النطع ، فقالت لجواريها : لا تضيعوا دم الملك. فقال جذيمة : لا يحزنك دم أراقه أهله ، فلما مات قالت : والله ما وفى دمك ولا شفى قتلك ، ولكنه غيض من فيض[٤] ، ثم أمرت به، فدفن .

وكان جذيمة قد استخلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي ، وكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر ، ويقتفي الأثر عن خاله ، فخرج ذات يوم ، فنظر إلى فارس قد أقبل يهوي به فرسه هوي الريح ، فقال : أما الفرس ففرس جذيمة ، وأما الراكب فكاليهمة لأمر ما جاءت العصا ، فأشرف عليهم قصير ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : سعى المقدَّر بالملك إلى حتفه[٥] على الرغم من أنفي وأنفه ، فاطلب ثأرك من الزباء ، فقال عمرو : وأيّ ثأر يطلب من الزباء ، وهي أمنع من عقاب الجو ، فقال قصير : قد علمت نصحي كان لخالك وكان الأجل رائده ، والله لا أنام عن الطلب بدمه ما لاح نجم وطلعت شمس ، أو أدرك به ثأرًا أو تحترم نفسي فأعذر ، ثم إنه عمد إلى أنفه فجدعه[٦] ، ثم لحق بالزباء على صورة كأنه هارب من عمرو بن عدي ، فقيل لها : هذا قصير بن سعد عم جذيمة وخازنه ، وصاحب أمره قد جاءك ، فأذنت له ، فقالت : ما الذي جاءك إلينا يا قصير ، وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال : يابنة الملوك العظام لقد أتيت فيما يؤتى مثلك في مثله ، ولقد كان دم الملك يطلبه حتى أدركه ، وقد جئتك مستجيرًا بك من عمرو بن عدي فإنه اتهمني بخاله ، وبمشورتي عليه بالمسير إليك ، فجدع أنفي وأخذ مالي ، وحال بيني وبين عيالي ، وتهددني بالقتل ، وإني خشيت على نفسي ، فهربت منه إليك ، أنا مستجير بك ، ومستند إلى كهف عزك ، فقالت : أهلا وسهلا ، لك حق الجوار وذمّةُ المستجير ، وأمرت به فأنزل وأجرَت له الإنزال ووصلته وكسته ، وأخدمته وزادت في إكرامه ، وأقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب الحيلة عليها وموضوع الفرصة منها ، وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق تعتصم به فلا يقدر أحد عليها ، فقال لها قصير يومًا: إن لي بالعراق مالاً كثيرًا وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك ، وإن أذنت لي في الخروج إلى العراق وأعطيتني شيئًا أتعلل به في التجارة وأجعله سببًا للوصول إلى مالي أتيتك بما قدرت عليه من ذلك، فأذنت له وأعطته مالاً ، فقدم العراق وبلاد كسرى ، فأطرفها من طرائفه ، وزادها مالا إلى مالها كثيرًا ، وقدم عليها ، فأعجبها ذلك وسرها وترتّب له عندها منزلة ، وعاد إلى العراق ثانية فقدم بأكثر من ذلك طرفًا من الجواهر والبز[٧] والخز والديباج ، فازداد مكانه منها ، وازدادت منزلته عندها ، ورغبتها فيه ، ولم يزل قصير يتلطف حتى عرف موضع النفق[٨] الذي تحت الفرات والطريق إليه ، ثم خرج ثالثة ، فقدم بأكثر من الأولين طرائف ولطائف ، فبلغ مكانه منها وموضعه عندها إلى أن كانت تستعين به في مهماتها وملماتها ، واسترسلت إليه وعولت في أمورها عليه ، وكان قصير رجلاً حسن العقل والوجه ، حصيفًا لبيبًا

---

(١) الأنطاع : الفُرش والبُسُط . (٢) بعل : زوج . (٣) في العربية يقال له : طست : بالسين ، ولكن هذا نص المؤلف (طشت) .
(٤) غيض من فيض : أي قليل من كثير ، وفي المثل غاض الكرام وفاض اللئام . أي كثر أهل الجهل ، وقل أهل الكرم.
(٥) الحتف : الموت . (٦) جدعه : قطعه . (٧) البز : نوع من الثياب النفيسة ، وكذلك الخز والديباج .
(٨) وهذا النفق هو سبب انتصار الزباء على أعدائها .

أديبًا ، فقالت له يومًا: أريد أن أغزو البلد الفلاني من أرض الشام ، فاخرج إلى العراق فأتني بكذا وكذا من السلاح والكراع والعبيد والثياب ، فقال قصير : ولي في بلاد عمرو بن عدي ألف بعير وخزانة من السلاح والكراع والعبيد والثياب وفيها كذا وكذا ، وما يعلم عمرو بها ، ولو علمها لأخذها واستعان بها على حربك ، وكنت أتربص به المنون [١] ، وأنا أخرج متنكرًا من حيث لا يعلم، فآتيك بها مع الذي سألت، فأعطته من المال ما أراد . وقالت : ياقصير ، الملك يحسن لمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره .ولقد بلغني أن أمر جذيمة [٢] كان إيراده وإصداره إليك ، وما تقصر يدك عن شيء تناله يدي ، ولا يقعد بك حال ينهض بي ، فسمع بها رجل من خاصة قومها فقال : أسد خادر ، وليث [٣] ثائر قد تحفَّز [٤] للوثبة، ولما رأى قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها قال : الآن طاب المضاغ [٥] ، وخرج من عندها ، فأتى عمرو بن عدي ، فقال : قد أصبت الفرصة من الزباء ، فانهض فعجل الوثبة، فقال له عمرو : قل أسمع ، ومر أفعل ، فأنت طبيب هذه القرحة ، فقال : الرجال والأموال . قال : حكمك فيها عندنا مسلط ، فعمد إلى ألفي رجل،من فتيان قومه وصناديد أهل مملكته ، فحملهم على ألف بعير في الغرائر السود ، وألبسهم السلاح والسيوف والحجف [٦] ، وأنزلهم في الغرائر وجعل رءوس المسوح من أسفلها مربوطة من داخل ، وكان عمرو فيهم، وساق الخيل ، والعبيد ، والكراع والسلاح والإبل محملة ، فجاءها البشير فقال : قد جاء قصير. ولما قرب من المدينة حمل الرجال في الغَرائر متسلحين بالسيوف والحجف ، وقال : إذا توسطت الإبل المدينة، فالإمارة بيننا كذا وكذا فاخترطوا الربط ، فلما قربت العير من مدينة الزباء كانت الزباء في قصرها فرات الإبل تتهادى بأحمالها فارتابت [٧] بها وقد كان وشي بقصيْر إليها ، وحُذِّرت منه فقالت للواشي به إليها: إن قصيرًا اليوم منا ، وهو ربيب هذه النعمة وصنيعة هذه الدولة وإنما يبعثكم على ذلك الحسد ، وليس فيكم مثله ، فقدح ما رأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها في نفسها مع ما عندها من قول الواشي به إليها. فقالت:

ما للجمال مشيها وئيدا[٨] أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردًا شديدا أم الرجال في المسوح سودا

ثم أقبلت على جواريها فقالت : أرى الموت الأحمر في الغرائر السود ، فذهبت مثلاً ، حتى إذا توسطت الإبل المدينة ، وتكاملت ، ألقوا إليهم الإمارة ، فاخترطوا رءوس الغرائر ، فسقط إلى الأرض ألفا ذِراع بألفي باتر طالب ثأر القتيل [٩] غدرًا ، وخرجت الزباء تمصع [١٠] تريد النفق ، فسبقها إليه قصير ، فحال بينها وبينه فلما رأت أن قد أحيط بها ومُلكت التقمت خاتمًا في يدها تحت

(١) المنون : الموت من المنية .
(٢) جذيمة : هو الملك الذي قتلته الزباء .
(٣) الليث : اسم من أسماء الأسد .
(٤) تحفز : استعد .
(٥) المضاغ : القتال والخصومة.
(٦) جمع حجفة وهي الترس من جلود بلا خشب .
(٧) ارتابت : شكت .
(٨) وئيدًا : ضعيفاً .
(٩) ثأر القتيل : الذي هو جذيمة .
(١٠) تمصع : تسرع بشدة ، ومنه مصع البرق .

فصَّه سم ساعة ، وقالت : بيدي لا بيدك يا عمرو ، فأدركها عمرو وقصير ، فضرباها بالسيف حتى هلكت ، وملكا مملكتها ، واحتويا على نعمتها ، وخط قصير على جذيمة قبرًا وكتب على قبره هذه الأبيات يقول :

ملك تمتّع بالعساكر والقنا والمشرفية عنزه ما يوصف
فسعت منيته إلى أعدائه وهو المتوج والحسام المرهف

رجال في التابوت ..

وقد روينا أن ملكا كان يقال له شمر ذو الجناح سار إلى سمرقند فحاصرها فلم يظفر منها بشيء ، فطاف حولها بالحرس ، فأخذ رجلا من أهلها ، فاستمال[١] قلبه ، وسأله عن المدينة ، فقال : أمَّا ملكها فأحمق الناس ليس له هم إلا الشراب والأكل والجماع ، ولكن له بنت هي التي تقضي أمر الناس فبعث معه هدية إليها، وقال : أخبرها أني لم أجئ لالتماس المال فإن معي من المال أربعة آلاف تابوت ذهبا وفضة ، وأنا دافعها إليها وأمضي إلى الصين فإن كانت لي الأرض كانت امرأتي وإن هلكت كان المال لها. فلما بلغتها رسالته قالت : قد أجبته ، فليبعث بالمال، فأرسل إليها أربعة آلاف تابوت في كل تابوت رجلان وجعل شمر العلامة بينه وبينهم أن يضرب بالجلجل فلما صاروا في المدينة ضرب بالجلجل[٢] فخرجوا فأخذوا الأبواب ونهض شمر في الناس ، فدخل المدينة فقتل أهلها وحوى ما فيها ثم سار إلى الصين.

من ذكاء كسرى ..

وقد كان كسرى من الذكاء على غاية ، فروينا عنه أنه نَمَّ[٣] إليه رجل بصديق له، فكتب كسرى للنام : قد اخترنا نصحك وذَمَمْنا صاحبك لسوء اختياره الإخوان . وقال : منجمُو كسرى إنك تُقْتل. فقال : لأقتلن من يقتلني ، فأمر بسمٍّ ، فخلط في أدوية ثم كتب عليه : دواء الجماع مجرب، من أخذ منه وزن كذا جامع كذا وكذا مرة ، فلما قتله ابنه شيرويه ، وفتش خزائنه مرَّ به فقال في نفسه : هذا الدواء الذي كان يقوى به على السراري[٤] ، فأخذ منه ، فقتله وهو ميت . وفي رواية أن شيرويه لما أراد قتل أبيه بعث إليه من يقتله ، فلما دخل عليه قال: إني أدلك على شيء لوجوب حقك يكون فيه غناك ، قال : وما هو؟ قال : الصندوق الفلاني ، فذهب الرجل إلى شيرويه ، فأخبره الخبر ، فأخرج الصندوق ، وفيه حُقٌّ فيه حَبٌّ ، ونَمَّ مكتوب : من أخذ منه واحدة افتض عشرة أبكار[٥]. فطمع شيرويه في صحة ذلك ، فأخذه ، وعوض الرجل منه ثم أخذ منه حبة ، فكان هلاكه، وكان كسرى أول ميت أخذ بثأره من حي .

---

(١) استمال قلبه : ليّنهُ إليه .
(٢) الجلجُل : بضم الجيم الأولى والثانية جمعها جلاجل . الجرس .
(٣) نَمَّ : من النميمة .
(٤) السراري : جمع سرية الجواري والإماء.
(٥) الأبكار : جمع بكر ، وهي التي لم يسبق لها زواج .

ذكاء ونجاة ..

هُزِمَ بعض الملوك ، فنثر لطالبيه زجاجا مُلَوَّنًا شبيها بالجوهر الأحمر والأخضر ، ودنانير صفرًا مطلية بالذهب ، فتشاغل طالبوه بلقطها ، فنجا .

علم بعض الملوك بعسكر يطلبه ، فأخذ شعيرًا ، فطبخه بالماء مع قُضْبَان[١] الدفلِّي ، ثم جَففه ثم جرَّبه في دابة فلما أكلته نفقت من يومها ، فخرج هو وعسكره ناحية ونثَرا الشَّعيرَ والميرة، فلما سار القوم إليه ترك ما في معسكره وتنحى[٢] ، فجاءوا فأطلقوا دَوَابَّهم في الشعير فهلكت كلها .

حارب قوم ومعهم فيلة ، فقهروا عدوهم ، فأشار على العدو رجل أن يحملوا خنزيرًا ، وأن يضربوه ، فلما سمعت الفيلة صوته هربت .

جاء رجل معه هر تحت حضنه ومشى بسيفه إلى الفيل وفي خرطومه السيف فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فأدبر الفيل هاربا وتساقط من فوقه ، فكبَّر المسلمون وكان سبب الهزيمة . قيل لأسلم بن زراعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس بن إدية يغضب عليك الأمير عبيد الله ابن زياد ، قال : يغضب عليَّ وأنا حيٌّ أحب من أن يرضى عني وأنا ميت .

خرج أمير ومعه رجل فيه ذكاء فبينما هُمْ على الغداء قال للأمير : اركب ، فقد لحقنا العدو، قال : كيف؟ وما يرى أحد ، قال : اركب عاجلاً فإن الأمر أسرع مما تحسب ، فركب وركب الناس فلاحت الغبرة[٣] ، وطلع عليهم سرعان الخليل فعجب الأمير ، وقال : كيف علمت؟ قال : أما رأيت الوحش[٤] مقبلة علينا ومن شأن الوحوش الهرب منا ، فعلمتُ أنها لم تدع عاداتها إلا لأمر قد دهمها[٥] والله الموفق .

الباب السادس والعشرون : في ذكر طرف من فطن المتطببين

شيخ الأطباء ! ..

حدثنا بعض الأطباء الثقات أن غلامًا من بغداد قدم الرَّيّ، فلحقه في طريقه لأنه كان ينفث الدم ، فاستدعى أبا بكر الرازي[٦] ، الطبيب المشهور بالحذق ، فأراه ما ينفث ، ووصف له ما يجد ، فنظر إلى نبضه وقارورته ، واستوصف حاله ، فلم يَقُم له دليل عليسُلٍّ ولا قرْحة. ولم يعرف العلة ، فاستنظر العليل[٧] لينظر في حاله ، فاشتد الأمر على المريض ، وقال : هذا يأس لي من الحياة لحذق المتطبب وجهله بالعلة ، فزاد ألمه ، ففكر الرازي ، ثم عاد إليه ، فسأله عن الماء الذي شرب ، فقال : من صهاريج ومسقات ، فثبت في نفس الرازي بحدة خاطره ، وجودة ذكائه أنَّ علقة كانت في المياه ، وقد حصلت في معدته ، وذلك الدم من فعلها ، فقال : إذا كان غدٍ عالجتك ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك ، أن يطيعوني فيك بما آمرهم . قال :

---

(١) الدفلى : نبت مُرّ زهره كالورد الأحمر . (٢) تَنَحّى : أي ذهب بعيدًا .

(٣) الغبرة : الغبار . (٤) الوُحش : جمع وحش ، وهو كل ما لا يُستأنس من دواب البرّ .

(٥) دهمها : أصابها وشغلها .

(٦) أبو بكر الرازي هو الطبيب العربي المشهور . له باع طويل في علم الطب .

(٧) استنظره ، طلب منه أن ينظر إلى يوم آخر .

نعم. فانصرف الرازي فجمع مركنين كبيرين من طحلب، فأحضرهما في غدٍ معه، فأراه إياهما قال: ابلع ما فيه هذين المركنين (الوعاءين)، فبلع شيئا يسيرا ثم وقف. قال: ابلع. قال: لا أستطيع. فقال للغلمان: خذوه فأقيموه، ففعلوا به ذلك، وطرحوه على قفاه، وفتحوا فاه، فأقبل الرازي يدس الطحلب[١] في حلقه، ويكبسه كبسًا شديدًا، ويطالبه ببلعه ويتهدده بأن يُضرب إلى أن بلعه كارهًا أحد المركنين بأسره، والرجل يستغيث، ويقول: الساعة قذف، فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه، فذرعه القيء، فتأمل الرازي ما قذف فيه، فإذا فيه علقة، وإذا هي لما وصل إليها الطحلب، قربت إليه بالطبع، وتركت موضعها، فالتفت على الطحلب، ونهض العليل معافى.

طبيب بارع ..

حدثنا علي بن الحسن الصيدلاني قال: كان عندنا غلام حدَث من أولاد النبط فلحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يَعْرفه، فكانت تضرب عليه الأوقات ضربًا عظيمًا حتى يكاد يتلف، وقلّ أكله، ونحل جسمه، فحمل إلى الأهواز، فعولج بكل شيء، فلم ينجع فيه، ورُدَّ إلى بيته وقد يئس منه، فجاز[٢] بعض الأطباء فعرف حاله، فقال للعليل: اشرح لي حالك من زمن الصحة، فشرح إلى أن قال: دخلتُ بستانًا فكان في بيت البقر رمان كثير للبيع، فأكلت منه كثيرًا. قال: كيف كنت تأكله؟ قال: كنت أعض رأس الرمانة بفمي، وأرمي به، وأكسرها قطعا وآكل، فقال الطبيب: غدًا أعالجك بإذن الله تعالى، فلما كان الغد جاء بقدر اسفيداج قد طبخها من لحم جرو[٣] سمين، فقال للعليل: كُل هذا. فقال العليل: ما هو؟ قال: إذا أكلت عرَّفتك، فأكل العليل، فقال له: امتلئ منه، فامتلأ، ثم قال له: أتدري أي شيء أكلت؟ قال: لا. قال: لحم كلب، فاندفع يقذف، فتأمل القذف إلى أن طرح العليل شيئا أسود كالنواة يتحرك، فأخذه الطبيب وقال: ارفع رأسك فقد برأت، فرفع رأسه، فسقاه شيئًا يقطع الغثيان[٤]، وصب على وجهه ماء وردٍ، ثم أراه الذي وقع فإذا هو قرادٌ[٥]، فقال: إن الموضع الذي كان فيه الرمان، كان فيه قردان من البقر، وأنه حصلت منهم واحدة في رأس إحدى الرمّانات التي اقتلعتَ رءوسها بفيك، فنزل القراد إلى حلقك وعلق بمعدتك يمتصها، وعلمت أنّ القراد تهش إلى لحم الكلب، فإن لم يصح الظنّ لم يضرك ما أكلت، فصحَّ، فلا تدخُل فمك شيئًا لا تدري ما فيه. والله الموفق.

عالجني ولك الغنى ..

حدثنا أبو إدريس الخولاني قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن[٦]. قيل له: ولِمَ؟ قال: لا تغدو العاقل إحدى خصلتين. إمَّا أن يهتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه، والشحم[٧] مع الهم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم، فانعقد الشحم، ثم قال: كان ملك في الزمان الأول، وكان مثقلاً كثير الشحم لا ينتفع بنفسه، فجمع المتطببين[٨] وقال: احتالوا إليّ بحيلة يخف عني لحمي هذا قليلاً. قال: فما قدروا له على شيء. قال: فبعث له رجل عاقل أديب متطبب فاره[٩]، فبعث

---

(١) الطحلب: بضم الطاء واللام. الأخضر الذي يعلو الماء. (٢) جاز: أي مر.
(٣) الجرو: هو ولد الكلب. (٤) الغثيان: القيء.
(٥) القراد: نوع من الحشرات تلتصق بجلد البقر فتمتص دمه، وهي في حجم الذبابة.
(٦) محمد بن الحسن هو صاحب أبي حنيفة وقد مرّت ترجمته. (٧) الشحم: اللحم والسمنة. (٨) الأطباء. (٩) فاره: حاذق.

إليه ، وأشخصه[١] فقال له : عالجني ولك الغنى . قال : أصلح الله الملك ، أنا متطبب منجم ، دعني حتى أنظر الليلة في طالعك أي دواء يوافق طالعك فأسقيك ، قال : فغدا عليه[٢] ، فقال : أيها الملك، الأمان . قال : لك الأمان[٣]. قال : رأيت طالعك يدل على أن الباقي من عمرك شهر ، فإن أحببت عالجتك ، وإن أردت بيان ذلك، فاحبسني عندك ، فإن كان لقولي حقيقة فخلّ عني ، وإلاّ فاستقص مني ، قال : فحبسه ، قال : ثم رفع الملك الملاهي ، واحتجب عن الناس ، وخلا وحده مهتمًا ، كُلّما انسلخ[٤] يوم ازداد غمًا حتى هزل ، وخف لحمه ، ومضى لذلك ثمان وعشرون يومًا فبعث إليه وأخرجه ، فقال : ما ترى؟ . قال : أعز الله الملك . أنا أهون على الله عزل وجل من أن أعلم الغيب، والله ما أعرف عمري، فكيف أعرف عمرك؟ إنه لم يكن عندي دواء إلا الغم ، فلم أقدر أن أجلب إليك الغم إلا بهذه العلة، فأذاب شحم الكلى ، فأجازه وأحسن إليه .

طبيب حاذق ..

حدثنا أبو الحسن بن الحسن بن محمد الصالحي الكاتب قال : رأيت بمصر طبيبًا كان بها مشهورًا يعرف بالقطيعي ، وقال : إنه يكسب في كل شهر ألف دينار من جرايات[٥] يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ، ومن السلطان ، ومما يأخذه من العامّة ، قال : وكان له دار جعلها شبه المارستان من جمله داره يأوي إليها الضعفاء والمرضى فيداويهم ، ويقوم بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم ، وينفق أكثر كسبه في ذلك ، فاتفق أن بعض فتيان الرؤساء بمصر أسكت[٦] . قال : فجعل إليه أهل الطب، وفيهم القطيعي ، فأجمعوا على موته إلا القطيعي ، وعمل أهله على غسله ودفنه ، فقال القطيعي : أعالجه وليس يلحقه أكثر من الموت الذي قد أجمع هؤلاء عليه ، فخلاّه أهله معه ، فقال : هات غلامًا جلدًا[٧] ومقارع ، فأتى بذلك ، فأمر به ، فمدهُ وضربه عشر مقارع أشد الضرب ثم مس جسده ، ثم ضربه عشرًا أخر ، ثم جس مجسه[٨] ، ثم ضربه عشرًا أخر ، ثم جس مجسه ، وقال : أيكون للميت نبض[٩]؟ قالوا : لا . قال فجسوا نبض هذا فجسوه ، فأجمعوا أنه نبض متحرك ، فضربه عشر مقارع أخر ، ثم جسُّوه فجسوه ، فقالوا قد زاد نبضه ، فضربه عشرًا أخر ، فتقلب ، فضربه عشرًا فتأوه[١٠]. فضربه عشرًا فصاح، فقطع عنه الضرب، فجلس العليل يتأوه، فقال له : ما تجد؟ قال : أنا جائع. فقال أطعموه ، فجاءوا بما أكله ، فرجعت قوته وقمنا ، وقد برأ . فقال له الأطباء: من أين لك هذا؟ قال : كنت مسافرًا في قافلة فيها أعراب يخفروننا[١١] ، فسقط منهم فارس عن فرسه، فأسكت، فقالوا: قد مات؟ قال: فعمد شيخ منهم فضربه ضربًا شديدًا عظيمًا، وما رفع الضرب عنه حتى أفاق، فعلمت أن الضرب جلب إليه حرارة أزالت سكتته، فقست عليه أمر هذا العليل .

من ذكاء الأطباء ..

قال أبو منصور بن مارية ، وكان من رؤساء البصرة قال : أخبرني شيوخنا قال : كان بعض أهلنا قد استسقى وأيسوا[١٢] من حياته ، فحُمل إلى بغداد وشاوروا الأطباء فيه ، فوصفوا له أدوية كبارًا ، فعرفوا

---

(١) أشخصه: بعث به . (٢) أي جاء إليه ورجع . (٣) أي أطلب منك الأمان فآمنهُ .
(٤) انسلخ : انتهى وانقضى . (٥) الجرايات هي العطايا والمنح والرواتب . (٦) أي أصابته سكتة قلبية .
(٧) جلدًا : أي قويًا . (٨) أي جسَّ نبضه . (٩) النبض : هو تحرك الدم في العروق . (١٠) تأوه : أحس بآثار الضرب .
(١١) يخفروننا : يحرسوننا . (١٢) اليأس : القنوط .

أنه قد تناولها ، فلم تنفع، فأيسوا من حياته ، وقالوا : لا حيلة لنا في برئه ، فسمع العليل ، فقال : دعوني الآن أتزود من الدنيا وآكل ما أشتهي ولا تقتلوني بالحمية ، فقالوا: كل ما تُريد ، فكان يجلس بباب الدار ، فمهما اجتاز به اشتراه وأكله ، فمرَّ به رجل يبيع جرادًا مطبوخًا ، فاشترى منه عشرة أرطال ، فأكلها بأسرها، فانحل طبعه ، فقام في ثلاثة أيام ، أكثر من ثلاثمائة مجلس ، وكاد يتلف ، ثم انقطع القيام ، وقد زال كل ما كان في جوفه وثابت قوته ، فبرئ وخرج يتصرف[١] في حوائجه ، فرآه بعض الأطباء ، فعجب من أمره وسأله عن الخبر فعرفه، فقال : ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا الفعل ، ولا بد أن يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية ، فأحب أن تدلني على صاحب هذا الجراد الذي باعه لك ، فما زال في طلبه حتى علم به ، فرآه الطبيب فقال له : ممن اشتريت هذا الجراد؟ فقال: ما اشتريته أنا أصيده ، وأجمع منه شيئًا كثيرًا وأطبخه وأبيعه . قال : فمن أين تصطاده؟ فذكر له مكانا على فراسخ يسيرة من بغداد ، فقال له الطبيب : أعطيك دينارًا وتجيء معي إلى الموضع الذي اصطدت منه الجراد . قال : نعم ، فخرجا وعاد الطبيب من الغد ومعه من الجراد شيء ومعه حشيشة، فقالوا له : ما هذا؟ قال : صادفت الجراد الذي يصيده هذا الرجل يرعى في صحراء جميع نباتها حشيشة يقال لها : مازريون ، وهي من دواء الاستسقاء ، فإذا دُفع إلى العليل منها وزن درهم أسهله إسهالا عظيما لا يؤمن أن ينضبط والعلاج بها خطر ، ولذلك ما يكاد يصفها الأطباء . فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة ، ونضجت في معدته ، ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبختين، فاعتدلت بمقدار ما أبرأت[٢] هذا .

مات الطبيب الذكي ..

قال أبو بكر الجفاني : دخلت يوما على القاضي حسين بن أبي عمر وهو مهموم حزين ، فقلت: لا يغم الله قاضي القضاة أبدًا ، ومن يزيد المائي[٣] ؟ حتى إذ مات يغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله، فقال : ويحك مثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ولا خلف له يقاربه في حذقه وهل فخر البلد إلا أن يكون رؤساء الصناع ، وحذاق أهل العلوم فيه[٤] ، إذا مضى رجل لا مثل له في صناعته لا بد للناس منها ، فهلا يدل هذا الأمر على نقصان العلم وانحطاط البلدان[٥] ، ثم أخذ يعدد فضائله ، والأشياء الظريفة التي عالج بها ، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره ، فذكر من ذلك أشياء كثيرة . منها أنه قال : لقد أخبرني من مدة مديدة[٦] رجل من جلة[٧] هذا البلد أنه كان حدث بابنة له علة ظريفة فكتمتها عنه ، ثم اطلع عليها فكتمها هو مدة ، ثم انتهى أمرها إلى الموت ، قال : فقلت لا يسعني كتم هذا أكثر من هذا . قال وكانت العلة أن فرج[٨] الصبية كان يضرب عليها ضربانًا عظيمًا لا تكاد تنام منه الليل ولا تهدأ بالنهار، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ ، ويجري في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم ، وليس هناك جُرح يظهر ولا ورم كثير ، فلما خفت المأتم ثم أحضرتُ يزيد فشاورته ، فقال : أتأذن لي في الكلام وتبسط عذري

---

(١) يتصرف في حوائجه : يعمل في ممتلكاته .
(٢) أبرأت : شفته من علته .
(٣) يزيد المائي : طبيب حاذق من أعظم أطباء عصره .
(٤) ذلك لأنهم هم الذين يوضحون للناس طريق الحق والصواب .
(٥) لا يدل إلا على أن جاهلاً سيقوم مقامه ليقول للناس بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .
(٦) مديدة أي طويلة .
(٧) من جلة هذا البلد : أي من عظمائه .
(٨) الفرج : موضع الولادة .

فيه؟ فقلت : نعم ، فقال : إنه لا يمكنني أن أصف شيئًا دون أن أشاهد الموضع وأفتشه بيدي ، وأسأل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة. قال : فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف[١] أمكنه من ذلك ، فأطال مساءلتها وحديثها بما ليس منه جنس العلة بعد أن حبس الموضع حتى عرف بقعة الألم حتى كدت أن أثب به ثم تصبّرت ورجعت إلى ما أعرفه من سَتْره ، فصبرت على مضض إلى أن قال تأمر من يمسكها ، ففعلت ثم أدخل يده في الموضع دخولاً شديدًا ، فصاحت الصبية وأغمي عليها وانبعث الدم ، فأخرج في يده حيوانا أقل من الخنفساء فرمى به ، فجلست الابنة في الحال واستترت وقالت : يا أبت استرني فقد عوفيت ، قال : فأخذ الحيوان في يده وخرج من الموضع ، فلحقته وأجلسته وقلت : أخبرني ما هذا؟ قال : تلك المسألة التي لم أشك أنك أنكرتها إنما كانت لأطلب شيئًا أستدل به على العلة إلى أن قالت لي : إن يومًا من الأيام جلست في بيت دولاب البقر من بستان الحكم ، ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه بعد ذلك اليوم ، فتخايلت أنه قد دب إلى فرجها من القردان[٢] ، وكلما امتص من موضعه ولد الضربان، وأنه إذا شبع نقط من الفرج الذي يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقطة اليسيرة من الدم ، فقلت : أدخل يدي وأفتش ، فأدخلت يدي فوجدت القراد ، فأخرجته وهذا هو الحيوان ، وقد كبُر وتغيرتْ صورته لكثرة ما يمص من الدم على طول الأيام فقال : فتأملت الحيوان ، فإذا هو قراد، قال : برئت الصبية . قال ، فقال لي أبو الحسن القاضي : هل ببغداد اليوم من له صناعة مثل هذا ؟ فكيف لا أغتم بمن هذا بعض حذقه ؟

من أطباء الرشيد ..

قال جبريل بن بختيشوع : كنت مع الرشيد بالرقة ومعه محمد والمأمون ، وكان رجلاً كثير الأكل والشرب ، فأكل يومًا أشياء خلط فيها ، ودخل المستراح فغشي عليه ، فأخرج وقوي الأمر حتى لم يشكُّوا في موته ، فأحضرت وجسيت عرقه ، فوجدت نبضًا خفيًا ، وقد كان قبل ذلك يشكو امتلاء وحركة الدم، فقلت : الصواب أن يحتجم الساعة ، فقال كوثر الخادم ، لما لم تقدر من أمر الخليفة يا ابن الفاعلة تقول احجموا رجلاً ميتًا لا نقبل قولك ولا كرامة . فقال المأمون : الأمر قد وقع وليس يضر أن تحجمه ، فأحضر الحجام وتقدمت إلى جماعة من الغلمان بإمساكه ومص الحجام المحاجم ، فاحمر المكان ففرحت ، ثم قلت: أشرطه[٣] ؟ فشرطه ، فخرج الدم فسجدت شكرًا ، فكلما خرج الدم أسفر لونه إلى أن تكلم وقال : أين أنا؟ أنا جائع ، فغديناه وعوفي ، فسأل صاحب الحرس عن غلته، فعرّفه أنها ألف درهم في كل سنة ، وسأل صاحبه ، فعرّفه أنها خمسمائة ألف ، فقال يا جبريل كم عليك؟ قلت خمسون ألفا . قال : ما أنصفناك إذ غلاّت هؤلاء وهم يحرسوني كذلك وغلتك كما ذكرت ، فأمر بإقطاعه ألف ألف درهم .

---

(١) تلف الشيء: فساده .

(٢) القردان : حشرة في حجم الذبابة تمتص دماء البقر

(٣) أشرطه : أي أنزل الدم الفاسد بالمشرط .

ابن نوح الطبيب ..

حدثنا أبو الحسن المهدي القزويني قال : كان عندنا طبيب يقال له : ابن نوح ، فلحقتني سكتة ، فلم يشكُ أهلي في موتي وغسّلوني وكفنوني وحملوني على الجنازة ، فمرت الجنازة عليه، ونساء خلفي يصرخن ، فقال لهم : إن صاحبكم حيٌّ فدعوني أعالجه ، فصاحوا عليه ، فقال لهم الناس : دعوه يعالجه ، فإن عاش وإلاّ فلا ضرر عليكم ، فقالوا : نخاف أن تصير فضيحة ، فقال : عليّ أن لا تصير فضيحة ، قالوا : فإن صرنا؟ قال : حكم السلطان في أمري ، وإن برئ فأيُّ شيء لي ؟ قالوا : ما شئت. قال : ديته . قالوا : لا نملك ذلك ، فرضي منهم بمال أجابه الورثة إليه ، وحملني ، فأدخلني الحمام وعالجني ، وأفقت في الساعة الرابعة والعشرين من ذلك الوقت ، ووقعت البشائر ، ودفع إليه المال ، فقلت للطبيب بعد ذلك : من أين عرفت هذا؟ فقال : رأيت رجليك في الكفن منتصبة وأرجل الموت منبسطة ولا يجوز انتصابها ، فعلمت أنك حي ، وخمنت أنك أسكت وجربت عليك ، فصحَّت تجربتي. قال أبو أحمد الحارثي : كان طبيب نصراني يقال له : موسى بن سنان قدْ أُتي برجل منتفخ الذكر ، لا يقدر أن يبول ، وهو يستغيث ويصيح ، فسأله عن علته ، فذكر أنه لم يَبُلْ منذ أيام، ورأى ذكره منتفخًا ، فنظر في حاله ، فلم يجد شيئًا يوجب عسر البول ولا حصاة ، فتركه عنده يومًا يسأله، فقال له : حدِّثني، أدخلت ذكرت في شيء لم تجر عادة الناس به ، فلحقك هذا ، فسكت الرجل واستحى ، فلم يزل الطبيب يبسطه[١] ويشرط له الكتمان إلى أن قال : نكحت حمارًا ذكرًا ، فقال: الطبيب : هاتوا مطرقة وغلمانًا ، فجاءوه ، فأمسكوا الرجل ، وجعل ذكره على سندان حداد وطرقه بالمطرقة مرة واحدة وجيعة ، فبرزت شُعَيْرة ، وذاك أنّه خمّن أنّ شُعيرة من جاعرة الحمار قد دخلت في الذكر ، فلما طرقها[٢] خرجت .

طبيب فطن ..

حدثنا أبو القاسم الجهني : أن حظية[٣] لبعض الخلفاء أظنُّه الرشيد قامت لتتمطى ، فلما تمطت جاءت لترد يَدَهَا فلم تقدر ويقيتَا جافتين ، فصاحت وآلمها ذلك ، وبلغ الخليفة فدخل وشاهد من أمرها ما أقلقه وشاور الأطباء ، فكل قال شيئًا واستعمله فلم ينجح ، وبقيت الجارية على تلك الصورة أيامًا والخليفة قلق بها ، فجاء أحد الأطباء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا دواء لها إلا أن يدخل إليها رجل غريب ، فيخلو بها ويمرخها[٤] مروخًا يعرفه ، فأجابه الخليفة إلى ذلك طلبًا لعافيتها ، فأحضر الطبيب رجلاً وأخرج من كمّه دهنًا وقال : أريد أن تأمر يا أمير المؤمنين بتعريتها حتى أمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن ، فشقَّ ذلك عليه، ثم أمر أن يفعل ذلك ووضع في نفسه قتل الرجل ، وقال للخادم : خذه فأدخله عليها بعد أن تعريها ، فعُرّيت الجارية وأقيمت ، فلما دخل الرجل وقرب منها سعى إليها ، وأومأ[٥] إلى فرجها ليمسه ، فغطت

---

(١) أي ينبسط معه في القول .

(٢) طرقها : ضربها بالمطرقة .

(٣) حظية : أي محظوظة مقرّبة منه .

(٤) يمرخها : يدهن جسمها بالدهن.

(٥) أومأ : أشار بيده دون لمس .

الجارية فرجها بيدها ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع[١] حمى بدنها بانتشار الحرارة الغريزية ، فعاونتها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال يديها في ذلك، فلما غطّت فرجها قال لها الرجل : قد برأتِ ، فلا تُحركي يديك ، فأخذه الخادم ، وجاء به إلى الرشيد ، وأخبره الخبر ، فقال له الرشيد : كيف تعمل بمن شاهد فرج حرمتنا[٢] فجذب الطبيب بيده لحية الرجل ، فإذا هي ملتصقة ، فانقلعَتْ ، فإذا الشخص جارية ، وقال : يا أمير المؤمنين، ما كنت لأبدي حرمتك للرجال ، ولكن خشيت أني أكشف لك الخبر ، فيتصل بالجارية ، فتبطل الحيلة لأني أردت أن أدخل إلى قلبها فزعًا شديدًا يُحمِي طبعها ويقودها إلى الحمل على يديها وتحريكها وإعانة الحرارة الغريزية على ذلك ، فلم يقع لي غير هذا؟ فأخبرتك به ، فأجزل الخليفة جائزته وصرفه. قال أبو القاسم : ولهذا استعملت الأطباء في علاج اللقوة[٣] الضعيفة الصفعة الشديدة على غفلة من ضد الجانب الملقو ليدخل قلب المصفوع ما يحميه، فيحول وجهه ضرورة بالطبع إلى حيث صفع ، فترجع لقوته .

إذا طلعت الشمس مات ..

حدثنا بشر بن الفضل قال : خرجنا حجاجًا ، فمررنا بمياه من مياه العرب ، فوصف لنا فيه ثلاث أخوات بالجمال وقيل لنا : إنهن يتطببن[٤] ويعالجن ، فأحببنا أن نراهنَّ ، فعمدنا إلى صاحب لنا ، فحككنا ساقهُ بعود حتى أدميناه[٥] ، ثم رفعناه على أيدينا وقلنا : هذا سليم[٦] فهل من راقٍ ، فخرجت أصغرهن، فإذا جارية كالشمس الطالعة ، فجاءت حتى وقفت عليه ، فقالت : ليس سليمًا. قلنا : وكيف؟ قالت : لأنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر ، والدليل أنه إذا طلعت الشمس مات فلما طلعت الشمس مات . فعجبنا من ذلك[٧] .

شكا رجل إلى طبيب وجع بطنه فقال : ما الذي أكلت؟ قال : أكلت رغيفًا محترقًا ، فدعا الطبيب ليكحله بذرور ، فقال الرجل : إنما أشتكي وجع بطني لا عيني قال : قد عرفت ، ولكن أكحلك لتبصر المحترق فلا تأكله .

الباب السابع والعشرون : في ذكر طرف من فطن الطفيليين

من هو الطفيلي ؟ ..

قال الأصمعي : الطفيلي الداخل على القوم من غير أن يدعى ، مأخوذ من الطَفَل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته ، وأرادوا أنَّ أمره يظلم على القوم فلا يدرون من دعاه ولا كيف دخل عليهم .

---

(١) الجزع : الخوف وعدم الصبر .

(٢) حرمتنا : حرم الرجل وامرأته . (٣) اللقوة: داء يصيب الوجه .

(٤) أي يعملن بالطب . (٥) أي جرحناها حتى نزل الدم منها .

(٦) سليم : أي لدغه ثعبان .

(٧) وهذا كله يدلنا على أن العرب كان لهم من الذكاء والتجارب في الطب ما يعجز القلم عن وصفه.

قال : وقولهم طفيلي : منسوب إلى طفيل ، رجل بالكوفة من بني غطفان ، وكان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها وكان يقال له : طفيل الأعراس والعرائس ، فيه نظر . لأن العرب تسمى الطفيلي الوارش[١] ، والرائش ، والذي يدخل على القوم في شرابهم ولم يدع إليه الواغل ، قال أبو عبيدة : كان رجل من بني هلال يقال له طفيل ابن زلال إذا سمع بقوم عندهم دعوة أتاهم فأكل طعامهم فسمى كل من فعل ذلك به .

خامس خمسة ..

روى ابن مسعود : قال : كان فينا رجل يقال له أبو شعيب وكان له غلام لحام فقال لغلامه اجعل لي طعامًا لعلي أدعو النبي ﷺ فدعا النبي ﷺ خامس خمسة فتبعه رجل فقال النبي ﷺ للرجل: «إنك دعوتني خامس خمسة وإنّ هذا اتبعنا فإن أذنت وإلا رجع» قال بل ائذن له .

بنات الطفيلي ..

حدثنا أحمد بن الحسن المقري قال : مر بنان بعُرْس فأراد الدخول فلم يقدر فذهب إلى بقّال فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداح عسلاً وجاء إلى باب العرس فقال : يا بواب افتح لي ، فقال له البواب : من أنت ؟ قال: أراك ليس تعرفني أنا الذي بعثوني أشتري لهم الأقداح . ففتح له البواب ، فدخل ، فأكل وشرب مع القوم ، فلما فرغ أخذ الأقداح فقال: يا بواب افتح لي يريدون ناصحيه حتى أرد هذه ، فخرج ، فردها على البقال وأخذ خاتمه .

انزل وكُل ..

قال : وجاء بنان إلى وليمة فأغلق الباب دونه فاكترى سلما ووضعه على حائط للرجل فأشرف على عيال الرجل وبناته فقال له الرجل: يا هذا أما تخاف الله؟ رأيت أهلي وبناتي فقال: يا شيخ ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [هود : ٧٩] فضحك الرجل ، وقال له : انزل فكل .

احتال ونجحت حيلته ..

قال أحمد بن الجلاب : جاء طفيلي إلى عرس ، فمُنِعَ من الدخول ، وكان يعلم أن أخًا للعروس غائب، فذهب فأخذ ورقة كاغد ، فطواها ، وختمها وليس في بطنها شيء ، وجعل في ظاهرها : (من الأخ إلى العروس) وجاء فقال : معي كتاب من أخي العروس ، فأذن له ، فدخل فدفع إليهم الكتاب، فقالوا : ما رأينا مثل هذا العنوان ليس عليه اسم أحد، فقال : وأعجب من هذا أنه ليس في بطن[٢] الكتاب ولا حرف واحد لأنه كان مستعجلا فضحكوا منه وعرفوا أنه احتال لدخوله فقبلوه .

أفحم الطفيلي الرجل ..

قال منصور بن علي الجهضمي : كان لي جار طفيلي ، وكان من أحسن الناس منظرًا، وأعذبهم منطقًا، وأطيبهم رائحة ، وأجلهم ملبوسا ، وكان من شأنه أني إذا دعيت إلى دعوة تبعني ، فيكرمه الناس من أجلي، ويظنون أنه صاحب لي ، فاتفق يومًا أنَّ جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يختِنَ[٣] بعض أولاده فقلت في نفسي : كأني برسوله وقد جاء ، وكأني بهذا الرجل قد تبعني ، والله لئن تبعني لأفضحنه،

---

(١) الوارش : الداخل على القوم وهم يأكلون ، ولم يُدْع مثل الواغل في الشراب .

(٢) بطن الشيء: داخله . (٣) الختان معروف وهو قطع غلفة الذكورة في الولد .

فأنا على ذلك إذ جاء الرسول يدعوني ، فما زدت على أن لبست ثيابي وخرجت، فإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره ، وقد سبقني بالتأهب ، فتقدمت وتبعني ، فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة ، ودُعي بالطعام ، وحضرت الموائد وكان كل جماعة على مائدة ، والطفيلي معي ، فلما مدَّ يدَهُ ليتناول الطعام ، قلت : عن ابن عمر رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :»من دخل دار قوم بغير إذنهم ، فأكل طعامهم دخل سارقا وخرج مغيرا» ، فلما سمع ذلك قال السكوت خير لك ، والله من هذا الكلام، فإنه ما من أحد من الجماعة إلا وهو يظن أنك تعرّض به دون صاحبه ، أو لا تستحي أن تحدث بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام ، وتبخل بطعام غيرك على من سواك ، ثم لا تستحي أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف عن أبان بن طارق وهو متروك الحديث يحكم برفعه إلى النبي ﷺ والمسلمون على خلافه ، لأن حكم السارق القطع وحكم المغير أن يعذّر[١] على ما يراه الإمام ، وأين أنت عن حديث أبو عاصم النبيل . عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال ، قال رسول الله ﷺ "طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية» وهو إسناد صحيح .

قال منصور بن علي فأفحمني فلم يحضرني له جواب فلما خرجنا من الموضع للانصراف ، فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي ، وسمعته يقول :

ومن ظن ممن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

طفيلي يوصي ولده ..

أنبأنا محمد بن أبي طاهر قال أنبأنا علي بن البصري عن أبي قال : كان طفيلي العرائس الذي ينسب إليه الطفيليون يوصي ابنه عبد الحميد بن طفيل في علته التي مات فيها ، فيقول له : إذا دخلت عُرْسًا ، فلا تلتفت تلفت المريب[٢] ، وتخير المجالس ، فإن كان العرس كثير الزحام فأمرّ ، وانْه ، ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا في عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء ، فإن كان البواب غليظًا[٣] وقاحا ، فابدأ به ، ومره ، وانْه من غير أن تعنّف[٤] به وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال ثم أنشد يقول :

لا تجزعن مِنَ الغريب ... ولا من الرّجل البعيد
وادخل كأنك طابخٌ ... بيديك مَعْرفةَ الحديد
متدليا فوق الطعام ... تدلي البازِ[٥] الصَّيُود
لتلفّ ما فوق الموائد ... كلها لفّ الفهود
واطرح حياءك إنما ... وجه الطفيلي من حديد
لا تلتفت نحو البقول ... ولا إلى غرف الثريد[٦]
حتى إذا جاء الطعام ... ضربت فيه كالشديد
وعليك بالفالوذجات[٧] ... فإنها عين القصيد
هذا إذا حرّرتهم ... ودعوتهم هل من مزيد

---

(١) التعذير : عقوبة يرضاها القاضي ويقرّرها أقل من الحد . (٢) المريب : الخائف . (٣) غليظا : أي شديدًا . (٤) تعنف : تشدّد .
(٥) الباز : نوع من الطيور الكاسرة . (٦) الثريد : طعام مفضل عند العرب قال الشاعر في وصفه :
إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريد
(٧) الفالوذج : نوع من الحلوى ، وكذلك اللوزينج .

لـــعـــرس لا يخـلـو مـن ... الـلـوزيـنـج الـرطـب الفنيد
فـــإذا أتـــيـــت بـــه محـوت ... محـاسـن الجـام الجـديـــد

قال : ثم أعمى عليه عند ذكر اللوزينج ساعة ، فلما أفاق رفع رأسه قال :

وتـنـقـلـت عـلـى المـوا ... ئـد فـعـل شـيـطـان مَـريـد
وإذا انـتـقـلـت عـبـثـت ... فـالـكـعـك المجفف والـقـديـد[1]
يـــارب أنـــت رزقـتـنـي ... هـذا عـلـى رغـم الحـسـود
واعـلـم أنـك إن قـبـ ... ـلـتَ نِـعـمـتَ يـا عـبـد الحميد

تقدَّم وكُل ..

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي قال : صحب طفيلي رجلا في سفر ، فقال له الرجل : امض فاشتر لنا لحما ، قال : لا والله ما أقدر ، فمضى هو اشترى ، ثم قال له : قم فاطبخ . قال: لا أحسن، فطبخ الرجل ، ثم قال له : قُم ، فاثرد، قال : أنا والله كسلان ، فثرد الرجل، ثم قال له : قم واغرف. قال : أخشى أن ينقلب على ثيابي ، فغرف الرجل ، ثم قال له : قم الآن فكل . قال الطفيلي: قدْ والله استحييت من كثرة خلافي لك وتقدم فأكل .

قال الجاحظ : قلت لأبي سعد الطفيلي : كم أربعة في أربعة قال رغيفين وقطعة لحم[2].

وقال المبرد : قيل لطفيلي : كم اثنين في اثنين ؟ فقال : أربعة أرغفة ، وقال مرة أخرى : انتظرته مقدار ما يأكل الإنسان رغيفا . وقال أبو هفان : قيل لطفيلي كم أربعة في أربعة؟ قال : ستة عشر رغيفاً .

تعريض لا يجوز فعله ..

قال : وتطفل رجل مرة على رجل فقال له صاحب المنزل : من أنت؟ قال : أنا الذي لم أحوجك إلى رسول . اجتمع جماعة على عصيدة ، فأخذ بعضهم لقمة ، وألقاها في السمن وقال : ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء : ٩٤] وجرّ السمن إليه وقال الآخر : ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧] وجرّ السمن إليه وقال الآخر : ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج : ٤٥] وجرّ السمن إليه ، فقال الآخر : ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف : ٧١] وجرّ السمن إليه ، فقال الآخر : ﴿أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ [السجدة : ٢٧] وجرّ السمن إليه ، فقال الآخر : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن : ٥٠] وجرّ السمن إليه ، فقال الآخر : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن : ٦٦] وجرّ السمن إليه فقال الآخر : ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر : ١٢] وجرّ السمن إليه ، فقال الآخر : ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر : ٩] وجرّ السمن إليه، فقال آخر : ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ [هود : ٤٤] وخلط السمن بما بقيَ من العصيدة وأخذه كله[3].

جاء طفيلي إلى بيت رجل مع جماعة فقال له الرجل : من أنت؟ فقال : إذا كنت لا تدعونا ونحن لا نأتي صار نوع جفاء .

---

(١) هو اللحم المجفف . (٢) ذلك أن كل ما يطلبه الطفيلي الأكل ليس إلا!

(٣) الحق أن هذا تعريض بالقرآن لا نقره ولا نرضاه، ذلك أنه يجب على كل مسلم صيانة هذا الكلام الإلهي العظيم عن مثل هذا العبث.

مع الطفيليين ..

عرس طفيلي ، فأتاه طفيليان في أول الناس ، فأدخلهما ، وجاء إلى غرفة له يرتقي إليها بسلم ، فوضع السلم وقال اصعدا لتَبْعدا من الأذى ، وأخصكما بفائق الطعام ، فصعدا فلما حصلا في الغرفة نحىَّ السلم[١]، ووضع المائدة وأطعم أصدقاءه وجيرانه ، وهما مطَّلعان عليه ، فلما فرغ القوم وضع السلم، وقال : انزلا ، فدفع في أقفائهما ، وقال : انصرفا راشدَيْن لا أصفر الله مشاكما ، قد قضيتما حق أخيكما .

دخل طفيلي على قوم ، فبينما هو يأكل ، سمع صوت السدنة ، فأمسك يده عن الطعام ، فقيل له: لم لا تأكل؟ قال : حتى تسكن هذه الأراجيف التي أسمعها .

خائف من الانتهاء ..

وقيل لطفيلي مرة : ما بالك أصفر اللون ؟ فقال : من الفترة التي بين العصارتين ، أخاف أن يكون الطعام قد فَنِيَ[٢] . وقال طفيلي : إياك والكلام على الطعام إلا أن تقول : نعم ، فإنها مضغة .

وصايا للبطن الجائعة ..

أوصى طفيلي غلامه ، فقال : إذا ضاق بك الموضع فقل للذي إلى جانبك : لعلي ضيقت عليك ، فإنه سيوسع لك المكان كموضع رجل آخر .

وقال بنان : حفظت القرآن كله ثم أنسيته إلا حرفين ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف : ٦٢] .

وقال بنان : التمكن على المائدة ، خير لك من زيادة أربعة ألوان .

وعطش رجل إلى جنب بنان في دعوة فقال : ارفع نفسك إلى فوق وتنفَّس ثلاثًا ، فإنه ينزل ما أكلته من الطعام .

الباب الثامن والعشرون : في ذكر طرف من فطن المتلصصين

من ذكاء اللصوص ..

عن المبرد قال : حدثني أحمد بن المعدل البصري قال: كنت جالسًا عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون ، فجاءه بعض جلسائه ، فقال : أعجوبة ، قال : ما هي ؟ قال خرجت إلى حائطي[٣] بالغابة، فلما أن أصحرتُ وبعدت عن البيوت ، بيوت المدينة ، تعرض لي رجل ، فقال : اخلع ثيابك . فقلت : وما يدعوني إلى خلع ثيابي؟ قال : أنا أولى بها منك . قلت : ومن أين؟ قال : لأني أخوك وأنا عريان وأنت مكس. قلت : فالمواساة؟ قال : كلاً قد لبستها برهة[٤] ، وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها . قلت : فتعريني وتبدّي عورتي . قال : لا بأس بذلك قد رُوِّينَا عن مالك أنه قال لا بأس للرجل أن يغتسل عريانًا . قلت: فيلقاني الناس فيرون عورَتي؟ قال : لو كانَ الناس يرونك في هذه الطريق ما عرضت لك فيها ، فقلت : أراك ظريفًا، فَدَعْني حتى أمضي إلى حائطي وأنزع هذه الثياب، فأوجه بها إليك . قال : كلا أردت أن توجه إليَّ أربعة من عبيدك ، فيحملوني إلى السلطان ، فيحبسني ، ويمزِّق جلدي ، ويطرح في رجلي القيد ، قلت : كلا . أحلف لك أيمانًا أني أوفي لك بها وعدتك ، ولا أسوءك[٥] قال : كلا . إنا روينا عن مالك أنه

---

(١) نحَّى : أي أبعده . (٢) فني : أي انتهى . (٣) الحائط : هو البستان والحديقة .
(٤) البرهة : مدة من الزمن . (٥) لا أسوءك : أي لا أسيء إليك .

قال : لا تلتزم الأيمانَ التي يحلف بها اللصوص . قلت : فأحلف أني لا أحتال في أيماني هذه . قال : هذه يمين مركبة على اللصوص . قلت: فدع المناظرة[١] بيننا ، فوالله لأوجهن إليك هذه الثياب طيبة بها نفسي، فأطرق[٢] ، ثم رفع رأسه وقال : تَدْري فيم فكرت؟ قلت : لا ، قال : تصفحت أمر اللصوص في عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا ، فلم أجدَ لصًا أخذ نسيئة ، وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون عليَّ وزرها ووزر من عمل بها بعدي إلى يوم القيامة : اخلع ثيابك . قال : فخلعتها ودفعتها إليه ، فأخذها وانصرف.

لص محتـال ..

أنبأنا علي بن الحسن التنوخي ، عن أبيه أن أبا القاسم عبيد الله بن محمد الخفاف حدَّثه أنه شاهد لصًا قد أخذ ، وأشهد عليه أنه كان يفتش الأقفال في الدور اللطاف التي لجيراننا ، فإذا دخل حفر في الدار حفرة لطيفة ، كأنها بئر النَّرد ، وطرح فيها جَوْزَات ، كأن إنسانًا يلاعبه ، وأخرج منديلاً فيه نحو مائتي جوزة[٣] ، فتركه إلى جانبها ، ثم حار ، فكور كل ما في الدار مما يطيق حمله ، فإن لم يقطن به أحد خرج من الدَّار ، وحمل ذلك كله ، وإن جاء صاحب الدار ترك عليه قُمَاشة، وطلب المُفَالَتَةَ والخروج ، وإن كان صاحب الدَّار جلدًا فوائبه ، ومانعه ، وهمَّ بأخذه وصاح : اللصوص ، واجتمع الجيران أقبل عليه وقال : ما أبردك أنا أقامرك بالجوز منذ شهور قد أفقرتني[٤]، وأخذت مني كل ما أملكه ، وأهلكتني ، لأفضحنَّك بين جيرانك، لمَّا قامرتك الآن تصيح ، فما يشك أحد في قوله : وأنت تدَّعي عليَّ باللصوصية بلعب بارد ، بيني وبينك دار القمار[٥] التي تعارفنا فيها ، قد صنعت هذا حتى أخرج وأدع عليك قِماشك ، وكلما قال الرجل : هذا لص . قال الجيران : إنما يريد أن لا يفضح نفسه بالقمار ، فقد ادَّعى عليه اللصوصية ولا يشكون في أنَّه صادق ، وأن صاحب الدار مقامر ، فيلعنوه ويحُولون بينه وبين اللص حتى ينصرف. ويأخذ الجوز ويفتح الباب، وينصرف، ويفتضح الرجل بين جيرانه.

بائع الأقفـال:

قال : حدثني رجل من الدقاقين قال : أورد علي رجل غريب سفتجة بأجل ، فكان يتردد عليَّ إلى أن حلت السفتجة ، ثم قال لي : أدَعُهَا عندك ، وآخذها متفرقة ، فكان يجيء كل يوم، فيأخذ بقدر نفقته إلى أن نفدت ، فصارت بيننا معرفة ، وألِفَ[٦] الجلوس عندي ، وكان يراني أُخرِجُ من صندوق لي ، فأعطيته منه ، فقال لي يومًا : إنَّ قُفْلَ الرجل صاحبهُ في سفرهِ وأمينه في حَضَرِهِ وخليفته على حفظ ماله ، والذي ينفي الظنَّة عن أهله وعياله ، وإن لم يكن وثيقًا تطرَّقت الحيل إليه وأرى قُفْلَكَ هذا وثيقًا ، فقل لي : ممن ابتعته[٧] لأبْتَاعَ مثله لنفسي؟ فقلت : من فلان الأقفالي . قال : فما شعرت يومًا وقد جئت إلى دكاني ، فطلبت صندوقي لأخرج منه شيئًا من الدراهم ، فحمل إلى ففتحته ، وإذا ليس فيه شيء من الدراهم ، وقلت لغلامي ، وكان غير متهم[٨] عندي : هل انكسر من الدراب شيء؟ قال : لا . قلت : ففتش هل ترى في الدكان نقبًا؟ ففتش ، فقال : لا ، فقلت : فمن السقف حيلة؟ قال : لا . قلت : فاعلم أن دراهمي قد ذهبت ، فقلق الغلام فسكتُّه وأقمتُ من نومي لا أدري أي شيء أعمل ، وتأخر الرجل عني ، فاتهمته

---

(١) المناظرة : المجادلة . (٢) أطرق : أي أنزل رأسه إلى الأرض . (٣) الجوز : معروف وهو مثل اللوز .
(٤) افقرتني : صيرتني فقيرًا . (٥) دار القمار هو المكان الذي يجتمعون فيه . (٦) ألِفَ : أحب وهوى .
(٧) ممن ابتعته ؟ أي من أي مكان اشتريته . (٨) غير متهم : أي أمين ليس بخائن .

وتذكرتُ مسألته لي عن القفل ، فقلت للغلام : أخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله؟ قال : أحمل الدراب من المسجد دُفْعتين ، ثلاثة ، فأقفلها ، ثم هكذا أفتحها. قلت : فعلى من تُخلي الدكان إذا حملت الدّراب؟ قال : خاليًا . قلت : من هاهنا ذهبت إلى الصانع الذي ابتعت منه القفل ، فقلت له : جاءك إنسان منذ أيام اشترى منك مثل هذا القفل؟ قال : نعم . ورجل من صفته كيت وكيت[١] ، فأعطاني صفة صاحبي ، فعلمت أنه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفتُ أنا ، وبقي الغلام يحمل الدراب ، فدخل هو إلى الدكان فاختبأ فيه ، ومعه مفتاح القفل الذي اشتراهُ يقع على قفلي ، وأنه أخذ الدراهم وجلس طوال الليل خلف الدراب، فلما جاء الغلام ففتح داربين وحملها ليرْفعها ، خَرَجَ ، وأنه ما فعل ذلك إلا وقد خرج من بغداد ، قال : فخرجت ومعي قفلي ومفتاحه ، فقلت ابتدئ بطلب الرجل بواسط ، فلما صعدت من السُمَيْرية طلبت خانًا أنزله ، فصعدتُ : فإذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت ، فقلت لقيّم الخان : هذا البيت من ينزله ؟ قال: رجل قدم من البصرة أمس . قلت : ما صفته؟ فوصف صفة صاحبي ، فلم أشك أنه هو وأن الدراهم في بيته، فاكتريت بيتًا إلى جانبه، ورصدت حتى انصرف قيم الخان ، ففتحت القفل ، ودخلت ، فوجدت كيسي بعيْنه ، فأخذته وخرجت ، وأقفلت الباب ، ونزلت في الوقت ، وانحدرت[٢] إلى البصرة ، وما أقمت بواسط إلا ساعتين من النهار ، ورجعت إلى منزلي بمالي بعيْنه.

الله الله في أمري ..

حدثني ابن الدنانير النهار ، حدثني غلام لي قال : كنت ناقدًا بالأُبُلَّة لرجل تاجر ، فاقتضيت له من البصرة نحو خمسمائة دينار وورقاً ولففتها في فوطة ، وأمسيت عن المسير إلى الأبلة ، فما زلت أطلب ملاحًا، فلا أجد أن رأيت ملاحًا مجتازًا في خيطية خفيفة فارغة ، فسألته أن يحملني، فخفف عليَّ الأجرة وقال ، أنا أرجع إلى منزلي بالأبلة[٣] ، فانزل فنزلت ، وجعلت الفوطة بين يدي وسرنا ، فإذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون ، فلما رآه الملاح كبَّر فصاح هو بالملاح ، احملني ، فقد جنَّني الليل ، وأخاف على نفسي ، فشتمه الملاح ، فقلت له : احمله، فدخل إلى الشط فحمله ، فرجع إلى قراءاته ، فخلب[٤] عقلي بطيبها، فلما قربنا من الأبلة قطع القراءة ، وقام ليخرج في بعض المشارع بالإبلة ، فلم أر الفوطة ، فاضطربت وصحت ، واستغاث الملاح ، وقال : الساعة تنقلب الخيطية ، وخاطبني خطاب من لا يعلم حالي ، فقلت : يا هذا ، كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار ، فلما سمع الملاح ذلك لطم وبكى وتعرَّى من ثيابه وقال : لم أدخل الشط ولا لي موضع أخبئ فيه شيئًا فتتهمني بسرقة ، ولي أطفال وأنا ضعيف ، فالله الله في أمري ، وفعل الضرير مثل ذلك وفتشت السميرية فلم أجد فيها شيئًا ، فرحمتهما[٥] ، وقلت : هذه محنة[٦] لا أدري كيف التخلص منها ، وخرجنا ، فعملت على الهرب وأخذ كل واحد منا طريقاً ، وبت في بيت ولم أمض إلى صاحبي، فلما أصبحت عملت على الرجوع إلى البصرة لأستخفي بها أياماً ، ثم أخرج إلى بلد شاسع[٧] ، وخرجت في مشرعة بالبصرة ، وأنا أمشي وأتعثر وأبكي قلقًا على فراق أهلي وولدي،

---

(١) كيت وكيت : أي كذا وكذا . (٢) الانحدار : النزول من أعلى إلى أسفل . (٣) الأبلة : اسم مكان قرب البصرة .
(٤) خلب عقلي : خدعه لحسن تلاوته وصوته . (٥) رحمتهما : أبعدت التهمة عنهما . (٦) محنة : بلية .
(٧) بلد شاسع : أي بعيد .

وذهاب معيشتي وجاهي ، فاعترضني رجل ، فقال : مالك؟ فأخبرته . فقال : أنا أرد عليك مالك ، فقلت: يا هذا أنا في شغل عن طنزك[١] بي . قال : ما أقول إلا حقًا ، امض إلى السجن ببني نمير ، واشتر معك خبزًا كثيراً وشواء جيدًا وحلواً ، وسل السجان أن يوصلك إلى رجل محبوس هناك يقال له : أبو بكر النقاش، قل له : أنا زائرُهُ، فإنك لا تُمْنَع فإن منعت فهب للسجان شيئًا يسيرًا يدخلك إليه ، فإذا رأيته، فسلم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه ما معك ، فإذا أكل وغسل يديه ، فإنه يسألك عن حاجتك ، فأخبره خبرك ، فإنه سيدلك على من أخذ مالك ويرتجعه لك، ففعلت ذلك ووصلت إلى الرجل ، فإذا شيخ مكبل بالحديد، فسلمت وطرحت ما معي بين يديه، فدعا رفقاء لَهُ، فأكلوا فلما غسل يديه قال : ما أنت وما حاجتك؟ فشرحت له قصتي ، فقال : امض الساعة إلى بني هلال ، فادخل الدرب الفلاني حتى تنتهي إلى آخره ، فإنك تشاهد بابًا شعثًا ، فافتحه وادخله بلا استئذان ، فتجدُ دهليزًا طويلاً يؤدي إلى بابين، فادخل الأيمن منهما فسيدخلك إلى دار بيت فيه أوتاد وبواري ، وعلى كل وتد إزار ومِئْزَر، فانزع ثيابك وألقها على الوتد واتزر بالمئزر واتشح بالإزار واجلس، فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت، ثم يؤتون بطعام فكل معهم، وتعمّد موافقتهم في سائر أفعالهم، فإذا أتى بالنبيذ فاشرب، وخذ قدحًا كبيرًا واملأه، وقم قائمًا وقل : هذا ساري لخالي أبي بكر النقاش ، فسيفرحون ويقولون : أهو خالك؟ فقل : نعم ، فسيقومون ويشربون لي ، فإذا جلسوا فقل لهم : خالي يقرأ عليكم السلام ويقول : يا فتيان بحياتي ردوا علي ابن أختي المئزر الذي أخذتموه بالأمس في السفينة بنهر الأبلة ، فإنهم يردونه عليك ، فخرجت من عنده ففعلت ما أمر، فردت الفوطة بعينها وما حل شدها ، فلما حصلت لي قلت : يا فتيان هذا الذي فعلتموه معي هو قضاء لحق خالي ولي أنا حاجة تخصني. قالوا : مقضية ، قلت : عرفوني كيف أخذتم الفوطة ، فامتنعوا ساعة ، فأقسمت عليهم بحياة أبي بكر النقاش فقال لي واحد منهم : أتعرفني؟ فتأملته جدًا فإذا هو الضرير الذي كان يقرأ وإنما كان متعاميا وأومأ إلى آخر فقال: أتعرف هذا؟ فتأملته ، فإذا هو الملاح فقلت : كيف فعلتما؟ فقال الملاح : أنا أرود المشارع في أول أوقات المساء وقد سبقت بهذا المتعامي ، فأجلسته حيث رأيت، فإذا رأيت من معه شيء له قَدْرٌ، ناديته وأرخصت لهُ الأجرة وحملته فإذا بلغت إلى القارى وصاح بي شتمته حتى لا يشك الراكب في براءة الساحة ، فإن حمله الراكب ، فذاك وإلا رقَّفْتُهُ عليه[٢] حتى يحمله فإذا حمله ، وجلس يقرأ ذهل الرجل كما ذهلت ، فإذا بلغنا الموضع الفلاني فإن فيه رجلا متوقعا لنا يسيح حتى يلاصق السفينة، وعلى رأسه قوصرة فلا يفطن الراكب به فيسلب هذا المتعامي الشيء بخفية فيليه[٣] إلى الرجل الذي عليه القوصرَّة[٤] فيأخذه ويسيح إلى الشط ، وإذا أراد الراكب الصعود ، وافتقد ما معه عملنا كما رأيت يتهمنا ونفترق ، فإذا كان من غدٍ ، اجتمعنا واقتسمناه فلما جئت برسالة أستاذنا خالك سلّمنا إليك الفوطة قال : فأخذتها ورجعت .

اللص التائب ..

حدثنا محمد بن خلف قال حدثني لص تائب قال: دخلت مدينة، فجعلت أطلب شيئًا أسرقه، فوقعت عيني على صيرفي موسر[٥]، فما زلت أحتال حتى سرقت كيسًا له، وانسللت فما جزت غير بعيد إذا أنا بعجوز معها كلب قد وقعت في صدري تبوسني وتلزمني وتقول : يا بني ، فديتك ،

(١) طنزك : استهزاؤك وسخريتك . (٢) رقفته عليه ، أي جعلتُ قلبه يرق له (٣) فيليه : أي فيعطيه .
(٤) القوصرَّة : بتشديد الراء ، وهو ما يُكنزُ فيه التمر من البواري . (٥) صيرفي موسر : أي رجل غني من الصيارفة .

والكلب يبصبص[١] ويلوذ بي ، ووقف الناس ينظرون إلينا ، وجعلت المرأة تقول : بالله انظروا إلى الكلب قد عرفه ، فعجب الناس من ذلك ، وشككت أنا في نفسي وقلت : لعلها أرضعتني ، وأنا لا أعرفها . وقالت : معي إلى البيت أقم عندي اليوم ، فلم تفارقني حتى مضيت معها إلى بيتها ، وإذا عندها أحداث يشربون وبين أيديهم من جميع الفواكه والرياحين ، فرحبوا بي وقربوني ، وأجلسوني معهم ورأيت لهم بزَّةً[٢] حسنة ، فوضعت عيني عليها، فجعلتُ أسقيهم وأرفق بنفسي إلى أن ناموا ونام كل من في الدار ، فقمت وكوّرْتُ[٣] ما عندهم وذهبت أخرج ، فوثب عليَّ الكلب وثبة الأسد وصاح ، وجعل يتراجع ويفج إلى أن انتبه كل نائم ، فخجلت واستحييْت ، فلما كان النهار فعلوا مثل فعلهم أمس ، وفعلت أيضًا أنا بهم مثل ذلك[٤] ، وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب إلى الليل، فما أمكنني فيه حيلة ، فلما ناموا رُمْتُ الذي رمته ، فإذا الكلب عارضني بمثل ما عارضني به ، فجعلت أحتال ثلاث ليال ، فلما أيست طلبت الخلاص منهم بإذنهم ، فقلت : أتأذنون لي ، فإني على وفَز[٥] فقالوا : الأمر إلى العجوز فاستأذنتها فقالت : هات الذي أخذته من الصيرفي ، وامض حيث شئتَ، ولا تقوم في هذه المدينة ، فإنه لا يتهيأ لأحد فيها معي عمل[٦] ، فأخذتُ الكيس ، وأخرجتني ووجدت مُنَاي أن أسلم من يدها ، وكان قصاراي أن أطلب منها نفقة ، فَدَفَعتْ إليَّ وخرجتْ معي حتى أخرجتني عن المدينة ، والكلب معها حتى جزت حدود المدينة ووقفتْ ، ومضيتُ والكلب يتبعني حتى بعدت ، ثم تراجع ينظر إليَّ ويلتفت وأنا أنظر إليه حتى غاب عني .

لص يسرق لصا !! ..

حدثنا سهل الخلاطي قال : بلغني أنّ محتالين سرقا حمارا ومضى أحدهما ليبيعه ، فلقيه رجل معه طبق فيه سمك ، فقال له : تبيع هذا الحمار ؟ قال : نعم . قال : أمسك هذا الطبق حتى أركبه ، وأنظر إليه ، فدفع إليه الطبق فيه السمك ، وركبه ورجع ثم ركبه ودخل زقاقا ففر به . فلم يدر أين ذهب ، قال فرجع المحتال فلقيه ، فقال ما فعل الحمار ؟ قال بعناه ممن اشتريناه وربحنا هذا الطبق من السمك .

باعه برأس ماله ..

وقد روينا أنَّ رجلاً سرق حمارًا ، فأتى السوق ليبيعه فسرق منه ، فعاد إلى منزله ، فقالت له امرأته: بكم بعته ؟ قال : برأس ماله[٧] .

يسرق بحضرة الشرطة !! ..

حدثني عبد الله بن محمد الصروي : حدثني بعض إخواننا : أنه كان ببغداد رجل يطلب التلصص في حداثته[٨] ، ثم تاب فصار بزازاً[٩] . قال ، فانصرف ليلة من دكانه وقد غلقه ، فجاء لص محتال متزيٍّ بزيِّ صاحب الدكان في كمه شمعة صغيرة ومفاتيح ، فصاح بالحارس ، فأعطاه الشمعة في الظلمة، وقال: اشعلها وجئني بها ، فإن لي الليلة بدكاني شغلاً ، فمضى الحارس يشعل الشمعة وأكب اللص على

---

(١) يبصبص : أي : يحرك ذيله . (٢) البز : الأمتعة من الثياب . (٣) كوَّرت : أي لففت ما عندهم .
(٤) أي هم أكرموني مثل إكرامهم الأول ، وأنا حدَّثتني نفسي بالسرقة والسلب كذلك .
(٥) الوفز : بسكون الفاء العجلة ، وجمعها أوفاز ، يقال : نحن على أوفاز ، أي على سفر . (٦) أي لا يستطيع أحد السرقة ما دمتُ أنا في المدينة .
(٧) يعني أنه لم يخسر فيه شيئًا لأنه لم يشتره أصلاً . (٨) حداثته : صغر سنه وشبابه .
(٩) بزازا : بيع البزّ وهو نوع من الثياب وكان أبو حنيفة بزازًا .

الأقفال، ففتحها ودخل الدكان، وجاء الحارس بالشمعة، فأخذها من يده، فجعلها بين يديه وفتح سفط الباب، وأخرج ما فيه وجعل ينظر الدفاتر، ويرى بيده أنه يحسب والحارس يتردد ويطالعه، ولا يشك في أنه صاحب الدكان إلى أن قارب السحر، فاستدعى اللص الحارس، وكلّمه من بعيد، وقال: اطلب لي حمّالا، فجاء بحمّال، فحمل عليه أربع رزم مثمنة، وقفل الدكان وانصرف ومعه الحمال وأعطى الحارس درهمين، فلما أصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتح دكانه، فقام إليه الحارس يدعو له[١] ويقول: فعل الله بك وصنع كما أعطيتني البارحة الدرهمين، فأنكر الرجل ما سمعه وفتح دكانه، فوجد سيلان الشمعة وحسابه مطروحاً وفقد الأربع رزم، فاستدعى الحارس، وقال له: من كان حمل الرزم معي من دكاني قال: أما استدعيت مني حمالاً فجئتك به؟ قال: بلى، ولكن كنت ناعسا وأريد الحمال، فجئني به، فمضى الحارس فجاء بالحمال، وأغلقَ الرجل الدكان، وأخذ الحمال معه ومضى، فقال: إلى أين حملت الرزم معي البارحة، فإني كنت منقبذا. قال: إلى المشرعة الفلانية، واستدعيت لك فلانا الملاح، فركبت معه، فقصد الرجل المشرعة، وسأل عن الملاح، فحضر وركب معه، وقال: أين رقيت أخي الذي كان معه الأربع الرزم؟ قال: إلى المشرعة الفلانية. قال اطرحني[٢] إليها فطرحه، قال من حملها معه؟ قال: فلان الحمال، فدعا به، فقال امش بين يدي فمشى، فأعطاهُ شيئًا واستدَلّه برفق إلى الموضع الذي حمل إليه الرزم، فجاء به إلى باب غرفة في موضع بعيد من الشط، قريب من الصحراء، فوجد الباب مقفلاً، فاستوقف الحمال وفتش القفل[٣] ودخل، فوجد الرزم بحالها، وإذا في البيت بركان معلق على حبل، فلفّ الرزم فيه ودعا بالحمال، فحملها عليه وقصد المشرعة، فحين خرج من الغرفة استقبله اللص، فرآه وما معه، فأبلس فأتبعه إلى الشط، فجاء إلى المشرعة، ودعا الملاح ليعبر، فطلب الحمال من يحط عنه، فجاء اللص فحط الكساء كأنه مجتاز متطوع، فأدخل الرزم إلى السفينة مع صاحبها، وجعل البركان على كتفه قال له: يا أخي، أستودعك الله قد ارتجعت رزمك، فدع كسائي فضحك، وقال: انزل فلا خوف عليك، فنزل معه واستتابه[٤]، ووهب له شيئًا وصرفه ولم يسئ إليه.

مالك ويدي ..

عن أبي القاسم التنوخي، عن أبيه: أن رجلا من بني عقيل مضى ليسرق دابة. قال: فدخلت الحي، فما زلت أتعرف مكان الدابة واحتلت حتى دخلت البيت، فجلس الرجل وامرأته يأكلان في الظلمة، فأهويت يدي إلى القصعة وكنت جائعا، فأنكر الرجل يدي وقبض عليها فقبضت على يد المرأة بيدي الأخرى، فقالت المرأة: مالك ويدي؟ فظن أنه قابض على يد امرأته فخلى يدي، فخليت يد المرأة وأكلنا، ثم أنكرت المرأة يدي فقبضت عليها، فقبضت على يد الرجل، فقال لها: مالك ويدي؟ فخلت[٥] عن يدي، فخليت عن يده ثم نام وقمت، فأخذت الفرس.

رواية أخرى ..

وقد رويت هذه الحكاية على صفة أخرى: فأنبأنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا التنوخي، عن أبيه، حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الكاتب، حدثني محمد بن يزمع العقيلي أحد قوادهم ووجوههم في الحي وكان ورد إلى معز الدولة فأكرمه وأحسن إليه. قال: رأيت رجلا من بني عقيل وظهره كله مشرطات الحجّام،

---

(١) يدعو له ظنا منه أنه هو الذي أعطاه الدراهم. (٢) أي أوصلني إليها.

(٣) فتش القفل: فتحه من غير مفتاح. (٤) طلب منه أن يتوب عن فعله. (٥) خلت: تركت يدي وتركتُ يدها.

إلا أنها أكبر ، فسألته عن ذلك ، فقال : إني كنت هويت ابنة عم لي ، فخطبتها ، فقالوا : لا نزوجك إلا أن تجعل في الصداق «الشبكة» [١] فرس سابقة كانت لبعض بني أبي بكر ، فتزوجتها على ذلك وخرجت في أن أحتال أن أسل الفرس من صاحبه لأتمكن من الدخول بابنة عمي، فأتيت الحي الذي فيه الفرس ومازلت أداخلهم ، فمرة أجيء إلى الخباء الذي فيه الرجل كأني سائل إلى أن عرفت بيت الفرس من الخباء الذي فيه الرجل واختبأت حتى دخلت من خلفه ، وحصلت خلف النضد تحت ، وكانوا نفشوه ليغزل ، فلما جاء الليل وافى صاحب البيت وقد زاولت له المرأة عشاء وجلسا يأكلان، وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم ، وكنت جائعا فأخرجت يدي وأهويت إلى القصعة فأكلت معهما وأحس الرجل بيدي فأنكرها ، فقبض عليها فقبضت على يد المرأة فقالت له المرأة: مالك ويدي؟ فظن أنه قابض على يد امرأته فخلى يدي ، فخليت يد المرأة ، وأكلنا ثم أنكرت المرأة يدي فقبضت عليها فقبضت يد الرجل، فقال لها: مالك ويدي؟ فخلت عن يدي فخليت عن يده، وانقضى [٢] الطعام واستلقى الرجل نائما [٣] ، فلما استثقل [٤] وأنا مراصدهم [٥] والفرس مقيدة في جانب البيت والمفتاح تحت رأس المرأة ، فوافى عبد له أسود فنبذ حصاة، فانتبهت المرأة ، فقامت إليه وتركت المفتاح مكانه ، وخرجت من الخباء إلى ظاهر البيت ، فإذا هو قد علاها ، فأخذت أنا المفتاح ففتحت القفل ، وكان معي لجام شعر ، فأجزته الفرس وركبتها ، وخرجت عليها من الخباء ، فقامت المرأة من تحت يدي العبد ، ودخلت الخباء وصاحت وذعر الحي فأحسوا بي وركبوا في طلبي وأنا أكد الفرس وخلفي خلق منهم ، فأصبحت وليس ورائي إلا فارس واحد برمح ، فلحقني وقد طلعت الشمس ، وأخذ يطعنني ، فهذه آثار طعناته في جسدي، لا فرسه يلحقه بي حتى يتمكن من طعنته إياي ولا فرسي ينجيني إلى حيث لا يمسني الرمح حتى وافينا إلى نهر عظيم ، فصحت بالفرس ، فوثبه ، وصاح الفارس بالتي تحته ، فقصرت [٦] ولم تثبت ، فلما رأيته عاجزًا عن العبور وقفت لأريح الفرس وأستريح ، فصاح بي ، فأقبلت عليه بوجهي ، فقال : يا هذا أنا صاحب الفرس التي تحتك ، وهذه ابنتها وإذا قد ملكتها، فلا تخدعني فيها ، فإنها تساوي عشر ديات ، وما طلبت عليها شيئًا قط إلا لحقته ، ولا طلبني عليها أحدًا إلا فته وإنما سميت الشبكة لأنها لم ترد شيئا إلا أدركته ، فكانت كالشبكة في صيدها ، فقلت له : إذا نصحتني ، فوالله لأنصحنك كان من صورتي البارحة كيت وكيت ، فقصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس ، فأطرق ثم رفع رأسه ، فقال : مالك لا جزاك الله من طارق خيرًا، طلقت زوجتي وأخذت فرسي وقتلت عبدي .

فطنة لص ..

أنبأنا أبو القاسم التنوخي ، عن أبيه : أن رجلاً نام في مسجد وتحت رأسه كيس فيه ألف وخمسمائة دينار، قال : فما شعرت إلا بإنسان قد جذبه من تحت رأسي ، فانتبهت فزعًا ، فإذا شاب قد أخذ الكيس ومر يعدو ، فقمت لأعدو خلفه ، فإذا رجلي مشدودة بخيط قنب في وتد مضروب في آخر المسجد .

عباس قائد اللصوص ..

أنبأنا أبو القاسم التنوخي ، عن أبيه قال : حدثني أبو الحسين عبد الله بن محمد البصري ، حدثني أبي

---

(١) الشبكة : اسم الفرس . (٢) انقضى : انتهى ونفد . (٣) استلقى : أي على ظهره نائماً .
(٤) استثقل : أخذه النوم كلية . (٥) مراصدهم : مراقبهم . (٦) قصرت : توقفت .

قال : كان بالبصرة رجل من اللصوص يلص[١] بالليل ، فرآه رجل مقدام . يقال له عباس بن الخياطة قد غلب الأمراء[٢] وأشجى أهل البلد ، فلم يزالوا يحتالون عليه إلى أن وقع وكُبّل بمائة رطل حديد وحبس، فلمّا كان بعد سنة من حبسه أو أكثر دخل قوم بالأبلة على رجل تاجر كان عنده جوهر بعشرات ألوف الدنانير ، وكان مستيقظًا جلِدًا ، فجاء إلى البصرة يتظلم وأعانه خلق من التجار وقال للأمير : أنت دست على جوهري وما خصمي سواك ، فورد عليه أمر عظيم وخلا بالبوابين وتوعدهم ، فاستنظروه فأنظرهم، وطلبوا واجتهدوا ، فما عرفوا فاعل ذلك، فعنفهم الرجل[٣] فاستجابوا مرة أخرى ، فجاء أحد البوابين إلى الحبس ، فتخادم لابن الخياطة ولزمه نحو شهر ، وتذلل له في الحبس، فقال له : قد وجب حقك عليّ، فما حاجتك؟ قال : جوهر فلان المأخوذ من الأبلة لا بد أن يكون عندك منه خبر ، فإن دماءنا مرتهنة به ، وحدثه الحديث ، فرفع ذيله ، وإذا به سقط الجوهر تحته ، فسلمه إليه ، وقال : قد وهبته لك ، فاستعظم ذلك وجاء بالسقط إلى الأمير ، فسأله عن القصة، فأخبره بها فقال : عليّ بعباس . فجاءوا به ، فأمر بالإفراج عنه وإزالة قيوده وإدخاله الحمام وخلع عليه وأجلسه في مجلسه مكرمًا واستدعى الطعام ، فواكله وبيّته عنده ، فلما كان من الغد خلا به ، وقال : أنا أعلم أنك لو ضربت مائة ألف سوط ما أقررت كيف كانت صورة أخذ الجوهر ، وقد عاملتك بالجميل ليجب حق عليك من طريق الفتوة ، وأريد أن تصدقني حديث هذا الجوهر. قال: عليّ أنني ومن عاونني عليه آمنون ، وإنك لا تطالبنا بالذين أخذوه؟ قال: نعم، فاستحلفه. فقال له : إن جماعة اللصوص جاءوني الحبس ، وذكروا حال هذا الجوهر ، وإن دار هذا التاجر لا يجوز أن يتطرق عليها نقب ولا تسليق[٤] ، وعليها باب حديد ، والرجل متيقظ وقد راعوه سنة ، فما أمكنهم وسألوني ، فساعدتهم ، فدفعت إلى السجان مائة دينار وحلفت له بالشطارة والأيمان الغليظة ، أنه إن أطلقني عدت إليه من غد ، وأنه إن لم يفعل ذلك اغتلته[٥] ، فقتلته في الحبس ، فأطلقني ، فنزعنا الحديد وتركته وخرجت المغرب ، فوصلنا إلى الأبلة العتمة[٦] ، وخرجنا إلى دار الرجل، فإذا هو في المسجد وبابه مغلق ، فقلت لأحدهم تصدَّق من الباب ، فتصدق ، فلما جاءوا ليفتحوا قلت له: اختفِ ففعل ذلك مرات، والجارية تخرج ، فإذا لم تر أحدًا عادت إلى أن خرجت من الباب ، ومشت خطوات تطلب السائل ، فتشاغلت بدفع الصدقة إليه ، فدخلت أنا إلى الدار ، فإذا في الدهليز بيت فيه حمار ، فدخلته . ووقفت تحت الحمار وطرحت الجل[٧] عليّ وعليه ، وجاء الرجل فغلّق الأبواب ، وفتش ونام على سرير عال، والجوهر تحته ، فلما انتصف الليل قمت إلى شاة في الدار ، فعركت أذنها فصاحت ، فقال: ويلك أقول لك افتقديها. قالت : قد فعلت . قال : كذبت ، وقام بنفسه ليطرح عليها عَلفاً ، فجلست مكانه على السرير ، وفتحت الخزانة ، وأخذت السفاط وعدت إلى موضعي وعاد الرجل ، فنام . فاجتهدت أن أجد حيلة أن أنقب إلى دار بعض الجيران ، فأخرج فما قدرت ، لأن جميع الدار مؤزرة بالساج ورمت صعود السطح ، فما قدرت، لأن المارق مقفلة بثلاثة أقفال ، فعملت على ذبح الرجل ، ثم استقبحت ذلك ، وقلت هذا بين يدي إن لم أجد حيلة غيره ، فلما كان السحر عدت إلى موضعي تحت الحمار وانتبه الرجل يريد الخروج ، فقال

---

(١) أي يسرق بالليل . (٢) غلب الأمراء : أتعبهم . (٣) عنفهم : كلمهم بشدة لا هوادة فيها .

(٤) أي لا يستطيع أن ينقب أحجارها لشدتها ، ولا أن تتسلق عليها لارتفاعها .

(٥) اغتلته : أي أخذته بغتة بالقتل . (٦) أي وقت العتمة في الظلام . (٧) الجل : هو ما يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه .

للجارية : افتحي الأقفال من الباب ودعيه متربسًا، ففعلت وقربت من الحمار فرفس ، فصاحت فخرجت أنا ففتحت المترس [١] وخرجت أعدو حتى جئت إلى المشرعة ، فنزلت في الخيطية ووقعت الصيحة في دار الرجل ، فطالبني أصحابي أن أعطيهم شيئًا منه ، فقلت : لا . هذه قصة عظيمة ، وأخاف أن يتنبه عليها ، ولكن دعوهُ عندي فإن مضى على الحديث ثلاثة أشهر وافيتكم ، فصيروا إليَّ أعطيكم النصف وإن ظهر خفت عليكم وعلى نفسي ، وجعلته حقنًا لدمائكم، فرضوا بذلك ، فأرسل الله هذا البواب بليلة يخدمني ، فاستحييت منه وخفت أن يقتل هو وأصحابه، وقد كنت وضعت في نفسي الصبر على كل عذاب، فدخلتم عليَّ من طريق أخرى لم أستحسن في الفتوة [٢] معها إلا الصدق ، فقال له الأمير: جزاء هذا الفعل أن أطلقك، ولكن تتوب فتاب، وجعله الأمير من بعض أصحابه وأسنى له الرزق، فاستقامت طريقته .

مع قائد اللصوص ..

قال أبو الحسين : وحدثني أبي عن طالوت بن عباد الصيرفي قال : كنت ليلة نائماً بالبصرة في فراشي وأحراسي يحرسوني وأبوابي مقفلة ، فإذا أنا بابن الخياطة ينبهني من فراشي ، فانتبهت فزعًا . فقلت : من أنت؟ فقال : ابن الخياطة ، فتلفت . فقال : لا تجزع قد قمرت الساعة خمسمائة دينار أقرضني إياها لأردها عليك ، فأخرجت خمسمائة دينار ، فدفعتها إليه ، فقال : نم ولا تتبعني لأخرج من حيث جئت ، وإلا قتلتك . قال : وأنا والله أسمع صوت حراسي ولا أدري من أين دخل ، ولا من أين خرج ، وكَتَمْتُ الحديث خوفًا منه ، وزدت في الحرس ومضت ليال ، فإذا أنا به قد أنبهني على تلك الصورة ، فقلت : مرحباً ما تريد؟ قال : جئت بتلك الدنانير تأخذها مني ، فقلت: أنت في حل منها ، فإن أردت شيئًا آخر فخذ ، فقال : لا أريد من نصح التجار أشاركهم في أموالهم، ولو كنت أردت أخذ مالك باللصوصية فعلت ، ولكنك رئيس بلدك ولا أريد أذيتك ، فإن ذلك يخرج عن الفتوة، ولكن خذها ، فإن احتجت إلى شيء بعد هذا أخذت منك ، فقلت : إن عودك لا يفزعني ، ولكن إذا أردت شيئاً فتعال إليَّ نهارًا ، أو رسولك ، فقال : أفعل ، فأخذت الدنانير منه وانصرف ، وكان رسوله يجيئني بعلامة بعد ذلك ، فيأخذ ما يريده بعد مدة ، فما انكسر لي عنده شيء إلى أن قبض عليه .

حكى أبو محمد عبد الله بن علي بن الخشاب النحوي: أن رجلاً اشترى من مخاطي قطعة صابون ومضى إلى النهر لغسل ثيابه، فلما وصل أخرجها، فإذا هي قطعة آجر، فصعب الأمر عليه، وقال: هذا يبيع الناس آجرًا وصابونًا ، فمضى إليه ليردها، فلما وصل قال: ويحك أتبيع الناس آجراً وصابونًا قال: كيف أبيع آجرًا؟ فأخرجها من كمه، فإذا هي قطعة صابون، فاستحى ورجع إلى النهر، فأخرجها فإذا هي آجر، فعاد إليه ووبخه، وأخرجها فإذا هي قطعة صابون مرة أخرى كذلك حتى ضجر، فقال له المخاطي: لا يضيق صدرك، فإن لنا ولدًا قد أخرجناه نعلمه أن يبطأ ويحتال وإنك كلما مضيت فعل هذا، فإذا رآك قد عدت لردها أعادها في كمك وأنت لا تعلم .

من نوادر اللصوص ..

دخل لص دار قوم ، فلم يجد ما يسرق غير دواة [٣] مكسورة ، فكتب على الحائط : عز عليَّ فقركم وغناي . دخل لص بيت رجل ، فأخذ متاعه وخرج ، فصاح الرجل : ما أنحس هذه الليلة؟ فقال اللص: ليست على كل أحد .

---

(١) المترس: أي المزلاج، وهو يستعمل في إغلاق الباب بدون القفل.

(٢) الفتوة: مسلك أو نظام يسمي خلق الشجاعة والنجدة في الفتى .

(٣) الدواة: معروفة وهي أداة الكتابة مع القلم.

حدثني بعض الإخوان أن رجلاً جاء إلى بزاز ، فاستعرض منه ثياباً بثلاثمائة دينار ، ثم وزنها له ، فلما تسلمها قال الرجل : لقد غبنتني[١] ، فعاد وجمع الدنانير وتركها في خرقة وختمها ورمى بها في كم غلامه، ثم قال : ما أنا إلا متردد أفتأذن لي أن أرى الثياب من اشتريتُها له ، فإن رضي وإلا رددتها؟ قال : نعم ، فأدخل يده في كم غلامه ، فأخرج الخرقة، فرمى بها إلى البزاز ، وأخذ الثياب ومضى ففتح البزاز الخرقة ، فإذا بها فلوس ، وقد جعل في كم غلامه خرقة مثلها وفيها وزن الثلاثمائة .

اللصوص يجتمعون !! ..

حدثني أبو الفتح البصري قال : اجتمع جماعة من اللصوص ، اجتاز عليهم شيخ صيرفي معه كيسه. فقال أحدهم : ما تقولون فيمن يأخذ كيس هذا؟ قالوا : كيف تفعل ؟ قال : انظروا ثم تبعه إلى منزله، فدخل الشيخ ، فرمى كيسه على الصفة وقال للجارية : أنا حاقن[٢] ، فالحقيني بماء في الغرفة، وصعد فدخل اللص فأخذ الكيس ، وجاء إلى أصحابه ، فحدثهم، فقالوا : ما عملت شيئًا . تركته يضرب الجارية ويعذبها وما هذا مليح[٣] ؟ قال : فكيف تريدون؟ قالوا : تخلص الجارية من الضرب وتأخذ الكيس . قال: نعم ، فمضى فطَرق الباب ، فإذا به يضرب الجارية ، فقال : من؟ قال : غلام جارك في الدكان ، فخرج ، فقال : ماذا تقول؟ فقال : سيدي يسلم عليك ويقول لك قد تغيرت . ترمي كيسك في الدكان وتمضي ، ولولا أننا رأيناه كان قد أخذ ، وأخرج الكيس ، وقال : أليس هذا هو؟ قال : بلى والله صدق ، ثم أخذه ، فقال له : بل أعطنيه ، وادخل فاكتب في رقعة قد تسلمت الكيس، حتى أتخلص أنا ويرجع إليك مالك ، فناوله إياه ورحَل[٤] ليكتب ، فأخذه ومضى .

عجوز تكشف اللصوص ..

قال أبو جعفر محمد بن الفضل الضميري : كان في بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والصلاة، وكان لها ابن صيرفي منهمك على الشرب واللعب ، وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهاره ، ثم يعود إلى منزله ، فيخبئ كيسه عند والدته ، فدخل إلى الدار لص وهو لا يعلم ، فاختبأ فيها ، وسلم الابن كيسه إلى أمه وخرج ، وبقيت هي وحدها في الدار ، وكان لها في دارها بيت مؤزر بالساج عليه باب من حديد تجعل فراشها فيه والكيس ، فخبأت الكيس فيه خلف الباب وجلست فأفطرت[٥] بين يديه، فقال اللص : الساعة تقفله وتنام ، وأنزل وأقلع الباب وآخذُ الكيس، فلما أفطرت قامت تصلي ومدت الصلاة ومضى نصف الليل وتحير اللص، وخاف أن يدركه الصبح ، فطاف في الدار فوجد إزارًا جديدًا وبخورًا فاتزر بالإزار ، وأوقد البخور وأقبل ينزل على الدرجة ، ويصيح بصوت غليظ ليفزع العجوز ، وكانت جلدة ، ففطنت أنه لص ، فقالت : من هذا؟ بارتعاد وفزع فقال : أنا جبريل رسول رب العالمين أرسلني إلى ابنك هذا الفاسق لأعظه وأعامله بما يمنعه عن ارتكاب المعاصي ، فأظهرت أنها قد غشي عليها من الفزع ، وأقبلت تقول : يا جبريل سألتك ألا رفقت به ، فإنه ولدي، فقال اللص: ما أرسلتُ لقتله . قالت : فيم أرسلت؟ قال لأخذ كيسه وأولم قلبه بذلك

---

(١) غبنتني : غششتني ونقصتني .
(٢) حاقن : يريد أن يتبول .
(٣) ما هذا بمستحسن .
(٤) رحل : أي مضى .
(٥) أي أكلت بعد صوم .

، فإذا تاب رددته عليه ، فقالت يا جبريل ، شأنك وما أُمرت به ، فقال : تنحي عن باب البيت ، وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش ، واشتغل في تكويره فمشت العجوز قليلاً قليلاً وجذبت الباب وجعلت الحلقة في الرزة ، وجاءت بقفل فقفلته ، فنظر اللص إلى الموت ورام حيلة ، نقب أو منفذ ، فلم يجد ، فقال افتحي لأخرج فقد اتعظ ابنك ، فقالت : يا جبريل ، أخاف أن أفتح الباب ، فتذهب عيني من ملاحظة نورك ، فقال : إني أطفئ نوري حتى لا يذهب بعَيْنيك . فقالت يا جبريل ، ما يعوزك أن تخرج من السقف أو تخرق الحائط بريشة من جناحك ولا تكلفني أنا لتغوير بصري [١]، فأحس اللص أنها جلدة [٢]، فأخذ يرفق بها ويداريها ، ويبذل التوبة [٣]، فقالت : دعْ عنك هذا لا سبيل إلى الخروج إلا بالنهار ، وقامت فصلت ، وهو يسألها حتى طلعت الشمس ، وجاء ابنها وعرف خبرها ، وحدثته الحديث ، فأحضر صاحب الشرط [٤] وفتح الباب وقبض على اللص .

الباب التاسع والعشرون : في ذكر طرف من أخبار فطن الصبيان

فراسة الأطفال ..

أخبرنا الزبير بن بكار [٥] قال: حدثني محمد بن الضحاك، أن عبد الملك بن مروان قال لرأس الجالوت، أو لابن رأس الجالوت: ما عندكم من الفراسة في الصبيان؟ قال: ما عندنا فيهم شيء، لأنهم يُخلقون خلقا بعد خلق غير أنا نرمقهم [٦]، فإن سمعنا منهم من يقول في لَعِبه: من يكون معي رأيناه ذا همة وحنو صدق فيه، وإن سمعناه يقول: مع من أكون؟ كرهناها منه، فكان أول ما علم من ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبي فمر رجل، فصاح عليهم، ففروا ومشى ابن الزبير القهقري [٧]، وقال : يا صبيان اجعلوني أميركم، وشدوا بنا عليه .

الخليفة وابن الزبير ..

ومرَّ به عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- وهو صبي يلعب مع الصبيان، ففروا. ووقف، فقال له: مالك لم تفر مع أصحابك؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أجرم [٨] فأخاف ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك.

عمر والغلمان ..

عن هارون بن زياب قال حدثنا سنان بن مسلمة وكان أميرا على البحرين قال : كنَّا أغيلمة [٩] بالمدينة في أصول النخل نلتقط الذي يسمونه الخلال ، فخرج إلينا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - فتفرق الغلمان ، وثبتُّ مكاني ، فلما غَشيني قلت : يا أمير المؤمنين إنما هذا ما ألقت الريح [١٠] . قال : أرني أنظر . فإنه لا يخفى عليَّ قال : فنظر في حِجْري فقال : صدقت . فقلت : يا أمير المؤمنين. ترى هؤلاء الغلمان والله لئن انطلقت إلا غاروا عليَّ فانتزعوا [١١] ما في يدي ، قال : فمشى معي حتى بلغني مأمني .

---

(١) تغوير البصر : يقال غار بصره وعينه إذا دخلت في الرأس .
(٢) جلدة : قوية .
(٣) يبذل التوبة : يذكر أمامه أنه قد تاب ورجع .
(٤) صاحب الشرط : أي رئيسها .
(٥) الزبير بن بكار : من أحفاد الزبير بن العوام، وهو أخباري ثقة ، ولد في المدينة وولي قضاء مكة ، وتوفي بها سنة ٢٥٦هـ.
(٦) نرمقهم : ننظر إليهم .
(٧) القهقري : الرجوع إلى الوراء .
(٨) لم أرتكب جُرمًا .
(٩) أغيلمة : تصغير غلمان جمع غلام. والغلام هو من لم يبلغ الحلم.
(١٠) أي ما تساقط بدون رميٍ أو جنيٍ .
(١١) انتزعوا : أخذوا مني

مؤدب المأمون ..

قال أبو محمد الترمذي كنتُ أؤدب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهري قال : فأتيته يوما وهو داخل، فوجهت إليه بعض خدّامه ، يعلمه بمكاني ، فأبطأ عليّ ، ثم وجهت آخر ، فأبطأ ، فقلت لسعيد : إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة ، وتأخر ، قال : أجل . ومع هذا أنه إذا فارقك تَعَرَّم على خدمه ، ولقوا منه أذى شديدًا ، فقوِّمْهُ بالأدب ، فلما خرج أمرت بحمله ، فضربته سبع دِرَر [١] قال: فإنه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل : جعفر بن يحيى قد أقبل فأخذ منديلا فمسحَ عينيه من البكاء ، وجمعَ ثيابه ، وقام إلى فرشه ، فقعدَ عليه متربعاً ، ثُمَّ قال: : ليدخل . فقمتُ عن المجلس ، وخفتُ أن يَشتكوني إليه ، فألقى منه ما أكره ، قال: فأقبلَ بوجهه وحدثه حتى أضحكه ، وضحك إليه ، فلمَّا همَّ بالحركة دعا بدابته ودعا غلمانه ، فسعوا بين يديه ، ثم سأل عني ، فجئت فقال : خُذْ بقيَّةَ حزني . فقلت : أيها الأمير . أطال الله بقاءك لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى ولو فعلت ذلك لتنكر لي . فقال : تراني يا أبا محمد كنت أُطلع الرشيد على هذا فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه؟ إنني أحتاج إلى أدب . إذن يغفر الله لك بُعدًا لظنك ووجيب قلبك [٢] خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبدًا لو عدت في كل يوم مائة مرة .

ألطف رقعة ..

قال الحسن القزويني : سمعت أبا بكر النحوي يقول : ألطف رقعة كتبت في الاعتذار ، رقعة كتبها الراضي إلى أخيه أبي إسحق المتقي، وقد كان جرى بينهما كلام، بحضرة المؤدب، وكان الأخ قد تعدى على الراضي فكتب إليه الراضي: بسم الله الرحمن الرحيم أنا معترف لك بالعبودية فرضًا، وأنت معترف لي بالأخوة فضلاً، والعبدُ يذنب، والمولى يغفر وقد قال الشاعر:

يا ذا الذي يغضب من غير شيء ... أعتب فعتباك حبيب إليَّ
أنت على أنك لي ظالمٌ ... أعز خلق الله طراً [٣] علي

قال : فجاءه أبو إسحق ، فأكب عليه ، فقام إليه الراضي ، فتعانقا واصطلحا ، والله أعلم .

المأمون وأم موسى ..

حدثنا عبيد الله بن المأمون قال : غضب المأمون على أمي أم موسى ، فقصدني لذلك ، حتى كاد يتلفني [٤] فقلت له يوما : يا أمير المؤمنين إن كنت غضبان على ابنة عمك [٥] فعاقبها بغيري، فإني منك قبلها ولك دونها . قال : صدقت والله يا عبد الله إنك مني قبلها ، ولي دونها والحمد لله الذي أظهر لي هذا منك وبيَّن لي هذا الفضل فيك ، لا ترى والله بعد يومك هذا مني سوءًا ولا ترى إلا ما تحب فكان ذلك سبب رضاه عن أمي .

من بلاغة الصبيان ..

قال الأصمعي : بينما أنا في بعض البوادي [٦]، إذْ أنا بصبي أو قال صبية معه قربة قد غلبته، فيها ماء ، وهو ينادي: يا أبت، أدرك فاها غلبني فوها لا طاقة لي بفيها . قال : فوالله لقد جمعت العربية في ثلاث .

---

(١) الدِّرَة : هي السَّوْط يضرب به . وتعزم: اشتد في المعاملة (٢) وجيب القلب : اضطرابه . (٣) طرًا : جميعًا .
(٤) يتلفني : يهلكني ويقتلني
(٥) التي هي أم موسى . (٦) البوادي جمع البادية : هي الصحراء سميت بذلك لأنها خالية من الزرع والضرع .

قال الجاحظ : قال ثمامة : دَخَلْتُ إلى صديق لي أعوده [١] وتركت حماري على الباب ولم يكن معي غلام ثم خرجت وإذا فوقه صبي فقلت : أتركب حماري بغير إذني . قال : خفت أن يذهب فحفظته لك . قلت: لو ذهب كان أحب لي من بقائه . قال : فإن كان هذا رأيك في الحمار ، فافعل على أنه قد ذهب ، وهبه لي واربح شكري ، فلم أدر ما أقول .

قال رجل من أهل الشام : قدمت المدينة فقصدت منزل إبراهيم بن هرمة فإذا بنية له صغيرة تلعب بالطين فقلت لها : ما فعل أبوك؟ قالت وفد إلى بعض الأجواد فما لنا به علم منذ مدة، فقلت: انحري [٢] لنا ناقة فأنا أضايفك؟ قالت : والله ما عندنا . قلت : فشاة . قالت: والله ما عندنا قلت : فدجاجة . قالت : والله ما عندنا . قلت : فبيضة ، قالت : والله ما عندنا . قلت : فباطل ما قال أبوك:

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب أو جَمل

قالت : فذاك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء .

قال بشر بن الحرث : أتيت باب المعافي بن عِمران فدققت الباب فقيل لي : من؟ قلت : بشر الحافي [٣] قالت لي بنية من داخل الدار : لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافي .

وبلغنا أن المعتصم ركب إلى خاقان يعوده ، والفتح صبي يومئذ فقال له المعتصم : أيها أحسن دار أمير المؤمنين ، أو دار أبيك ، قال : إذا كان أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن ، فأراهُ فَصًّا [٤] في يده فقال : هل رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص؟ فقال : نعم. اليد التي هو فيها .

قال أبو علي البصير : توفي أبي وأنا صغير فمنعت ميراثي ، فقدمت منازعا إلى القاضي ، فقال لي: بلغت [٥]، قلت : نعم ، قال : ومن يعلم بذاك؟ قلت : من أنعظ عليه ، فتبسم ، وأمر بفك حَجْرِي [٦].

بلغنا أن إياس بن معاوية تقدم وهو صبي إلى قاضي دمشق ، ومعه شيخ فقال : أصلح الله القاضي ، هذا الشيخ ظلمني واعتدى عليّ وأخذ مالي ، فقال القاضي : أرفق به ولا تستقبل الشيخ بمثل هذا الكلام، فقال إياس [٧]: أصلح الله القاضي إن الحق أكبر مني ، ومنه ، ومنك ، قال : اسكت قال : إن سكتُّ فمن يقومُ بحجتي . قال : تكلم بخير ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فرفع صاحب الخبر هذا الخبر، فعزل القاضي وولى إياس مكانه .

من الأجوبة الحصيفة ..

نظر المأمون إلى ابن صغير له في يده دفتر ، فقال : ما هذا بيدك؟ فقال : بعض ما تسجل به الفطنة وينبه من الغفلة، ويؤنس من الوحشة . فقال المأمون : الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر مما ينظر بعين جسمه وسنه .

قال الفرزدق لغلام حديث: أيسرك أني أبوك؟ قال: لا . ولكن أمي ليصيب أبي من أطايبك .

قعد صبي مع قوم يأكلون ، فبكى، قالوا : مالك تبكي؟ قال : الطعام حار ، قال: فدعه حتى يبرد. قال : أنتم لا تدعونه .

---

(١) أعوده : أي أزوره من مرض . (٢) النحر يكون للإبل . يقال نحرت الإبل ولا يقال : ذبحتها .
(٣) بشر الحافي : زاهد متصوف عابد ، ذكره السلمي في طبقات الصوفية ، وأثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليهم أجمعين .
(٤) الفص : الخاتم . (٥) أي بلغت سن الرشد . (٦) الحَجْر : هو المنع في التصرف في الشيء ، ويكون إما لصغر السن ، أو السفه .
(٧) إياس : هو أحد القضاة المشهورين كشريح .

قال الأصمعي : قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق؟ فقال : لا والله . قلت : ولم؟ قال : أخاف أن يجني على حمقي جناية تذهب مالي ويبقى على حمقي .

وبلغنا أن صبيا لقي رجلاً عاقلا فقال له : إلى أين تمضي؟ فقال إلى المطبق [١] فقال له : أوسع خُطوتك.

أُدخِلَ على الرشيد صبي له أربع سنين فقال له : ما تحب أن أهب لك؟ قال حسن رأيك .

الباب الثلاثون : في ذكر طرف من فطن عقلاء المجانين

قد أجبتك ..

أخبرنا محمد بن إسماعيل قال : كان عندنا رجل من جهينة ، يكنى أبا نصر قد ذهب عقله ، فقلت له يومًا: ما السَّخاء؟ قال : جهد مُقِلّ . قلت : ما البخل قال : أف . وحوَّل وجهه ، فقلت : أجبني . قال : قد أجبتك .

قال الشبلي : رأيت يوم الجمعة معتوها عند جامع الرُّصافة قائما عريان وهو يقول أنا مجنون الله أنا مجنون الله. فقلت له: لم لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي فأنشأ يقول :

يقولون زُرْنَا واقضِ واجبَ حقِّنا ... وقد أسقطتْ حالي حقوقهم عنِّي

إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها ... ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

عاقل مجنون ..

قال ابن القصاب الصوفي [٢]: دخلت المارستان ، فرأيت فيه فتى مصابا ، فولعت به ، وزدت في الولع، فاتبعته [٣]، فصاح وقال : انظروا إلى شعُور مطرزَةٍ وأجسادٍ معطَّرة، قد جعلوا الولع بضاعةً، والسخف صناعة. فقلت له : من السخي؟ قال : الذي رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون قوت يوم . قلت له : من أقل الناس شكرًا؟ قال : من عوفي من بليّةٍ ثم رآها في غيره ، فترك الشكر فانكسرت ، وقلت له : ما الظرْف ؟ قال : خلاف ما أنتم عليه .

أتعرف القائل ..

بلغني عن أصحاب المبرد أنه قال : انصرفت من مجلس المبرد يومًا فجزت بخربة [٤]، فإذا بشيخ قد خرج منها ، ومعه حجر ، فهمَّ أن يرميني به، فترسْتُ بالمحبرة والدفتر، فقال: مرحبا بالشيخ . فقلت : وبك ، قال : من أين أقبلت؟ قلت: من مجلس المبرد . قال : المبارد . ثم قال ما الذي أنشدكم فكان من عادته أن يختم مجلسه ببيت أو بيتين من الشعر؟ فقلت له: أنشدنا:

أعار الغيث نائله ... إذا ما ماؤه نفدا

وإن أسد شكا جبنا ... أعار فؤاده الأسدا

فقال : أخطأ قائل هذا الشعر . قلت : كيف؟ قال : ألا تعلم أنه إذا أعار الغيث نائله ، بقي بلا نائل ، وإذا أعار الأسد فؤاده ، بقي بلا فؤاد ، قلت : فكيف كان يقول ؟ فأنشد :

---

(١) المُطْبِق : السجن تحت الأرض . (٢) ابن القصاب الصوفي : لم أعثر له على ترجمة

(٣) أي مشيت خلفه (٤) الخربة : هو المكان الذي لا يسكنه أحد ولا ينتفع به.

عـلّـم الـغـيـثُ الـنـدى فـإذا ... ما وعاه علّم الباسُ الأسد
فـإذا الـغـيـثُ مـقـرٌّ بالـنـدى ... وإذا الـلـيـثُ[1] مقـر بالجلد

قال : فكتبتها ، وانصرفتُ ، ثم مررت يومًا آخر بذلك المكان ، فإذا به قد خرج ، وفي يده حجر فكاد يرميني به ، فتترست منه فضحك ، وقال : مرحبا بالشيخ . فقلت : وبكَ. قال : من مجلس المبرد . قلت : نعم . قال : ما الذي أنشدكم قلت أنشدنا :

أن السَّماحـة والمـروءَ ةَ والنَّـدَى ... قـبر يمر عـلى الطريـق الواضـح
فـإذا مـررت بقبـره فـاعـقِـرْ[2] به ... كـوم الجياد وكـل طِـرْف سابح

فقال : أخطأ قائل هذا الشعر ، فقلت : كيف؟ قال : ويحك . لو نحرت بخت[3] خراسان لما أبرَّ في حقه، قلت : كيف كان يقول ؟ فأنشد :

اخِـلائي إن لم يـكـنْ لكمـا عِـقْـرٌ ... إلى جنب قَـبره فاعقراني وانضحـا[4]
مـن دمِـي عـلـيْـه فـقـد كـانَ ... دمـي مـن نَـدَاهُ لـو تعلمـان

قال : فلما عدتُ إلى المبرد قصصت عليه القصة ، فقال : أتعرفه ؟ قلت : لا . قال ذلك خالد[5] الكاتب. تأخذه السوداء أيام الباذنجان .

بهلول المجنون ..

حدثنا علي بن الحسين الرازي[6] مر بهلول[7] بقوم في أصل شجرة وكانوا عشرة فقال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نسخر ببهلول. قالوا : فجاءهم ، فقالوا : يا بهلول ، تصعد لنا رأس هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم . قال : نعم . فأعطوهُ عشرة دراهم ، فصيرها[8] في كمه ثم التفت فقال: هاتوا سُلَّمًا فقالوا: لم يكن هذا في الشرط، فقال: كان في شرطي دون شرطكم . ولد لبعض أمراء الكوفة بنت، فساءه ذلك ، وامتنع عن الطعام، فدخل عليه بهلول، فقال : ما هذا الحزن؟ أجزعت بخلق سوى وهبَهُ رب العالمين أيسرك أنّ مكانها أبناءَ مثلي؟ فسرّى عنه.

وفرّ يوما بهلولٌ من الصبيان ، فالتجأ إلى دار ، فوجد بابها مفتوحا فدخلها وصاحب الدار قائم له ضفيرتان ، فصاح ما أدخلك داري؟ فقال : ﴿ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف: ٩٤] .

وحمل عليه الصبيان[9] ، فدخل دارًا ، فدعا الرجل بالطعام ، فجعل الصبيان يصيحون على الباب وهو يأكل ويقول : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد : ١٣] .

وسئل بهلول عن رجل مات ، وخلف ابنًا وبنتًا وزوجة ولم يترك من المال شيئًا ، فقال : للابن اليُتمُ وللبنت الثّكل وللزوجةِ خرابُ البيْت وما بقي فللعصبة[10] .

---

(١) الليث : اسم من أسماء الأسد . (٢) العقر : الذبح . (٣) البُخت : الإبل ٤٤ انضحا : أي رُشّا من دمي عليه .
(٥) هو خالد بن يزيد البغدادي الكاتب . من شعراء العراق عاش في بغداد ، وكان يهجو أبا تمام . أصيب بالسوداء ، وعمّر طويلاً .
(٦) هو علي بن الحسين الرازي المالكي : من أشهر المحدثين وممن آثاره تصنيف أحاديث الإمام مالك وعمّر طويلا .
(٧) هو بهلول بن عمرو الصيرفي المعروف بالمجنون ولد في الكوفة ، ونشأ بها ، ثم استقدمه هارون الرشيد لسماع نوادره وشعره ، وهو من عقلاء المجانين .
(٨) صيّرها : جعلها . (٩) حمل عليه الصبيان : كروا وجروا وراءه .
(١٠) العصبة : هم الأقارب الذين لا نصيب لهم وإنما يأخذون إذا بقي من أصحاب الفرض شيء .

قال ودخل بهلول وعلّيان المجنون[١] على موسى ابن المهدي فقال لعليان: أيش معنى عليان؟ فقال عليان: وأيش معنى موسى؟ فقال خُذوا بِرِجْلِ ابن الفاعلة فالتفت عليان إلى بهلول وقال: خذ إليك. كنا اثنين، صرنا ثلاثة.

كان في بني أسد مجنون، فمر بقوم من بني تيم الله، فعبثوا به وعذبوه فقال: يا بني تيم الله. ما أعلم في الدنيا قوما خيرًا منكم، قالوا: وكيف؟ قال: بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري، وقد قيدوني، وسلسلوني، وكلكم مجانين. ليس فيكم مقيَّد.

ومر مجنون بمعتزلي يناظر، فقال لهُ المجنون: أنت القائل إنك مخيَّر بين فعلين إن شئت فعلت أحدهما دون الآخر، قال: نعم. قال: فاخر ولا تَبْلْ، فعجب الناس من قوله.

جنون وجنون ..

قال أبو محمد بن عجيف: مرَّ بي مَجنون فقلت: يا مجنون. قال: وأنت عاقل؟ قلت: نعم. قال: كلاَّ يا مجنون، ولكن جُنُوني مكشوف، وَجنونك مستور، قلتُ: فَسِّرْ لي ما قلت: قال أنا أخرق الثياب وأرجم، وأنت تعمر دارًا لا بَقاء لها، وتطيل أملك وما حياتك بيدك، وتعصي وليَّك، وتُطيعُ عدوك.

قال النَّظام[٢]: قلت لمجنون: اجلس ها هنا حتى أرجع. فقال: أمَّا ترجع فلا أضمنُ لك، ولكني أجلسُ إلى الليْل.

ادعى رجل النبوة، وزعم أنه نوح، فصُلب فمرَّ به مجنون فقال: لم تُحَصِّلْ من سفينتك إلاَّ على الدقل[٣].

بعث هلال بن أبي بردة[٤] إلى أبي علقمة المجنون، فلما أتى به قال: تدري لِمَ أحضرتك؟ قال: لا. قال: لأضحك منك، قال: لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه يُعرِّض[٥] بجدِّهِ أبي مُوسى.

الباب الحادي والثلاثون: في ذكر طرف من أخبار النساء المتفطنات

من ذكاء عائشة ..

حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديًا فيه شجر أُكِل منها، ووجدت شجرًا لم يؤكلْ منها في أي كنتَ ترتَعُ بعيرَكَ؟ قال: «في التي لم يرْتَعْ مِنْهَا» - تَعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها[٦].

عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه، فطارتْ القرعةُ على عائشة وحفصة[٧] فخرجتا معهُ جميعا، فكان النبي ﷺ إذا سار بالليْل سار مع عائشة يتحدثُ معها. فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين بعيري[٨]، وأركب بعيرك، فتنظرين وأنظر، قالت: بلى. فركبت عائشة على بعير حفصة، وركبت حفصة على بعير عائشة، فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة، وعليه

---

(١) هو عليان بن أبي مالك. رجل من عقلاء المجانين، كان راوية للشعر مجيدًا له. (٢) النَّظام: تقدمت ترجمته.
(٣) الدقل: خشبة تشد وسط السفينة عالية. (٤) هلال بن أبي بردة: لم أعثر له على ترجمة. (٥) يعرِّض: قال فيه قولًا يعيبه.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٧ ص٦، كتاب النكاح
(٧) حفصة: هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضوان الله عليها. (٨) البعير: جمل.

حفصة فسلَّم، ثم صارَ معهَا حتى نزلُوا، فَفَقَدَتْ عائشة النبي ﷺ فغارت[١]، فلما نزلت جعلت تدخل رجليها بين الإذخر[٢] وتقول: يا رب سلِّط عليَّ عقربا يلدغني، رسولك لا أستطيع أن أقول شيئًا[٣].

مهر النساء ..

عن عبد الله بن مصعب[٤] قال: قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين أوقية وإن كانت بنت ذي الغصة يعني يزيد بن الحصين الصحابي الحارثي فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال. فقالت امرأة من صف النساء طويلة في أنفها فطس: ما ذاك لك قال: ولم؟ قالت: لأن الله عز وجل قال: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠]. قال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

امرأة تشكو زوجها ..

عن محمد بن معين الغفاري قال: أتت امرأة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقالت: يا أمير المؤمنين. إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله، فقال لها: نِعْمَ الزوج زوجك، فجعلت تكرر عليه القول وهو يقرِّر عليها الجواب، فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر: كما فهمتَ كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: علي بزوجها فأتي به فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك. قال: أفي طعام أو شراب. قال: لا. فقالت المرأة:

يـا أيُّهـا القـاضي الحكـيـمُ أرشـدهْ ... ألهـى خليلـي عن فراشـي مسْجدهْ
زهـده في مضجعـي تعبـده ... نهـاره وليلـه ما يرقـده
ولست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهِـدتُ[٥] في فراشـها وفي الحجل ... أني امـرؤ أذهلـني ما قـد نـزل
في سـورة النمل وفي السبع الطول ... وفي كتـاب الله تخويـف جلل

قال كعب:

إن لهـا حـقًا عليك يـا رجـل ... تصيبها في أربـع لمـن عقـل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل[٦]

ثم قال: إن الله -عز وجل- قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام ولياليَّ تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة. فقال: عُمرْ: والله ما أدري من أي أمريك أعجب أفمن فهمك أمرها أم من حكمك بينهما، اذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

ذات النطاقين ..

عن أسماء[٧] بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قالت: لما توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ومعه

---

(١) غارت: من الغيرة. (٢) الإذخر: نوع من النبات.
(٣) وردت هذه القصة في أعلام النساء جـ٣ ص٢٠. (٤) عبد الله بن مصعب الزبيري تقدمت ترجمته.
(٥) في بعض النسخ: زهَدني: بدل زهِدتُ. (٦) العلل: التعلل بدون وجه حق.
(٧) هي ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق أمُّ عبد الله بن الزبير.

أبو بكر ، حَمَلَ أبو بكر معه جميع ماله خمسة آلاف، أو ستة آلاف درهم، فأتاني جدِّي أبو قحافة وقد ذهب بصره : أرى هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه ، فقلت : كلا . يا أبت . قد ترك لنا خيرا كثيرا .فعمدت إلى أحجار جعلتها في كوة البيت كان أبو بكر يحصل ماله فيها وغطيت على الأحجار بثوب ثم جئت فأخذت بيده ووضعتها على الثوب وقلت : ترك لنا هذا، فجعل يجد مس الحجارة من وراء الثوب ، فقال : أما إذ ترك لكم هذا فنعم . ولا والله ما ترك لنا قليلا ولا كثيرًا .

من بلاغة المرأة ..

قال الأصمعي : أتت امرأة حاتم بن عبد الله بن أبي بكرة فقالت له : أتيتك من بلاد شاسعة، ترفعني رافعة ، وتخفضني خافضة ، لملمّات من الأمور حللنَ بي ، فَبَرِيْنَ لحمي [١]، ووهَنَّ عظمي [٢] وتركتني والهة كالحريض قد ضاق بي البلد العريض . هلك الوالد ، وغاب الوافد ، وعدم الطارف [٣]، والتالد [٤] فسألت في أحياء العرب عن المرجو سَيْبُه ، المحمود نائله، الكريم شمائله ، فدللت عليك ، وأنا امرأة من هوازن ، فافعل بي أحد ثلاث . إمَّا أن تقيم أودي [٥] وإما أن تحسن صفدي [٦] وإما أن تردني إلى بلدي فقال: بل أجمعهن إليك وحبًا وكرامةً .

أم تسترجع ..

قال الأصمعي : مات ابن لأعرابية ، فمازالت تبكي حتى خدد الدمعُ خدها ، ثم استرجعت، فقالت : اللهم إنك قد علمت فرط حب الوالدين لولدهما فلذلك لم تأمرهما ببره، وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه فمن أجل ذلك حضضته [٧] على طاعتهما اللهم إن ولدي كان من البار بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما ، فاجزه مني بذلك صلاة ورحمة ولقه سرورًا ونضرةً [٨] فقال لها أعرابي: نِعْمَ ما دعوتِ له لولا أنك شبته [٩] من الجزع بمالا يُجدي ، فقالت : إذا وقَعَتْ الضرورات لم يجرِ عليها حكم المكتسبات، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفُه ، ولا في القدرة منعه ، والله ولي عذري بفضله ، فقد قال عز وجل : ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

من أهل الجنة ..

قال أبو الحسن المدائني: دخل عمران بن حطان يوماً على امرأته وكان عمران قبيحًا دميمًا، قصيراً ، وقد تزيَّنَتْ ، وكانت امرأة حسناء ، فلما نظر إليها ازدادت في عينه جمالاً وحسنًا ، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها ، فقالت : ما شأنك ؟ قال : لقد أصبحت والله جميلة. فقالت: أبشر فإني وإيّاك في الجنة . قال : ومن أين علمت ذلك؟ قالت : لأنك أُعطِيتَ مثلي فشكرتَ وابتليتُ بمثلك فصبرت ، والصابر والشاكر في الجنة .

---

(١) برين لحمي : كناية عن شدة الضعف . (٢) ووَهَنَ عظمي : أضعفه .
(٣) الطارف : هو المال الذي حصل عليه حديثًا .
(٤) التالد : ضد الطارف ، وهو المال القديم الأصلي الذي وُلد عندك .
(٥) الأوَد : الاعوجاج .
(٦) الصفد : هي ما يوثق به الأسير من قيْدٍ وغل . وجمعها أصفاد .
(٧) الحض : هو الحث بشدة . (٨) نضرة : أي امنحه حسنا ورضوانا من عندك (٩) شبته : أي خلطته .

الطبري يرد على ابن حطان ..

قال المصنف أدام الله سلامته : كان عمران بن حطان أحدُ الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم[١] ، على قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه تعالى وأرضاه بمنه وكرمه :

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها ... إلا ليبلغَ من ذي العرش رضواناً
إني لأذكره يوماً فأحسبهُ ... أوفى البريَّة عند الله ميزاناً
أكرِمْ بقوم بطونُ الأرض أقبرُهُمْ ... لم يخلطوا دينَهم بغياً وعدوانا

فبلغت هذه الأبيات القاضي أبا الطيب الطبري ، فقال مجيباً له على الفور :

إني لأبرأ مما أنت قائلهُ ... على ابن ملجمَ الملعونَ بهتانا
إني لأذكرهُ يوماً فألعنهُ ... ديناً وألعنُ عمراناً وحطانا
عليك ثم عليه الدهرُ متصلاً ... لعائن أسرار وإعلانا
فأنتمُ من كلاب النار جاءَ به ... نصُّ الشريعةِ تبياناً وبرهانا

وأشار أبو الطيب إلى قول النبي ﷺ «الخوارج كلاب النَّار»[٢] .

كُثير عزة ..

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي : حدثني أبو المشيع قال : خرج كُثير يلتمس عزة ومعه ، شنينة[٣] فيها ماء ، فأخذه العطش ، فتناول الشنينة ، فإذا هي عظم ، ما فيها شيء من الماء فرفعت له نار فأمَّها ، فإذا بقربها مظلة بفنائها عجوز ، فقالت له : من أنت؟ قال : أنا كثير ، قالت : قد كنتُ أتمنَى ملاقاتك ، فالحمد لله الذي أرانيك . قال : وما الذي تلتمسينه مني؟ قالت ألست القائل :

فإذ ما أتينا خلَّه كَيْ نزيلَها ... أبيْنَا وقلنَا الحاجبيَّة أولُ
سنوليك عرفًا إن أردتِ وصالَنَا ... ونحنُ لتلكَ الحاجبيَّةِ أوصلُ

قال : بلى : قالت : أفلا قلتَ : كما قال سيِّدُك جميل :

يا ربَّ عارضة علينَا وصلهَا ... بالجدِّ تخلطهُ بقول الهازل
فأجبتُها في القول بعد تأمُّل ... حبِّي بثينَةَ عن وصالكَ شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامةٍ ... فضلا لغيرك ما أتتك رسائلي

قلت : دعي هذا واسقيني ، قالت : والله لا أسقيك شيئا . قلتُ : ويحك إن العطش قد أضرَّ بي قالت: ثكلتْ بُثَيْنَةَ إنْ طعمتَ عندي قَطْرَة ماء ، فكان جهده ، أن أركَضَ راحلته ، ومضى يطلب الماء ، فما بلغه ، حتى أضحى النَّهار ، وكاد يقتله العطشُ .

ذو الرمة الشاعر ..

قال : دخل ذو الرُّمة[٤] الكوفة، فبينما هو يسير في شوارعها على نجيب له إذ رأى جارية سوداء واقفة على باب داره، فاستحسنها ووقعت بقلبه، فدنا إليها فقال: يا جارية اسقني ماءً . فأخرجت إليه كوزًا فشرب ، فأراد أن يمازحها ، ويستدعي كلامها ، فقال : يا جارية ما أحرَّ ماءَ ك! فقالت : لو شئت لأقبلت

---

(١) عبد الرحمن بن ملجم : قتل عليَّ بن أبي طالب في صفين . وهو من الخارجين عليه .
(٢) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (١١/ ٣٠٩٣٨) . (٣) الشنينة : هي القربة الخلق .
(٤) ذو الرُّمة هو : شاعر من شعراء بني أمية اسمه غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة ابن ملكان بن عدّي ، وذو الرّمة لقب لقبته به مية. «انظر شخصيات الأغاني» .

على عيوب شعرك وتركت حرَّ مائي وبرده، فقال لها : وأي شعري له عيب؟ فقالت: ألست ذا الرمة؟ قال: بلى . قالت :

فأنت الذي شبهت عنزًا بقفرة[١] ... لها ذَنَبٌ فوق استِها[٢] أم سالم
جعلت لها قرنين فوق جبينها ... وطبيين[٣] مسوَّدين مثل المحاجم
وساقين إن يستمكنا منك يتركا ... بجلدك يا غيلان مثل المناسم[٤]
أيا ظبيةَ الوعساء[٥] بين جلاجل ... وبين النَّقا أأنت أم أم سالم

قال : نشدتك بالله ألا أخذت راحلتي وما عليها وما تُظْهري هذا ونزل عن راحلته فدفعها إليها ، فذهب ليمضي، فدفعتها إليه وضمنت له ألاَّ تذكُرَ لأحدٍ ما جرَى .

الوليد والحجاج ..

قال زهير بن حسن مولي الربيع بن يونس : قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فصلى عنده ركعتين وركب الوليد ، فمشى الحجاج بين يديه ، فقال له الوليد : اركب يا أبا محمد[٦] . فقال: يا أمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد . فإن ابن الزبير ، وابن الأشعث شغلاني عن الجهاد زمنا طويلا، فعزم عليه الوليد أن يركب ، ودخل فركب مع الوليد ، فبينما هو يتحدث ويقول : ما فعلت بأهل العراق وفعلتُ أقبلت جارية ، فنادت الوليد ، ثم انصرفت فقال الوليد : يا أبا محمد أتدري ما قالت الجارية؟ قال : لا . قال : قالت : أرسلتني إليك أم البنين[٧] بنت عبد العزيز بن مروان ، أنَّ مجالستك هذا الأعرابي ، وهو في سلاحه وأنت في غلالة غرر ، فأرسلت إليها ، إنه الحجاج بن يوسف ، فراعها ذلك وقالت : والله لأن يخلو بك ملك الموت أحب إليَّ من أن يخلو بك الحجاج، وقد قتل أحباء الله له ، وأهل طاعته ظلما وعدوانًا ، فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين إنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، لا تطلعهنَّ على سرك ، ولا تستعملهن بأكثر من وثبهن ، ولا تكثرن مجالستهن ، ثم نهض ، فخرج، ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالته فقالت : إني أحب أن تأمره بالتسليم عليَّ فسيبلغك بالذي يكون بيني وبينه ، فغدا الحجاج على الوليد ، فقال الوليد : ائت أم البنين فقال : أعفني يا أمير المؤمنين . قال : فلتفعلن. فأتاها فحجبته طويلا ، ثم أذنت له ، ثم قالت له : يا حجاج أنت تفتخر على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير ، وابن الأشعث ، أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خلقه عليه ما ابتلاك بقتل ابن ذات النطاقين[٨] ووالي عليك الهرار حتى عويت[٩] ، فلولا أن أمير المؤمنين نادى في أهل اليمن وأنت في أضيق من القرن ، فأظلتك رماحهم، وعلاك كفاحهم ، لكنت مأسورًا قد أخذ الذي فيه عينَاك وعلى هذا ، فإنَّ نساءَ أمير المؤمنين قد نفضْنَ العطر عن غدائرهن[١٠] ، وبعته في أعطية أوليائه ، وأمَّا ما أشرت على أمير المؤمنين من قطع لذاته ، وبلوغ أوطاره ، من نسائه، فإن يكن ، إنما ينْفرجْنَ عن مثل أمير المؤمنين ، فغير مجيبك إلى ذلك ، وإن كنَّ ينفرجن عن مثل ما انفرجْتَ به أمك البظراء عنك من ضعف الغريزية ، وقبح المنظر في الخَلْقِ والخُلُق ، يا لكع[١١] ، فما أحقه إذن يُقْتدي بقولك، قاتل الله الذي يقول:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامة ... فَتْخَاءُ تَنْفِر من صَفِير الصَّافر

---

(١) القفرة : المكان الخالي الخرب . (٢) الاست : فتحة الشرج . (٣) وطبيين : هي حلمات الضرع في الثدييات .
(٤) المنسم : هو خف البعير وجمعه مناسم (٥) الوعساء : الأرض الليِّنة ذات الرمل . (٦) أبو محمد : هي كنية الحجاج الثقفي .
(٧) هي زوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان وغرر : خطر . (٨) هو عبد الله بن الزبير ابن أسماء بنت أبي بكر .
(٩) عويت : العواء يكون للكلب . (١٠) الغدائر : الذوائب . (١١) اللكع : اللئيم .

هـلاَّ بـرزت إلى غزالـة في الـوغَـا أو قدْ كـان قلبُك في جَنَاحَيْ طائـر

ثم أمرت جارية لها، فأخرجته، فلما دخل على الوليد قال: ما كنت فيه يا أبا محمد. فقال: والله يا أمير المؤمنين. ما سكتّ حتى كان بطنُ الأرض أحبُّ إليَّ من ظهرها. قال: إنها بنتُ عبد العزيز.

جارية شاعرة ..

قال ابن السكيت[١]: عزم محمد بن عبد الله بن طاهر[٢] على الحج فخرجت إليه جارية شاعرة فبكت لما رأت آلة السفر فقال محمد بن عبد الله:

دمعـةٌ كـاللؤلؤ الـرطب عـلى الخـد الأسـيـل
هطلـت في سـاعـة البَيْـن مـن الطـرف الكحيـل

ثم قال أجيزي فقالت:

حـين هـم القـمـرُ الـيـا هِـر عـنّـا بـالأفـول
إنـمـا يفضـح الـعـشّـا ق في وقـت الرحيـل

قال المفضل: دخلت على الرشيد، وبين يديه طبق ورد، وعنده جارية مليحة، شاعرة، أديبة، قد أُهدِيَتْ إليه، فقال: يا مفضل. قل في هذا الوردِ شيئًا، تشبهها به فأنشأتُ أقول:

كـأنّـهُ خَـدٌّ مـرمـوقٌ بقبلـة فـمُ الحبيب وقـد أبـدى بـه خجلاً

فقالت الجارية:

كـأنّه لـونَ خـدّي حينَ يدفعنـي كـفُّ الرشيدِ لأمـر يوجـب الغسلا

فقال: يا مفضل قم، فاخرج، فإن هذه الماجنةُ قد هيَّجَتْنَا، فقمت، وأرخيت الستور.

الرشيد والأصمعي ..

قال الأصمعي: لما قدم الرشيد البصرة يريد الخروج إلى مكة فخرجت معه فلما صرنا بضرية إذ أنا على شفير الوادي بصبية قدامها قصعة لها وإذ هي تقول:

طَحَنَتْنَا طـواحـنُ الأعـوام ورَمَتْنَـا نـوائـبُ الأيـام[٣]
فـأتَيْنَـاكُـمو لمـد أكفـاً لـفـضـالات زادكـم والـطـعـام
فـاطـلبُوا الأجْـرَ والمثـوبَـةَ فينَـا أيّهـا الـزائـرُون بيـتَ الحـرامَ
مـن رآنـي فـقـد رآني ورحْـلـي فـارحَمُـوا غُـرْبتـي وذُلّ مقامـي

قال: فرجعت إلى أمير المؤمنين، فقلت: صبية على شفير الوادي وأنشدته ما قالت، فعجب، فقلت: يا أمير المؤمنين: أفآتيك بها، قال: لا. بل نحن نذهب إليها، قال الأصمعي: فوقف عليها أمير المؤمنين، فقلت لها: أنشديه ما كنت تقولينَهُ فأنشدَتْهُ ولم تهبْهُ[٤]. فقال: يا مسرور. املأ قصعتها دنانير قال: فملأها حتى فاضت يمينًا وشمالاً.

---

(١) ابن السكيت هو: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. إمام من علماء اللغة والأدب كان يتصل بالخليفة المتوكل، وكان مؤدبا لأولاده، وصديقا له، صنف ابن السكيت كتبا كثيرة منها: «إصلاح المنطق» وتوفي سنة ٢٤٤ هـ.

(٢) هو محمد بن عبد الله الخزاعي من أهل العلم بالأدب، وكان من المقربين لدى الخليفة المتوكل توفي سنة ٢٥٣ هـ.

(٣) نوائب الأيام: مصائب الدهر والزمن. (٤) الهيبة: الوقار، والخوف.

مناجاة وطلب ..

حدثنا ابن الشيظمي قال : حججت في سنة قحطة جدبة ، فبينما أنا أطوف بالكعبة ، إذ أبصرتُ جاريةً من أحسن الناس قدًّا وقوامًا وخَلقًا ، وهي متعلقة بأستار الكعبة تقول : إلهي وسيِّدي ها أنا أمتُكَ الغريبةُ ، وسائلتُك الفقيرةُ حيث لا يخفى عليك بكائي ، ولا يستتر عنك سوء حالي ، قد هتكت الحاجة حجابي ، وكشفت الفاقة[1] نقابي ، فكشفت وجهًا رقيقًا عند الذل وذليلاً عند المسألة ، طال وعزتك ما حجبه عنه ماء الغناء ، وصانه ماء الحياء ، قد جمدت عنِّي كف المرزُوقين ، وضاقت بيَ صدُور المخلوقين ، فمن حرَمني إلَّاهُ ، ومنْ وصلني وكلته إلى مكافأتك ورحمتك ، وأنت أرحم الراحمين ، قال : فدنوت منها فبررتُها ثمَ قلتُ لها : من أنت ؟ وممن أنت ؟ فقالت : إليك عني من قل مالهُ وذهبَ رجالُه كيفَ يكونُ حالهُ ثم أنشأت تقول :

بعضُ بنات الرجال أبرزهَا ... الدَّهْرُ لما قد ترى وأحوجَها
أبرزَها من جليلِ نعمتها ... فابتزَّها ملكها وأخرجها
وطالما كانتْ العيونُ إذا ... ما خرجَتْ تستشفُ هودَجهَا[2]
إنْ كانَ قد ساءها وأحزَ ... نَها فطالَما سرَّها وأبهَجها
الحمد لله ربَّ معسرةٍ ... قد ضمنَ الله أن يفرِّجَهَا

قال : فسألت عنها ، فأخبرت أنها من ولدِ الحسينِ بن عليٍّ رضوان الله عليهم أجمعين .

موعد بالإشارة ..

بلغنا أن كثير عزة لقي جميلاً فقال له : متى عهدك ببثينة ؟ قال : ما لي بها عهد منذ عام أول ، وهي تغسل ثوبًا بوادي الدوم . فقال له : كثير تحبُّ أن أعهدها لك الليلةَ قال : نعم . فأقبل راجعًا إلى بثينة فقال له أبوها : يا فلان ما ردَّك أما كنت عندنا قبيل ؟ قال : بلى ولكن حضرتني أبيات قلتُها في عزَّة قال : وما هي ؟ قلت :

فقلتُ لها يا عزّ أرسلَ صاحبي ... على بابِ داري والرسولُ موكَّلُ
أما تذكرين العهدَ يومَ لقيتُكمْ ... بأسفلِ وادي الدوم[3] والثوبُ يُغْسَلُ

فقالت بثينة : اخسأ . فقال أبوها : ما هاجك يا بثينة ؟ قالت : كلبٌ لا يزال يأتينا من وراءِ الجبل بالليل ، وأنصاف النهار ، قال : فرجع إليه : فقال قد وعدتُكَ من وراء هذا الجبل بالليل ، وأنصافِ النهار ، فالقَها إذا شئت .

قال مؤلف الكتاب : قلتُ : ومن هذا الفنِّ حُكي أنَّ أعرابيًا بعثَ غلامًا لهُ إلى امرأةٍ يواعِدُها موضعا يأتيها فيه ، فذهب الغلامُ ، وأبلغها الرسالة ، فكرهت المرأة ، أن تقرَّ للغلام بما بينهما ، فقالت : والله لئن أخذتُك لأعركن أذنك عركة ، تبكي منها ، وتستند إلى تلك الشجرة ، ويغشى عليك وقت العتمة ، فلم يعرف الغلام معنى هذا الكلام ، وانصرف إلى صاحبه وحكى له ، فعرف أنها واعدته تحت الشجرة ، وقت العتمة .

قال الصولي : سمعت المبرد يقول : كنا عند المازني ، فجاءته أعرابية كانت تغشاه ، ويهب لها ، فقالت : أنعم الله صاحبك أبا عثمان هل بالرمال أوشال[4] ؟ فقال لها : يجيء الله بها ، فقالت :

---

(١) الفاقة : شدة الفقر . (٢) الهودج : هو ما تحمل فيه المرأة فوق البعير .
(٣) وادي الدوم : اسم مكان . (٤) الأوشال : مياه تجتمع من أعراض الجبال فتجتمع ثم تساق إلى المزارع .

تعلمنَ أنّي والـذي حـجّ القـومْ لـوْلاَ خيـالٌ[1] طـارقٌ عند النومْ
والشوقُ من ذكراكَ ما جئتُ اليوم

فقال المازني: قاتلها الله، ما أفطنها! جاءتني مستحسنة، فلما رأت أن لا شيء، جعلت المجيء زيارة تمنُّ علينا بها. قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: ما ورد عليَّ مثل امرأة تقدمت، فقالت: أيها القاضي ابن عمي زوجني من هذا. ولم أعلم فلما علمت رددت، فقلت لها: ومتى رددت؟ قالت: وقت ما علمت، قلت: ومتى علمت؟ قالت: وقت ما رددت. فما رأيتُ مثلها. حدثنا علي أبي القاسم القاضي قال: سمعت أبي يقول كان موسى بن إسحق لا يُرى متبسماً قط، فقالت له امرأة: أيها القاضي لا يحل أن تحكم بين اثنين وأنت غضبان. قال: ولِمَ؟ قالت: لأن النبي ﷺ قال: «لا يقضي القاضي بينَ اثنين وهو غضبان»[2] فتبسم. قال سليمان بن عبد الملك يوماً والشعراء عنده: قد قلت نصف بيت فأجيزوه قال: يروح إذ راحوا ويغدو إذا غدوا، فلم يصنعوا شيئاً ما، فدخل إلى جارية له فأخبرها فقالت: كيف قلت: فأنشدها، فقالت:

وعما قليل لا يروح ولا يغدو.

اشتراها لبلاغتها ..

قال الأصمعي: كنت عند أمير المؤمنين الرشيد إذ دخل رجل ومعه جارية، للبيع، فتأملها الرشيد، ثم قال: خذ جاريتك، فلو لا كلف في وجهها، وخنس في أنفها لاشتريتها، فانطلق بها فلما بلغت الستر قالت: يا أمير المؤمنين: اردد إليك حتى أنشدك بيتين فردّها فأنشأت تقول:

ما سلم الظبيُ على حُسْنَه كلا ولا البدْر الذي يوصف
الظبي فيه خَنَسٌ بيّنٌ والبدر فيه كلف يعرف

فأعجبه بلاغتها، واشتراها، وقرب منزلها، وكانت أحظى جواريه عنده.

من نوادر الجاحظ ..

قال الجاحظ: رأيت بالعسكر امرأة طويلة القامة جدا، ونحن على طعام فأردتُ أن أمازحها فقلتُ: انزلي حتى تأكلي معنا. قالت: وأنت فاصعد حتى تَرَى الدُّنيَا. قال الجاحظ أيضا: رأيت امرأة جميلة فقلت: ما اسمك؟ قالت: مكة فقلت أتأذنين لي أن أقبل الحجر الأسود منك، قالت: لا. إلاّ بالزّاد والراحلة. قال مؤلف الكتاب: وقد رُويتْ لنا هذه الحكاية على وجه آخر، قال الجاحظ: رأيتُ جاريةً بسوق النخاسين ببغداد يناديَ عليها وعلى خدّها خال فدعوتُ بها، وجعلت أقبلها فقلت لها: ما اسمك؟ قالت: مكة، فقلت: الله أكبر قُربَ الحج أتأذنين أقبل الحجر الأسود، قالت له: إليك عني. ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧].

حدود الله ..

قال الأصمعي: أتى المنصور بسارق، فأمر بقطع يده، فأنشأ يقول:

يـدي يـا أمـير المؤمـنين أعيذُهـا بحقويْك من عـار عليهَا يشينُهـا
فـلا خيرَ في الدنيَا ولا في نعيمها إذ مـا شـمالٍ فارقتْهَـا يمينُهـا

---

[1] الخيال: خيال المحبوب في النوم. [2] الحديث رواه الترمذي وحسنه. [3] البدر: القمر.

فقال يا غلام : اقطع. هذا حد من حدود الله ، وحق من حقوقه ، لا سبيل إلى تعطيله ، قالت أم الغلام : واحدي [١] وكادي [٢] ، وكاسبي. قال: بئس الواحد واحدك ، وبئس الكادُّ كادكِ، وبئس الكاسِبُ كاسبك، يا غلام اقطع. فقالت أم السارق: يا أمير المؤمنين . أما لك ذنوب تستغفر الله منها. قال: بلى. قالت : هبه لي واجعل هذا من ذنوبك التي تستغفر الله منها. وقد رويت لنا هذه الحكاية عن عبد الملك بن مروان فإنه أتيَ بسارق وثَبَتَتْ عليه البيِّنة فأنشدَ هذا الشعر ، وقالتْ أمُّهُ هذا الكلامْ . فقال : خلّوا سبيلَهُ .

ابن الأعرابي ..

أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي :

وسائلةٌ عن ركْبِ حَسَّانَ كلِّهِمْ ليبْلُغَ حَسَّانُ بنُ زيدٍ سُؤالَها

قال : وهي تحبُّ حسّان فكرهتْ أن تخصّه فسألتْ عن الركْبِ جميعًا حتى صارت إليْهِ .

أم الرشيد ..

قال هارون بن عبد الملك بن المأمون: لما عرضت الخيزران على المهدي قال لها: والله ياجارية إنك لعلى غاية المتمني ولكنك خمشة الساقين فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنك أحوج ما يكون إليهما لا تراهما، فقال: اشتروها فحظيت عنده فأولدها موسى وهارون . وحكى أبو بكر الصولي : أن المهدي اشترى جارية ، فاشتد شغفه بها ، وكانت به أشغف ، وكانت تتجافاه كثيرًا فدس إليها من عرف ما في نفسها فقالت : أخاف أن يملني ويدعني ، فأموت ، فأنا أمنع نفسي ببعض لذتها منه لأعيش ، فقال المهدي :

ظفرتُ بالقلبِ منّي غادةٌ [٣] مثلَ الهلالِ
كلما صاح لها ودي جاءت باعتلالِ
لا تحب الهجرَ مني والتنائي عن وصالي
بل لمأمنها علي حبي لها خوف الملالِ

قال أبو نواس [٤]: استقبلتني امرأة فأسفرت عن وجهها فكانت على غاية الحسن فقالت : ما اسمك؟ قلت : وجهك . فقالت : أنت الحسن إذن .

عشق وحيل ..

حدثنا رجل من تغلب يدعى زيد بن عمر قال : كان فينا رجل له ابنة شابة وكان له ابن أخ يهواها وتهواه ، فمكثا كذلك دهرا ، ثم إن الجارية خطبها بعض الأشراف ، فأرغب في المهر فأنعم أبو الجارية واجتمع القوم للخطبة فقالت الجارية لأمها : يا أماه ما يمنع أن يزوجني من ابن عمي ؟ قالت : أمر كان مقضيا . قالت : ولله ما أحْسَن، ربّاهُ صغيرًا ، ثم يدعه كبيرًا ، ثم قالت لها : يا أماه إني والله حامل [٥] فاكتمي إن شئت أو نوحي فأرسلت الأم إلى الأب فأخبرته الخبر فقال : اكتمي هذا الأمر ثم خرج إلى القوْم فقال : يا هؤلاء ، إنني كنت أجبتكم وأنه قد حدث أمرٌ رَجَوْتُ أن يكون فيه الأجر وأنا أشهدكم أني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان فلما انقضى ذلك، قال الشيخ:

---

(١) واحدي : ليس لي ولد غيره . (٢) كادي وكاسبي : أي الذي يكد ويكسب من أجل معاشي. (٣) الغادة : هي الجميلة الحسنة .
(٤) أبو نواس : هو شاعر ماجن أكثر شعره في الغزل والخمر قيل إنه تاب في آخر حياته وعاد إلى الاستقامة .
(٥) وهذه هي بداية الحيلة الناجحة .

أدخلوها عليه فقالت الجارية : هي بالرحمن كافرة إن دخل عليها سنة أو تبين حملها قال فما دخل عليها إلا بعد حول فعلم أبوها أنها احتالت عليه .

الفتى للفتاة ..

قال العتبي : رأيت امرأة أعجبتني صورتها فقلت : ألك بعل؟ قالت : لا . قلت : أفترغبين في التزويج؟ قالت: نعم ولكن لي خصلة أظنك لا ترضاها . قلت : وما هي ؟ قالت : بياض برأسي . قال : فثنيت عنان فرسي، وسرت قليلاً فنادتني : أقسمت عليك لتقفن ، ثم أتت موضعً خاليًا فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السود ، فقالت : والله ما بلغت العشرين ولكنني عرفتك أنا نكره منك ما تكره منا قال : فخجلت وسرت وأنا أقول :

فجعلت أطلبُ وصْلَهَا بتملقٍ والشيب يغمزهـا بـأن لا تفعلـي

رد الجميل ..

حدثنا العتبي قال : قال رجل من ولد علي -عليه السلام- لامرأة له : أمرك بيدك[1] ، ثم ندم، فقالت: أما والله لقد كان بيدك عشرين سنة فأحسنت حفظه وصنته فلن أضيعهُ إذ كان بيدي ساعة من نهار وقد رددته إليك فأعجب بذلك من قولها وأمسكها . حدثنا محمد بن عفيفي قال : أراد شعيب أن يتزوج امرأة فقال لها : إني سيئ الخلق فقالت : أسوأ منك خلقا من أحوجك أن تكون سيئًا . قال : أنت امرأتي .

المرأة تجيب ..

قال سمعت الفضل بن إبراهيم يقول: مر شناعر بنسوة فأعجبه شأنهن فجعل يقول :

إن النسـاء شياطين خلقن لنـا نعـوذ بـالله مـن شـر الشياطين

قال : فأجابتهُ واحدة منهن وجعلت تقول :

إن النسـاء ريـاحين خلقن لكـم وكلكـم يشتهي شم الريـاحين

قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي : كان لرجل من الأعراب ابنة وكان له غلام فراودها عن نفسها فوعدته الليل وأعدت له شفرة وحدتها فلما جاءها للميعاد فجبته[2] فخرج يعوي فسمعه مولاه فقال: من فعل بك ؟ قال : ابنتك ، فدخل عليها ، فقال : ما صنعتِ بهذا الغلام؟ فقالت : يا أبت إن العبد من نوكه[3] يشرب من سقاء لم يوكه ، ومن ورد غير مائه صدر بمثل دائه ، فقال لها: لاشلت يمينك! .

قصة طريفة ..

قال الشرقي بن قطامي : كان شن من دهاة العرب فقال : والله لأطوفنَّ حتى أجد امرأة مثلي فأتزوجها، فسار حتى لقي رجلا يريد قرية يريدها شن فصحبه ، فلما انطلقا قال له شن : أتحملني أم أحملك؟ فقال الرجل : يا جاهل كيف يحمل الراكب الراكب؟ فسارا حتى رأيا زرعا قد استحصد ، فقال شن : أترى هذا الزرع قد أكل أم لا؟ فقال : يا جاهل أما تراه قائما . فمر بجنازة فقال : أترى صاحبها حيًا أم ميتا؟ فقال : ما رأيت أجهل منك . أتراهم حملوه إلى القبور حيًا ، ثم سار به الرجل إلى منزله وكان له ابنة تسمى طبقة، فقصَّ عليها القصة ، فقالت: أمَّا قوله تحملني أم أحملك ، فأراد به تحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، وأما قوله أترى هذا الزرع قد أكل أم لا ، فأراد به باعَه أهله ، فأكلوا ثمنه أم لا ، وأما قوله في الميت فإنه

(١) أي أن الأمر في الطلاق وعدمه تحت تصرفك . (٢) أي قطعته واستأصلته بالسكين . (٣) نوكه : حمقه .

أراد أترك عقبا[١] يحيا به ذكره أم لا ، فخرج الرجل فحادثه[٢] ، ثم أخبره بقول ابنته ، فخطبها إليه ، فزوجه إياها ، فحملها إلى أهله ، فلما عرفوا عقلها ودهاءها ، قالوا : وافق شن طبقة .

حدثنا أبو محمد بن داسته أن رجلا اعترض جارية في الطريق ، فقال لها : أبيدك صنعة ؟ قالت : ولكن برجلي ، تعنى أنها رقّاصَةٌ .

قال المحسن : وحدثني أنه سمع امرأة تخاصمت[٣] مع زوجها ، فقالت : طلقني ، فقال لها : أنت حُبْلى[٤] حتى إذ ولدت طلقتك قالت : ما عليك منه ، قال : فأيش تعملين به ، قالت : أقعده على باب الجنة فقاعي ، فقلتُ لعجوز كانت تتوسط بينهما : أيش معنى هذا؟ قالت : تريد أن تشرب ماء السداب ، وتتحمل سدابا عليه أدوية لتسقط فيلحق الصبي بالجنة فيكون كالفقاعي[٥] .

روى أبو بكر بن الأزهر ، قال : حدثني بعض إخواني أن رجلاً كان بالأهواز ، وكان له ثروة ونعمة وأهل ، فسار إلى البصرة مرة ، فتزوج بها ، فكان يأتي تلك المرأة في السنة مرتين ، وكان للبصرية عم يكاتبه فوقع كتاب منه في يد الأهوازية ، فعلمت الحال ، فكتبت إليه من حميّة البصري بأن امرأتك قد ماتت فالحق ، فقرأه ، ثم أخذ في إصلاح أمره ، ليخرج فقالت الأهوازية : إني أراك مشغول القلب وأظن أن لك بالبصرة امرأة ، فقال : معاذ الله . فقالت : لا أقنع بقولك دون يمينك فتحلف بطلاق كل امرأة لك غائبة أو حاضرة ، فحلف لها ظناً أن تلك قد ماتت . فقالت له : لا حاجة لك في الخروج ، فإن تلك بانت[٦] وهي في الحياة .

قال علي بن الجهم[٧] : اشتريت جارية ، فقلت لها : ما أحسبك إلاّ بكرًا فقالت : يا سيدي كثرت الفتوحُ في زمان الواثق ، وقلتُ لها ليلة : كم بيننا وبين الصبح؟ قالت : عناق مشتاق . ونظرتُ إلى الشمس كاسفة فقالت : احتشمت محاسني فانتقبت[٨] . وقلت لها ليلة نجعل مجلسنا الليل في القمر. فقالت : ما أولئك بالجمع بين الضرائر . وكانت تكره الحلي وتقول: تُستر المحاسن كما تغطي القبائح .

عرض على المتوكل جارية ، فقال لها : أبكر أنت أم أيش؟ فقالت : أم أيش يا أمير المؤمنين. فضحك وابتاعها .

وضع المعتضد رأسه في حجر بعض جواريه ، فجعلت تحت رأسه مخدة ونهضتْ ، فلما انتبه قال: لم فعلت ذاك؟ وأكبره، فقالت: كذا علمنا أن لا يقعد قاعد بحضرة من ينام ولا ينام بحضرة قاعد فاستحسن المعتضد ذلك منها واستعقلها .

بلغنا عن غريب ، وكان يقال إنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكي ، وكانت مغنية ذكية شاعرة، اشتراها المعتصم بمائة ألف ، وأعتقها فكتبت إلى بعض الناس: أردت ولولا ولعلي ، فكتبت تحت أردت ليت ، وتحت لولا ماذا ، وتحت لعلي أرجو فمضت إليه .

---

(١) العقب : الولد والذرّية . (٢) حادثه : كلمه وقص عليه . (٣) تخاصمت : أي تشاجرت .

(٤) حُبلى : أي حامل .

(٥) الفقاعي : شيء شراب يتخذ من الشعير يجمر حتى تعلوه فقاعاته . (٦) بانت : أي طُلّقتْ طلاقًا بائنًا غير رجعي .

(٧) هو علي بن الجهم ، الشاعر الأديب مادح الخليفة المتوكل ، له شعر رقيق ، وقد سكن بغداد ، ثم غضب المتوكل عليه فنفاه إلى خراسان ، فأقام فيها مدة ، ثم ارتحل إلى حلب ، ومات وهو خارج منها سنة ٢٤٩ هـ .

(٨) النقاب : معروف وهو غطاء الوجه .

قال أبو الحسن بن هلال الصابي: حدثنا أبو محمد الحارثي قال: كان عندنا بواسط رجل، موسر يقال له أبو محمد وكانت عنده مغنية تغني: *خليلي هيا نصطبح بسواد* فقال لها: بالله غني لي: *خليلي هيا نصطبح بسهاد*، فقالت له: إذا عزمت فوحدك.

قال أبو حنيفة: خدعتني امرأة أشارتْ إلى كيس مطروح في الطريق، فتوهمت أنه لها فحملته إليها، فقالت: احتفظ به حتى يجيء صاحبه.

لما قتل كسرى وزيره بزرجمهر، أراد أن يتزوج ابنته، فقالت للثقات: لو كان ملككم حازما لما دخل بين شعاره ودثار مأسورة. قال رجل لجارية أراد شراءها، لا يريبك هذا الشيب الذي ترينه فإن عندي قرة عين. قالت الجارية: يسرك أن عندك عجوز متغلمة.

قال ابن المبارك: خرج رجل على سبيل الفرجة، فقعد على الجسر فأقبلت امرأة من جانب الرصافة متوجهة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب فقال لها: رحم الله علي بن الجهم، فقالت المرأة في الحال: رحم الله أبا العلاء المعري، وما وقفا ومرًّا مشرقا ومغربا فتبعت المرأة وقلت لها: إن لم تقولي ما قلتما وإلا فضحتك، وتعلقت بك، فقالت: قال لي الشاب: رحم الله علي بن الجهم، أراد به قوله:

عيونُ المَهَا بينَ الرصافة والجسر ... جَلَبْنَ الهوَى من حيثُ أدرى ولا أدرى

وأردت على المعري قوله:

فيا دارها بالحزن مزارُها ... قريبٌ ولكنْ دونَ ذلكَ أهوال

قال ابن الزبير[1] لامرأة من الخوارج: أخرجي المال من تحت استك، قال: فالتفتت إلى من بحضرتها وقالت: أنشدكم الله أهذا من كلام الخلفاء؟، قالوا: لا. قالت لابن الزبير: كيف ترى هذا الخلع الخفي؟!.

قال المتنبي: قال لي رجل من الهاشميين: كتبت إلى امرأتي وأنا في السفر كتابا تمثلت فيه ببيت لك:

بِمَ التعلّل لا أهل ولا وطن ... ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فكتبت إلي والله ما أنت كما ذكرته في هذا البيت بل أنت كما قال الشاعر:

سهرتُ بعدَ رحيلي وحشة لكم ... ثم استمر مريري وارعوى الوسن

قال مؤلفه: نقلت من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال: كان بعض قضاة الحنفية من مذهبه، أنه إذا ارتاب بالشهود فرقهم، فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء، فأراد أن يفرق بين المرأتين على عادته فقالت إحداهما: أخطأت لأن الله تعالى قال: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فإذا فرقت زال المعنى الذي قصده الشرع فأمسك.

جارية وعالم..

ذكر أن رجلا دعا المبرد بالبصرة مع جماعة، فغنت جارية من وراء الستار، وأنشأت تقول:

وقالوا لها هذا حبيبك معرضاً ... فقالتْ ألا إعراضه أيسر الخطب

فما هي إلا نظرة بتبسُّم ... فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

---

[1] هو عبد الله بن الزبير بن أسماء بنت أبي بكر الصديق.

فطرب كل من حضر إلا المبرد، فقال له صاحب المجلس: كنت أحق الناس بالطرب، فقالت الجارية: دعه يا مولاي فإنه سمعني أقول (هذا حبيبك معرضا) فظنني لحنت[١]، ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] قال: فطرب المبرد إلى أن شق ثوبه.

جواب قوي..

قال بعضهم: حضرتُ رفيقتين، وكانت إحداهما تعبث بكل من تقدر عليه، والأخرى ساكتة، فقلت للساكتة: رفيقتك هذه ما تستقر مع واحد. فقالت: نعم. وهي تقول بالسنّة والجماعة، وأنا أقول بالثبات والقدر.

من ذكاء النساء..

غضب المأمون يوما على عبد الله بن طاهر فأراد طاهر أن يقصده، فورد عليه كتاب من صديق له مقصور على السلام، وفي حاشيته[٢] يا موسى فجعل يتأمله ولا يعلم معنى ذلك، فقالت له جارية وكانت فطنة أراد: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]، فتيقظ عن قصد المأمون.

عُرِضَ على رجل جاريتان بكر وثيب، فمال إلى البكر، فقالت الثيب: لِمَ رغبت فيها وما بيني وبينها إلا يوم؟ فقالت البكر: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فأعجبتاه فاشتراهما.

قال: خاصمت امرأة زوجها في تضييقه عليها وعلى نفسه، فقالت: والله ما يقيم الفار في بيتك إلا لحب الوطن، وإلاّ فهو يسترزقُ من بيوت الجيران[٣].

قال الجاحظ: قلت لجارية ببغداد: أبكر أنت؟ فقالت: نعوذ بالله من الكساد يعني الثُّيُوبَة.

جاءت دلالة[٤] إلى قوم فقالت: عندي زوج يكتُب بالحديد، ويختم بالزجاج فرضوا به، وزوجوه فإذا هو حجّام. قالت دلالة لرجل: عندي امرأة كأنها طاقة نرجس، فتزوجها فإذا هي عجوز قبيحة، فقال: كذبت عليّ وغششتني، فقالت: لا والله ما فعلتُ وإنّما شبهتُها بطاقة نرجس لأن شعرها أبيض، ووجهُهَا أصفر، وساقها أخضر. أعطت امرأة جارتها درهما وقالت: اشترى هريسةً، فرجعت، فقالت: يا سيدتي سقط الدرهم مني فضاع، فقالت: يا فاعلة تكلميني بفمك كله وتقولين ذهب الدرهم، فأمسكت الجارية نصف فمها بيدها وقالت بالنصف الآخر: وانكسرت يا سيدتي الزبدِيَة. كان رجل يقف تحت روشن[٥] امرأة وهي تكره وقوفه قالت: فجاء في أحد الأيام وعليه قميص دبيقي[٦] قد غسله عند المطري، وسقاه نشاء، ونخته قميص رومي، قالت: وكان للناس أترج سوسي في الأترجة[٧] ثلاثون رطلا، فأخرجتْ بطيخة، وأشارت إليه، تعال، خذ هذه، فجاء، فوقف تحت الروشن، فقالت: أمسك حِجْرك صلبًا حتى لا يقع فتنكسر، فلزم حجره فأخرجتِ البطيخة كأنها ترمي بها وأخذت أترجة، ورمت بها في حجره فلم يردها شيء سوى الأرض، فجمعه وهرب مستحيًا وما عاد بعدها.

---

(١) اللحن: الخطأ في الكلام من ناحية الإعراب. (٢) حاشية الشيء: آخره. (٣) فيها دلالة على شدة بخل الرجل.
(٤) الدلالة: هي ما تقوم مقام الخاطبة اليوم. (٥) الروشن: الشرفة والكوّة. (٦) نسبة إلى دبيق قرية بمصر
(٧) ثمر كالليمون الكبار.

بكت عجوز على ميّت، فقيل لها : بماذا استحق هذا منك ؟ فقالت : جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة ، ومات وما فينا إلا من تجب عليه الزكاة .

كانت جارية لبعض الأكابر وكانت عفيفة إلا أنها كانت تفحش في مجونها ، فقال لها مولاها: أقصري من هذا الفحش بمحضر من الرجال ، فقالت : أفحش منه عندهم أخذك دراهمهم بسببي ، وقال لها بعض الحاضرين وكان شيخا :

يا أحسن الناس وجها ... منّي عليّ بقبلة

فأجابت مسرعة :

يا أسمج[1] الناس وجها ... وأسخن[2] الناس مقلة[3]
إذا سمحت لما رمته ... فإني بذلة[4]
وكيف يوجد بين الجـ ... ـمار والخشف وصلة[5]
فلا تطف بالغواني[6] ... فما يُردنك خملة
وكل شيخ تصابى ... على الصبا فأبلَه[7]

قال رجل لجارية أراد شراءها ، فسألها عن ثمنها ، فقال : يا جارية ، كم دفعوا فيك؟ قالت: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر : ٣١] .

شدة قلب ..

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الكاتب . قال : حدثني بعض الأشراف بالكوفة أنه كان بها رجل حسنيٌّ يُعرف بالأدرَع شديدُ القلب جدًا ، قال : وكان في خرائب الكوفة شيء يظهر للمجتازين[8] فيه نار يطول تارة ، ويقصر تارة أخرى ، يقولون : هو غولة يفزع منه الناس ، فخرج الأدرع ليلة راكبا في بعض شأنه ، قال لي الأدرعُ ، فاعترض لي السوادُ والنار ، فطال الشخص في وجهي فأنكرته ثم رجعت إلى نفسي فقلت أما شيطان وغولة فَهَوَسٌ[9] ، وليس إلاّ إنسانًا فذكرتُ الله تعالى وصليتُ على نبيه ﷺ ، وجمعتُ عنان الفرس ، وقرعته بالمقرعة وطرحته على الشخص ، فازداد طوله وعظُم الضوءُ فيه فنفر الفرس ، فقرعته[10] ، فطرح نفسه عليه ، فقصر الشخصُ حتى عاد على قدر قامة ، فلما كاد الفرس يخالطه ولّى هاربًا فحركتُ خلفه ، فانتهى إلى خربة ، فدخلها ، فدخلت خلفه ، فإذا هو قد نزل سردابا فيها فنزلت عن فرسي وشددتُه، ونزلت وسيفي مجرّد ، فحين حصلت في السرداب أحسست بحركة الشخص يريد الفرار مني، فطرحت نفسي عليه، فوقعت يدي على بدن إنسان فقبضتُ عليه، فأخرجته، فإذا هي جارية سوداء فقلت: أي شيء أنت وإلا قتلتك الساعة ، قالت: قبل كل شيء أنت إنسي أم جني؟ فما رأيت أقوى قلبا منك قط، فقلت: أي شيء أنت؟ قالت : أمةٌ[11] لآل فلان قوم بالكوفة أبقتُ منهم سنين ، فتغربت في هذه الخربة، فولّد لي الفكر أن أحتال بهذه الحيلة ، وأوهم الناس أني غولة؛ حتى لا يقرب الموضع أحد وأتعرض

---

(١) الأسمج : القبيح المنظر . (٢) السخن : الضعف في العين ، وقلة الإبصار . (٣) مقلة العين : معروفة .
(٤) بذلة : أي مبتذلة . (٥) كيف يوجد بين الشيء الطيب اللين والشيء الشخين حتّ ووصال؟
(٦) الغواني : جمع غانية : وهي المرأة التي استغنت بجمالها عن الزينة . (٧) أي كل شيخ يطلب الصبا ، فهو أبله ناقص العقل لأن هذا محال .
(٨) المجتازون : هم المارة في الطرق . (٩) الهوس : الجنون . (١٠) قرعته : أي ضربته . (١١) أمة : أي امرأة مملوكة .

ليلا للأحداث ، وربما رمى أحدهم منديلا أو إزَارًا ، فآخذه ، فأبيعه نهارًا وأقتات به أياماً ، قلت: فما هذا الشخص الذي يطول ويقصر والنار التي تظهر ، قالت: كساء معي طويل أسود فأخرجته من السرداب وقضبان مهذبة أدخل بعضها في بعض في الكساء وأرفعه فيطول ، فإذا أردت تقصيره رفعت من الأنابيب واحدة واحدة ، فيقصر ، والنار فتيلة شمع معي وفي يدى لا أخرج إلاّ رأسها مقدار ما يضيء الكساء، وأرتني الشمعة والكساء والأنابيب ، ثم قالت : قد جاوزتُ هذه الحيلة نيّفا وعشرين سنة ، واعترضتُ فرسان الكوفة وشجعانها ، وكل أحد ، فما أقدم عليَّ غيرك ولا رأيتُ أشد قلبا منك ، فحملها إلى درع الكوفة فردها إلى مواليها[١] فكانت تحدث بهذا الحديث ، ولم ير بعد ذلك أثر غولة ، فعُلِم أن الحديث حق.

قال أبو حامد الخراساني القاضي : بني ابن عبد السلام الهاشمي بالبصرة دارًا كبيرة ، ولم يتم له تربيعها إلا بسكن لطيف كان لعجوز في جواره امتنعت من بيعه فبذل لها أضعاف ثمنه فأقامت على الامتناع ، فشكا إليَّ ذلك ، فقلت : هذا أيسر الأمر أن أوجب عليها بيْعهُ فأضطرها إلى أن تسألك وزن الثمن ثمَّ استدعيتها ، فقلت يا هذا إن قيمة دارك دون ما دفع لك وقدْ ضاعفها أضعافها فإن لم تقبليه حجزتُ عليك لأن هذا تضييع منكِ فقالت : جُعِلتُ فداك، فهلاّ كان هذا الحجر منك على من يزن فيما يساوي درهما عشرة وتركت منزلي فما أختار بيعه فانقطعت في يدها[٢].

قال : نزل رجل من أهل الحجاز مللاً[٣] ، فسأل : أي ماء هذا؟ فقيل له : ملل. وإذ بين يديه صبية سوداء تلفظ العجم . تريد النوى ، فقال : قاتل الله الذي يقول :

أخـذتُ على ماء الشعيـرة والهـوَى ... على مللٍ يا لهـفَ قلبي علىَ ملـلْ

أي بأبي إنه والله كان له بها شجن لم يكن لك .

قال المبرد : كان يسار الكواعب عبدًا لأناسٍ من بني الحرث بن سعد بن قضاعة ، وكان راعيا في إبلهم، فعبث ببعض نسائهم ، وكان أسود فخدعته امرأة منهم وأرته أنها قد قبلته ، وواعدته ليوم ، فعلم به بعض أصحابه من الرعاة ، فنهاه عنها ، وقال له : يا يسار كل من لحم الجوار واشرب من لبن العشار ودع عنك بنات الأحرار ، فقال له يسار : إني إذا جئتها ذحكت أراد ضحكت ولاعبتني ، فأتاها في اليوم الذي واعدته فيه فقالت : مكانك حتى أطَيّبك[٤] فعمدت إليه ، فجدعت[٥] أنفه وأذنه ، فرجع إلى صاحبه الذي كان نهاه ، فأنكره فقال : من أين أنت ويلك؟ قال : يسار . قال : فيسار كان لا أنف له ولا أذنين؟ قال : أفما ترى ويحك وبيض العينين ، فذهبت مثلا وسمى يسار الكواكب . ممن ذكره جرير حين تزوج الفرزدق إحدى بنات نساء شيبان ، وزاد في مهرها فعيره جرير بذلك فقال :

وإنـي لأخشى إن خطبتُ إليهمُـو ... عليكَ الـذي لاقَـى يسَـارِ الكواعـب

قال ابن قتيبة : جاءتني جارية بهدية ، فقلت لها : قد علم مولاك أني لا أقبل الهدية . قالت : ولم؟ قلت: أخشى أن يَسْتمِدَّ مني علما لأجل هديته ، فقالت : استمد الناس من رسول الله ﷺ أكثر وقد كان يقبل الهدية ، فقبلتها ، فكانت الجارية أفقه مني .

---

(١) موالبها : أسيادها الذين هربت منهم . (٢) انقطعت في يدها : أي انقطعت حُجَّتي .
(٣) ملل : اسم مكان في الحجاز . (٤) أطيبك : أضع لك الطيب على جسدك . (٥) جدعت : قطعت أنفه .

حب النساء ..

قال : وبلغنا أنَّ رجلا ابتلى بمحبة امرأة ، فأتى أبا حنيفة ، فأخبره أنَّ مالهُ قليلٌ ، وأنهم إن علموا بذلك لم يزوجوه ، فقال له أبو حنيفة: أتبيعني إحليلك[١] باثني عشر ألف درهم؟ قال : لا . قال : فأخبر القوم أني أعرفك فمضى فخطبها ، فقالوا من يعرفك؟ فقال : أبو حنيفة ، فسألوا أبا حنيفة عنه، فقال : ما أعرفه إلا أنه حضر عندي يوماً فساوم في سلعة له باثني عشر ألف درهم فلم يبع ، فقالوا هذا يدل على أنه ذو مال، فزوجوه ، فلما تيقنت المرأة حالهُ قالت: لا يضيق صدرك وهذا مالي بحكمك ، ثم مضت إلى أبي حنيفة في حليها وحللها ، فقالت : فتوى، فدخلت فأسفرت[٢] عن وجهها فقال : تستَّري ، فقالت : ما يمكن، قد وقعتُ في أمر لا يخلصني منه إلا أنت . أنا بنت هذا البقال الذي على رأسي الدرب ، وقد بلغت عمرًا واحتجتُ إلى الزوج ، وهو لا يزوجني ، ويقول لمن يخطبني ابنتي عوراء قرعاء شلاء ، ثم حسرت عن وجهها ورأسها ويدها ، ويقول بنتي زمِنة ، وكشفت عن ساقيها وأريدُ أن تدبرني، فقال : ترضين أن تكوني لي زوجة فقبَّلتْ قدميْه وقالت: من لي بغلامك، فقال : امضي في دعة الله ، فخرجت ، فأحضر البقال ودفع إليه خمسين دينارًا وقال : زوجني ابنتك ، فكتب كتاباً بمائة دينار فقال البقال : يا سيدى استر ما ستر الله، أنا لي بنت ولا أزوجك . قال : دع عنك رضيت بابنتك القرعاء ، الشلاء ، الزمنة فزوجه على المائة والخمسين ومضى فحدث زوجته ، فقالت: والله لا كان إلا أن يكون هذا إلا على يد أبي حنيفة فلما كان عشيّة تلك الليلة أجلسها أبوها في صندوق وحملها بينه وبين غلامه ، فلما رآها أبو حنيفة قال : ما هذا؟ فقال البقال أشهد على طلاق أمها إن كانت لي بنت غيرها ، فقال أبو حنيفة : هي طالق ثلاثا أعد عليَّ الكتاب وأنت في حل من الخمسين ، وبقى أبو حنيفة متفكرًا شهرا ، ثم جاءت تلك المرأة إليْه ، فقال : ما حملك على ما فعلت؟ فقالت : وأنت ما حملك على أن غررتنا[٤] برجلٍ فقير؟ .

قال أبو الحسن البيبي مؤذن المسترشد بالله قال : حدثني بعض التجار المسافرين قال : كنا نجتمع في بلاد شتى في جامع عمرو بن العاص نتحدث ، فبينما نحن جلوس يوما نتحدث ، وإذا بامرأة بقربنا في أصل سارية ، فقال لها رجل من التجار من البغداديين : ما شأنك؟ فقالت : أنا امرأة وحيدة غاب عني زوجي منذ عشر سنين ولم أسمع له خبراً فقصدت القاضي ليزوجني ، فامتنع وما ترك لي زوجي نفقة ، وأريد رجلا غريبا يشهد لي هو وأصحابه أن زوجي مات أو طلقني لأتزوج أو يقول : أنا زوجها ويطلقني عند القاضي لأصبر مدة العدة ، وأتزوج ، فقال لها الرجل : تعطيني دينارًا حتى أصير بك[٥] إلى القاضي وأذكر له أني زوجك وأطلقك ، فبكت ، وقالت : والله ما أملك غير هذه وأخرجت أربع رباعيات ، فأخذها منها، ومضى معها إلى القاضي وأبطأ علينا[٦] ، فلما كان من الغد لقيناه ، فقلنا: ما أبطأك؟ فقال : دعوني فإني حصلت في أمر ذِكْرُهُ فضيحة ، قلنا أخبرنا : قال : حضرتُ معها إلى القاضي فادّعت عليَّ الزوجيّة والغيْبَة عشر سنين وسألتْ أنْ أخلي سبيلها فصدقتها على ذلك ، فقال لها القاضي : أتبرئينه؟ قالت : لا والله لي عليه صداق ونفقة عشر سنين ، وأنا أحق بذلك ، فقال لي القاضي: أدِّهَا حقها ولك الخيار في طلاقها أو إمساكها ، فورد عليَّ ما بلسني[٧] ، ولم أتجاسر أن أحكي صورتي معها فلا أصدق ، فتقدم القاضي بتسليمي

---

(١) إحليلك : الإحليل : الذكر . (٢) أسفرت : أي كشفت وجهها .

(٣) صنّ : قال صاحب الصحاح : الصنُّ يوم من أيام العجوز ، والصّان ، ذفر الإبط . (٤) غررتنا : أي غششتنا .

(٥) أي أذهب معك . (٦) أبطأ علينا : تأخر . (٧) ما بلسني : أي ما كسرني وأحزنني .

إلى صاحب الشرطة فاستقر الأمر على عشرة دنانير أخذتها مني ، وعَزمتُ للوكلاء وأعوان القاضي الأربع رباعيات التي أعطتني ومثلها من عندي ، فضحكنا منه فخجل وخرج من مصر ، فلم يُعْرف له خبر .

قال : ونقل من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال : حكى لي بعض الأصدقاء أن امرأة جلست على باب دكان بزار أعزب إلى أن أمست فلما أراد غلق الدكان تراءَتْ له، فقال لها : ما هذا المساء، فقالت : والله ما لي مكان أبيت فيه، فقال لها : تمضين معي إلى البيت ؟ فقالت : نعم فمضى بها إلى بيته وعرض عليها التزويج فأجابت فتزوجها وبقيت عنده أيامًا وإذا قد جاء في اليوم الرابع رجل ومعه نسوة ، فطلبوها فأدخلهم ، وأكرمهم ، وقال : من أنتم ؟ فقالوا : أقاربها ابن عم ، وبنات عم ، وقد سررنا بما سمعنا من الوصلة غير أنا نسألك أن تتركها تزورنا لعرس بعض أقاربنا ، فدخل إليها فقالت : لا تجيبهم إلى ذلك واحلف بطلاقي أنك لا خرجت من داري شهرًا ، ليمضي زمن العرس ، فإنه أصلح لي ولك بغير مشاورتهم ، ولا أدري من قد دلهم إليك؟ فخرج ، فحلف كما ذكرت له ، فخرجوا مأيوسين ، وأغلق الباب ، وخرج إلى الدكان وقد علق قلبه بالمرأة ، فخرجت ولم تستصحب من الدار شيئًا ، فجاء فلم يجدها ، فقال قائل : ترى ما الذي قصدت؟ قال أبو الوفاء: لعلها مستحلة به لأجل زوج طلقها ثلاثًا، فليتخوف الإنسان من مثل هذا وليطلع على غوامض حيل الناس[١]

الباب الثاني والثلاثون:
فيما يذكر عن الحيوان البهيم مما يشبه كلام الآدميين

فيه وفيه ..

أخبرنا أبو سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ في أحد جناحيّ الذباب داء، وفي الآخر شفاء، وأنه ليتقي بالذي فيه الداء، فإذا وقع في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم لينزعه»[٢] .

وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «إن رجلاً كان يبيع الخمر في سفينة ، وكان يشوبه بالماء ، وكان معه في السفينة قردٌ ، فأخذ القرد الكيس الذي فيه الدنانير ، فصعد ذروة الدقل ، ففتح الكيس، فجعل يُلقي في البحر دينارًا وفي السفينة دينارًا حتى لم يبق فيه شيء»[٣] .

مقبرة كلب وفىّ ..

قال محمد بن ناصر[٤] : قَدَم رجل على بعض السلاطين، وكان معه عامل أرمينية منصرفًا إلى منزله ،

---

(١) وهذه الحيلة باطلة لأن رسول الإسلام ﷺ : لعن المحلل والمحلل له . وبين أنّ الردَّ إلى الزوج الأول لا يحل ، حتى تذوق المرأة عُسيلة الزوج الثاني ويذوق عُسيلتها ، ويطلقها عن رغبة منه . وما أكثر المحتالين على حدود الله ، ولكن الطامة أنهم لا يعلمون أنهم يرتكبون جرما كبيرًا ومع ذلك هم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة ٤٨، والبخاري في كتاب الطب ٥٨، وفي كتاب بدء الخلق ١٦، ١٧، وأحمد في مسنده جـ٣ ص٢٢٩. وقد ادعى بعض أعداء السنة إنكاره ولكنْ وفّق الله أهل الطب فأثبتوا أن في جناحي الذباب ما أخبر به الصادق الأمين ﷺ

(٣) رواه المتقي الهندي في كنز العمال برقم (٩٥٢٣ - ٩٥٢٦) وعزاه لأبي هريرة . وفي إحدى الروايات . (حتى قسمها)

(٤) هو محمد بن ناصر بن محمد بن علي أبو الفضل السلامي ، ويقال له ابن ناصر : محدث العراق في عصره . نسبته إلى مدينة السلام بغداد ولد فيها وتوفي بها سنة ٥٥٠ هـ "انظر الأعلام للزركلي" .

فمرّ في طريقه بمقبرة ، وإذا قبر عليه قبة مبنيّة مكتُوب عليها «هذا قبر الكلب ، فمن أحب أن يعلم خبره فليمض إلى قرية كذا وكذا فإن فيها من يخبره» ، فسأل الرجل عن القرية ، فدلوه عليها ، فقصدها وسأل أهلها ، فدلوه على شيخ قد جاوز المائة ، فسأله، فقال : كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن ، وكان مشتهرًا بالنزهة والصيد والسفر ، وكان له كلب قد ربّاه لا يفارقه ، فخرج يومًا إلى بعض متنزهاته، وقال لبعض غلمانه : قل للطبّاخ يصلح لنا ثردة[١] لبن ، فقد اشتهيتُها ، فأصلحوها ، ومضى إلى متنزهه ، فوجه الطباخ ، فجاء بلبن وصنع له ثردة عظيمة ، ونسى أن يُغطيها بشيء ، واشتغل بطبخ أخر، فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى[٢] ، فكرع[٣] في ذلك اللبن ، ومجّ في الثردة من سُمّه ، والكلبُ رابض يرى ذلك كله، ولو كان في الأفعى حيلة لدفعها ، وكان هناك جارية طفلة خرساء زمنة ، وقد رأت ما صنع الأفعى، ووافى الملك من الصيد في آخر النهار، فقال : يا غلمان ، أول ما تقدمونَ إليّ الثردة، فلمّا وُضعت بين يديه أومأت الخرساء إليه ، فلم يفهم ما تقوم ، ونبح الكلب وصاح ، فلم يلتفت إليه ، ولجَّ في الصياح ، فلم يعلم مراده ، فأخذ ورمى إليه بما كان يرمي في كل يوم ، فلم يقربه ولجّ في الصياح ، فقال للغلمان : نَحُّوه عنّا[٤] فإنّ له قصةً ، ومدَّ يده إلى اللبن، فلما رآه الكلب يريد أن يأكل ظفر إلى وسط المائدة ، وأدخل فمه في الإناء ، وكرع[٦] من اللبن، فسقط ميتا ، وتناثر لحمه[٧] ، وبقي الملك متعجباً منه ، ومن فعله ، فأومأت[٧] الخرساء إليهم ، ففهموا مرادها بما صنع الكلب ، فقال الملك لندمائه وحاشيته : إن مَنْ فداني بنفسه لحقيق بالمكافأة ، وما يحمله ويدفنه غيري ، فدفنه ، وبنَى عليه قبة ، وكتب عليها ما قرأت.

قصص تدل على الوفاء ..

قال أبو عثمان المدائني : كان في جوارنا رجل يلعبُ بالكلاب ، فأسحر يوماً في حاجة ومعه كلب كان يختص به من كلابه ، فردّه ، فلم يرجع ، فمشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة ، فصادفوه، فقبضوا عليه ، والكلب يراهم ، فخرج الكلب ، وقد لحقته جراحة ، فجاء إلى بيت صاحبه يعوي ، وافتقدت أم الرجل ابنها، فأثبتت أن الجراح التي بالكلب من فعل من قتل ابنها ، وأنه قد تلف ، فأقامت عليه المأتم، فطردت الكلاب عن بابها ، فلزم ذلك الكلب طلب القاتل ، فاجتاز القاتل وهو رابض ، فعرفه ، فنهشه وعلق به ، فاجتهد المجتازون في تخليصه منه ، فلم يمكنهم ، وارتفعت ضجة ، وجاء حارس الدرب ، فقال : إنه لم يعلق هذا الكلب بالرجل إلا وله معه قضية ، ولعله الذي جرحه ، وخرجت أمُّ القتيل ، فرأت الكلب متعلقاً بالرجل ، وسمعت كلام الحارس ، فذكرت بأن هذا الرجل ممن كان يعادي ابنها ، فوقع في نفسها أنه قاتله، فتعلقت به ، وادّعت عليه القتل ، وارتفعا[٨] إلى صاحب الشرطة، فحبسه بعد أن ضُرب ولم يقر ، ولزم الكلب باب الحبس ، فلما كان بعد أيام أُطْلِقَ الرجل ، فلمّا خرج علق به الكلب ، ففُرّق بينهما، وما زال يسعى خلفه ويصيح إلى أن دخل بيته ، فدخل خلفه ، ومعه صاحب الشرطة من حيث لا يعلم، فكبس الدّار[٩] ، فأقبل الكلب بمخاليبه موضع القتيل، فنبش، فوجد الرجل ، فضُرب المتهم فأقرَّ على نفسه وعلى الباقين فقُتل وصُلبوا.

---

(١) ثرد اللبن . كسّر الخبز فجعله في اللبن فصار ثريدًا . وكذلك ثريد اللبن . (٢) الأفعى : هي الحية . (٣) كرع : تناوله بفمه .
(٤) نحُّوه عنا : أي أبعدوه عن مجلسنا . (٥) الغضارة : هو الطين اللازب الأخضر .
(٦) كرع : يقال كرع في الماء ، وكرع في اللبن تناوله بفيه. (٧) أومأت : أشارت (٧) تناثر لحمه : تساقط .
(٨) ارتفعا : أي رفعا أمرهما . (٩) كبس الدار . فتشها .

وحدثنا محمد بن الحسين بن شداد قال : رأيت رجلا له كلب يُقَرّبه ويغطيه بديباج كان عليه ، فسألتُه عن السبب . فقال : كان لي رفيق يُعَاشِرُني ، فخرجنا في سفر وكان في وسطي هميان[١] فيه جملة دنانير ، ومعي متاع كثير ، فنزلنا في موضع ، فعمد إليَّ فأوثقني كِتافًا ، ورمى بي في وادٍ وأخذ ما كان معي ، ومضى ، وقعد هذا الكلب معي ، ثم تركني ومضى ، فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف، فطرحه بين يديّ ، فأكلته، ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء ، فشربت منه ، ولم يزل الكلب معي باقي ليلتي ، ثم نمت ، ففقدته ،فما كان بأسرع أن وافاني ومعه رغيف ، فأكلته ، فلمّا كان في اليوم الثالث غاب عني ، فقلتُ : يمضي ويجيؤني بالرغيف ، فجاء ومعه الرغيف ، فرمى به ، فلم أَسْتَتِمَّ[٢] أكله إلا وابْنى يبكي على رأسي ، وقال : ما تصنع هاهنا؟ وما قصتك؟ ونزل فحَلّ كتافي ، وأخرجني ، فقلت له : من أين علمت بمكاني؟ ومن دَلّكَ عليَّ؟ فقال : كان الكلبُ يأتينا في كل يوم ، فنطرحُ له الرغيف يحمل الرغيف بفمه ولا يذوقه ويغدو[٣] ، فأنكرنا أمره ، فاتبعته حتى وقفتُ عليك ، فهذا خبري وخبر الكلب .

الكلب والخائن !..

قال : كان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم ، فعبث أحدهم بزوجته ، وراسلها وكان للحرث كلب قد ربّاه ، فخرج الحرث في بعض متنزهاته ، وتخلّف عنه ذلك الرجل ، وجاء إلى زوجته، فأقام عندها، فلمّا جامعها ، وثب الكلب عليهما فقتلهما ، فلمّا رجع الحارث نظر إليهما ، فعرف القصة ، وترك من كان يعاشره ، واتخذ الكلب نديما[٤] ، فتحدث به العرب ، فأنشأ يقول :

فَلِلْكلبُ خيْرٌ من خليل يَخُونني ... وينكح عُرْسي[٥] بعد وقت رحيلي
سأجْعل كلبي ما حييتُ مُنادمي ... وأمنحه وديّ وصفْوَ خليلي

وقال أبو عُبَيْدة : خرج رجل من البصرة ، فأتبعهُ كلب ، فوثب بالرجل قوم ، فجرحوهُ ورموْهُ في بئر وحثوا عليه التراب ، فلمّا انصرفوا ، أتى الكلب رأس البئر ، فبحث حتى ظهر رأس الرجل وفيه نفس يتردد ، فمرّ قوم ، فأخرجوه حيًّا .

قال ابن خلف : وحدثني بعض أصدقائي قال : دخلتُ بستانًا ومعي كلبان قد رَبيْتُهما ، فنمتُ فإذا هما ينبحان ، فانتبهت ، فلم أرَ شيئًا أُنكرُهُ ، فعاودوا النّبحَ ، فضربتهما ونمتُ، فإذا بهما يحرّكاني بأيديهما وأرجلهما كما يوقظ النائم ، فوثبت فإذا أسود سالخ[٦] قد قرب مني ، فوثبتُ ، فقَتَلْتُه ، فكانا سبب سلامتي .

---

(١) الهميان : هو جراب من جلد توضع فيه الأموال ويُشد على الوسط .
(٢) أستتِمُّ أكله : أي أستكمله وأنتهي منه .
(٣) يغدو : أي يذهب .
(٤) نديما له : أي صاحبا وصديقا .
(٥) ينكح عرسي : يزني بزوجتي ويرتكب معها جريمة الزنا .
(٦) أسود سالخ : شديد السواد وهو أقتل ما يكون من الحيات سمي سالخًا لأنه يسلخ جلده كل عام .

من فطنة الكلب ..

قالت الحكماء : ومن فطنة الكلب أنه إذا عاين الظبّاء قريبة كانت أو بعيدة عرف المعتل وغير المعتل ، والذكر من الأنثى ، فلم يقصد الصيد فيها إلا الذكر ، وإن علم أنه أشد عدْوا وأبعد وثبة ، ويدع الأنثى على نقصان عدوها ، وسبب ذلك أنه قد علم أن الذكر إذا عدا شوْطاً أو شوطين حقن ببوْله ، وكذا كل حيوان إذا اشتدَّ فزعه فإنه يدركه الحقْن ، وإذا حقن الذكر لم يستطع البول مع شدة العدوْ ، فيثقل حينئذٍ عدوه ، ويقصر مدى خُطاه فيلحقه الكلب. وأما الأنثى ، فإنها تحذف بولها لسعة السبيل وسهولة المخرج، فتصبرُ بذلك أدوم .

ومن فهم الكلب أنه إذا خرج الجليد والثلج وقد تراكم على الأرض ، والكلاب لا تدري حينئذٍ أين كناس الظبيّ [١] ؟ ، وأين جُحْر الأرنب ، فيفر الكلب وينظر إلى أن يقف على تلك الجحرة ، وظنّين معرفته أنَّ أنفاس الحيوانات وبخار أجوافها يذيب ما لاقَى من فم الجحر من الثلج الجامد حتى يرق وذلك خفيّ غامض لا يقع عليه إلا الكلب ، وإن الكلب إذا ظفر بشخص لم ينجه منه إلا أن يقعد بيْن يديه ذليلا ، فحينئذ لا ينْبَحُه لأنه يراه تحت قدرته فيسمه بمسيم ذل .

فأرة ذكية ..

حدّثنا أبو بكر بن الحضنة ، عن مؤدبه أبي طالب المعروف بابن الدلو ، وكان رجلاً صالحاً يسكن نهر [illegible] ، أنه كان ليلة من الليالي قاعدًا ينسخ [٢] . قال : وكنت ضيّق اليد [٣] ، فخرجت فأرة كبيرة ، فجعلت تعدو في البيت ، ثم خرجت أخرى ، وجعلا يلعبان بين يدي طاسة ، فكفيتُها على إحداهما ، فجاءت الأخرى ، فجعلت تدور حول الطاسة ، وأنا ساكت ، فدخلت السرب ، فخرجت وفي فيها [٤] دينار صحيح وتركتْهُ بين يديَّ ، فاشتغلت بالنسخ ، وقعدتْ ساعة [٥] تنظر ، ثم رجعت فجاءت بدينار آخر ، وقعدتْ ساعة إلى أن جاءت بأربعة أو خمسة ، وقعدتُ زمانا أطول من كل نوبة، ورجعتْ فأخرجت جلدة كانت فيها الدنانير وتركتها فوق الدنانير ، فعرفتُ أنه ما بقيَ شيء ، فرفعتُ الطاسة ففرّتا ، فدخلتا البيت، وأخذتُ أنا الدنانير .

واظب تنل ..

حدثنا محمد بن عجلان مولى ابن زيادة قال : دخل زياد مجلسه ذات يوم ، فإذا هو بهرٍّ [٦] في زاوية البيت، فذهبتُ أزجرُه ، فقال : دعه فأرى ماله ، ثم صلى الظهر ، ثم عاد إلى مجلسه ، ثم صلى العصر ، ثم عاد إلى مجلسه كلَّ ذلك يلاحظ الهر ، فلمّا كان قبل غروب الشمس خرج جرذ [٧] ، فوثب عليه الهر ، فأخذه، فقال زياد : من كانت له حاجة ، فليواظب عليها مواظبة الهر ، فإنه يظفر بها.

قال القاسم بن أبي طالب التنوخي : كنتُ ماضيا إلى الأنبار في رفقة بازيانية السلطان ، فأطلقوا بازًا

---

(١) كناس الظبي: موضعه ، وهو في الشجر يكمن فيه ويستتر . (٢) ينسخ : يكتب .
(٣) ضيق اليد : الاحتياج إلى المال . (٤) فيها : أي فمها .
(٥) الساعة : تطلق في لغة العرب على الوقت من النهار طال أو قصر .
(٦) الهر : القط : وبها كنّى عبد الرحمن بن صخر الدوسي فكنيته أبو هريرة وأبو هرّ . (٧) الجرذ : الفأر .

على دُرّاج ، فطار ، فلحق الدُّراج ، فانتهى الدُّراج (القنفد) إلى غَيْضَةٍ ، فدخلها ، فألقى نفسه بين شوك كان فيها ، وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين في رجليه ونام على قفاه ورفع رجليه ، فاستتر ذلك من البازي، فلمّا قرب منه البازي طار ، فصاده البازي ، فقالوا: ما رأينا دُيوجًا قط أحذر من هذا .

قال المصنف : والعرب تقول : أحْذَرُ من غراب ، وأحذرُ من عقعق ، وأحذر من ذئب، ويزعمون أن الذئب يبلغ من حذرهِ أنه يزاوج بين عينيه إذا نام ، فَيَفْتَحُ إحداهما لتكون حارسة، قال حميد بن هلال في الذئب .

يـنـامُ بإحـدى مُـقْـلـتَـيْـهِ ويتّقـي بأخرى الأعـادِي فهو يَقْظَـان هاجِـعُ

قال العسكري : هذا محال ، لأن النوم يأخذ جملة الحي . قال مؤلف الكتاب : أرادوا بذلك أن يغمض عينا عند بداية النوم ، ويفتح عينًا إلى أن يغلب عليه النوم فيكون الكلام صحيحاً .

ويقولون : احذر من ظليم وهو ذَكرُ النّعام .

رُوِيَ عن ابن الأعرابي عن هشام بن سالم قال : أكلت حية بيضة مكاء ، فجعل المكاء يُشَرْشِرُ على رأسها، ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها تريده، وهمت به ألقى في فِيهَا حسكة ، فأخذت بحلقها حتى ماتت .

سليمان في ضيافة هدهد ..

وروينا أن الهدهد قال لسليمان -عليه السلام- : أريد أن تكون في ضيافتي . قال سليمان: أنا وحدي؟ قال : لا . بل العسكر كله في جزيرة كذا في يوم كذا ، فمضى سليمان إلى هناك ، فصعد الهدهد إلى الجو ، فصاد جرادة وخنقها ، ورمى بها في البحر ، وقال : يا نبي الله ، إن كان اللحم قليلا فالمرقُ كثير ، فكلُوا ، من فاتَهُ اللحم ناله المرق ، فضحك سليمان وجنوده حولاً كاملاً .

من أحوال الحيوان البهيم ..

قلت : من أحوال الحيوان البهيم وأفعاله الدالة على الفطنة، أن العصافير لا تقيم إلا في دار مسكونة ، فإن هجرها الناس لم تقم ، وأمّا الهرة ، فإنها تألف الدّار وإن رحلَ أهلها ، والكلب يرحل مع أهل الدّار ولا يلتفت إلى الدّار ، ومتى طرقت العصافير آفة استغاثت ، فأغاثها كل عصفور يسمع حتى أنه قد يقع فرخها ، فيستغيث ، فلا يبقى عصفور يسمع إلا جاء ، فتطير حول الفرخ، ويحركونه بأفعالهم ، فيُحدِثُون له بذلك قوة وحركة حتى يطير معهم . قال بعض الطيّارين : ربما رأيتُ العصفور على حائط فأومى بيدي إلى الأرض كأنني أتناول شيئًا ، فلا يتحرك . فإن مسستُ بيدي حصاة طار قبل أن تتمكن منها يدي .

الحمام : إذا علم أن الأنثى قد حملت اشتغل هو وهي بعمل العش ، وأشخصا لها حروفا تَحْفَظُ البيضَ ، ثم سَخَّنَاها ونفَيا عنها طِباعها وأحدثا لها طبيعة أخرى مستخرجة من رائحة أبدانها، ثم يقلبان البيضَ في الأيام فتأخذ البيضة نصيبها من الحضن . وساعات الحضن أكثرها على الأنثى كالمرأة التي تكفل الحضانة، فإذا صار البيض فِراخاً كان أكثر الزق على الذكر ، ومتى انصدع البيض علما أن حواصل الفراخ لا تَسعُ للغذاء ، فينفخان الريح في حلقومها لتَنْتَفِخَ الحوصلة وتتسع ، ثم يعلمان أنه لا يصلح أن يزق الطعام فيُزِقّان

اللعاب المختلط بقواهما وقوى الطعام كاللبا ، ثم يعلمان أن الحوصلة تحتاج إلى دبغ وتقوية ، فيأكلان من سورج الحيطان - وهو شيء بين الملح الخالص والشراب المالح - فيزقانه ، فإذا علما أنه قد اشتدَّ زقّاه الحَبّ، فإذا علما أنه قد أطلق أن يلفظ ، منعاه بعض المنع ليحتاج إلى اللقط فيُعَوِّدَه، فإذا علما أن قد قوي على ذلك ضرباه إذا سألها الكفاية ومنعاهُ ، ثم يبتدئان العمل لجلب غيره، فيبتدئ الذكرُ بالدعاء، وتبتدئ الأنثى بالتأني والاستدعاء ، ثم ترفق وتتشكل ، ثم تمتنع ، فتجيبُ ، ثم يتعاشقان ويتطاوعان ، ويحدث لهما من الغزل والتقبيل والرشق.

والتنين : إذا هلكت زوجته لم يتزوج وكذلك هي . والعنكبوت تنسج بما هو سَكَنُها شبكة للذباب ، فإذا تعرقلت فيها صادها . ويروى أن الليث وهو صنف من العناكب يلطى بالأرض ويجمع نفسه ، ويرى الذبابُ أنه لاهٍ عنه ، ثم يثب وثوبَ الفهد ، فيصيدها .

والثعلب : إذا أعوزه القوت تماوت ، ونفخ بطنه ، فيحسبه الطير ميتًا ، فإذا وقع عليه وثب عليها .

والخفاش : ضعيف البصر ، فلا يطير إلا عند الغروب ، لأنه وقت لا ضوء فيه يغلب بصره ولا ظلْمَةَ.

والنملة : والذرَّة : تدخر في الصيف للشتاء ، ثم تخاف على المدّخر من الحبوب العَفَنْ فتخرجه ، فَتَنْشُره ليضربه الهواء ، وربما اختارت ذلك في ليالي القمر ، لأنها فيه أبصر ، فإن كان مكانها نديا ، وخافت أن تنبت نقرت وسط الحبّة كأنها تعلم أنها تنبت من ذلك المكان ، وفلقتها نصفين فإن كان كزبرة فلقتها أربع ، لأن أنصاف الكزبرة تنبت من بين جميع الحبوب ، فهي من الشمّ ما ليس لشيء ، وربما أكل الإنسان الجراد أو ما أشبهه فتسقط من يده الواحدة أو بعضها وليس بقربه ذرّة، فلا تلبث تُقْبل ذرّة أو نملة قاصدة إلى تلك الجرادة ، فتحاول نقلها إلى موضعها ، فَتَعْجَزَ ، فتكرُّ راجعةً إلى بيتها ، فلا تلبث أن تُقْبلَ وخلْفَها كالخيط الأسْوَد ، فتتعاون فتحملها ، فانظر إلى صدق الشمّ لما لا يشمه الإنسان ، ثم إلى نقد الهمة إلى الجرأة في مهاولة نقل شيء ووزنها خمسمائة مرّة أو أكثر أو أقلّ ، وقَلَّ أن تلقى أخرى إلا وقفت معها وحدّثتها ، ويدل على كلامها قوله تعالى : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل : ١٨] .

ومن الحيّات ما يغمس ذنبه في الرمل ، وينتصب قائما نصف النهار في شدّة الحَر ، فيجيء الطائر فيكره الوقوع على الرمل لحرّه ، فيقع على رأس الحيّة على أنها عود ، فتقبض عليه ، وزعم قوم أنّ الحية في بلادهم تأتي البقرة ، فتنطوي على فخذها وتلتقم الثدي ، فلا تستطيع البقرة أن تَتَزَمْزَم ، فتمتص اللبن .

ومِنْ فَهْم اليربوع لا يتخذ جحره إلا في كدوة - وهو الموضع الصلب - ليرتفع عن السيْل ، فيسلم من مجاري المياه ، ومدق الحافر ، فيحفر في الصلابة ويعمّق ، ثم يتّخذُ في زوايا بَيْته القاصعاء ، والنّافقاء ، والرامقاء ، والرهطاء - وهي بيوت قد اتخذتها ورقّ أبوابها - فإذا أحسّ شرًا دفع بعضها وخرج ، ولمّا علم من نفسه أنه كثير النسيان لم يحفر بيته إلا عند أكمَةٍ أو صخرة أو شجرة ، ليكون إذا تباعد عن جحْره لطلب طعمه أو خوف ، حسُن اهتداؤه إليه .

والظبيُّ لا يدخل كناسه إلا وهو مستدبر يستقبل بعينيه ما يخاف على نفسه وخشفه .

والضبّة تبيض ستين بَيْضَة ، ثم تسُدّ عليهن باب جحرها ، ثم تدعهن أربعين صباحًا ، ثم تحفر عنهن وقد انشق البيض .

والنسر كثير الشَّرَه ، فإذا امتلأ من الجيَف لم يستطع الطيران فيثِبُ وثَبَات ويدور حول مسقطه مرّات ، ثم يرفع نفسه طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل الريح تحته فيرفعه .

والسنّور : يرى الفأرة في السقف فيحرك يده كالمشير لها بالعوْد ، فتعود ، ثم يشير إليها بالرجوع فترجع، وإنما يطلب أن تنزلق ، فلا يزال يفعل ذلك حتى تسقط .

والأسد ربما حبس العنز في يمينه وطعن بمخلب يساره في لبته ، وقد أقفاه على مؤخرته ، فيتلقى دمه شاخبا في فِيهِ ، كأنه ينصب من فواره حتى إذا شربه واستفرغه شقّ بطنه .

والبقُّ يخرج لطلب الرزق ، فيعرف أنّ الذي يعيشه الدم، فإذا أبصر الجاموس علم أنّ خلف جلده غداءَهُ ، فسقط عليه وطعن بخرطومه ، وهو واثق بنفوذ سلاحه .

والعقاب : لا تكاد تعاني الصيد ، بل تقف على موضع عالٍ فإذا اصطاد بعض الطير شيئا انقضت عليه، فإذا أبصره لم يكن له همّة . إلا الهرب ، وترك صيده في يدها ، وكذلك الحيّة لا تحفر موضعًا تسكنه ولا تهتم بذلك ، بل تأتي إلى المكان الذي حفرَه غيرها فتسْكُنُه ، فينفرُ عن ذلك المكان.

والأيّل : يذهب قرْنه في كل عام، فإذا علم أنه قد هلك سلاحه لم يظهر من مخافة السبع ، فإذا قام في موضعه سَمِنَ ، فيعلم أن حركته تبطئ ، فيزيد في استخفافه، فإذا ظهر قرنه تعرض للشمس والريح ، وأكثر الحركة والذهاب ليذهب شحمه ولحمه ، فإذا استقام قرنه عاد إلى عادته الأولى ، وهو يأكل الحيّات، فيعتريه عطش شديد ، فيدور حول الماء ولا يحجزه عن ذلك إلا عِلْمُه بأن الماء ينفذ السموم فيسرع هلاكه.

وبيوت الزنانير مبنيّة من زبد المدود ، والقنفد ، وابن عرس إذا ناهشا الأفعى والحيّات الكبار تعالجها بأكل الصعتر البري، والعقاب إذا اشتكت كبدها من رفعها الأرنب والثعلب في الهواء وحطها لذلك مرارا، فإنها لا تأكل إلا من الأكباد حتى يبرأ وجعها . وإذا وضعت الفأرة والعقرب في إناء زجاج قرضت الفأرة طرف إبرة العقرب ، فسلمتْ من شَرّها ، ثم قتلتها كيف شاءت .

وإذا وضعت الدبُّ الأنثى ولدها كان حينئذ كقدرة لحم غير مفهوم الجوارح ، فخافت عليه الذر ، فرفعته في الهواء أيامًا ، وتحوّلُهُ من موضع إلى موضع إلى أن يشتد .

والسمك إذا حصلت في الشبكة ولم تستطع الخروج علمت أنه لا ينجيها إلا الوثوب ، فتتأخر قدرَ رمح ، ثم تُقبل واثِبَةً نحو عشرة أذرع فتخرق الشبكة .

والفهد إذا سَمِنَ علم أنه مطلوبٌ وأنّ حركته قد ثقلت ، فهو يخفي نفسه بجهده حتى ينقضي الزمان الذي يسمن فيه الفهود .

الباب الثالث والثلاثون : في ذكر ما ضربته العربُ والحكماء مثلا على ألسنة الحيوان البهيم مما يدل على الذكاء

من أمثال العرب ..

تقول العرب : أحذر من غراب ، ويقولون : قال الغراب لابنه : إذا رميت فتلوص ، أي تلوّى . قال : يا أبت إني أتلوص قبل أن أرمي .

انظر ما يخرج من رأسك ..

قال الشعبي : مرض الأسد ، فعاده السباع ما خلا الثعلب ، فقال الذئب : أيها الملك! مرضتَ ، فعادك السباع إلا الثعلب . قال : فإذا حضر فأعلمني ، فبلغ ذلك الثعلب ، فجاء ، فقال له الأسد: يا أبا الحصين ، مرضتُ ، فعادني السباع كلهم، ولم تعدْني أنت . قال : بلغني مرض الملك ، فكنت في طلب الدواء له . قال : فأي شيءٍ أصبتَ؟ قال : قالوا لي : خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج، فضرب الأسد بمخالبه ساق الذئب ، فانسل الثعلب وخرج ، فعقد على الطريق ، فمر به الذئب والدم يسيل عليه ، فقال له الثعلب : يا صاحب الخفّ الأحمر، إذا قعدت بعد هذا عند سلطان ، فانظر ما يخرج من رأسك .

لا تلهفنّ على ما فاتك ..

قال الشعبي : أُخبرتُ أنَّ رجُلاً صاد قنبرة ، فلمّا صارت في يده قالت : ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك . قالت : ما أشفى من مرض ، ولا أشبعُ من جوع ، ولكن أعلمكَ ثلاث خصال خير لك من أكلي . أما واحدة أعلمك وأنا في يدك والثانية على الشجرة ، والثالثة على الجبل. فقال : هاتِ الواحدة . قالت : لا تلهفنّ على ما فاتك . قال : فلما صارت على الشجرة . قال لها: هاتِ الثانية. قالت له : لا تصدق بما لا يكون أن يكون ، فلمّا صارت على الجبل . قالت له : يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا ، قال ، فعض على شفتيْه ، وتلهف ، ثم قال لها : هاتِ الثالثة ؛ قالت : أنت قد نسيت اثنتين فكيف أحدثك بالثالثة؟ ألم أقل لك : لا تلهفن على ما فاتك ، ولا تصدق بما لا يكون أن يكون ، أنا وريشي ولحمي لا أكون عشرين مثقالا ، قال : وطارت فذهبت .

لا غرني بعدك مُرائي ..

حدثنا عثمان بن عطاء عن أبيه قال : نصب رجل من بني إسرائيل فخّا من ناحية الطريق، فجاء عصفور، فسقط ، ثم انطلق إلى الفخ ، فقال : مالي أراك متباعداً عن الطريق؟ قال : أعتزل شرور الناس . قال : فمالي أراك ناحِلَ الجسم؟ قال : أنحلتني العبادة ، قال : فما هذا الحبل على عطفيك؟ قال : المسوح والشَّعْرُ لباس الرهبان والزهاد ، قال : فما هذه العصا في يدك؟ قال : أتوكأ عليها . قال : فما هذه الحبة في فيك؟ قال : رصدتها لابن السبيل أو محتاج . قال : فأنا ابن سبيل ومحتاج . قال : فدونك قال : فوضع العصفور رأسه

في الفخ ، فأخذ بعنقه ، فقال العصفور : سيق سيق ، ثم قال : لا غرني بعدك قارئ مراثي مرة أخرى . قال مجاهد : هذا مثل ضُرِب لقراءة مراثين في آخر الزمان .

قال مالك بن دينار : مثل قرّاء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخا ، ونصب فيه بُرّة ، فجاء عصفور، فقال : ما غيبك في التراب؟ قال : التواضع . قال : لأي شيء نحلت؟ قال : من طول العبادة . قال : فما هذه البرّة المنصوبة فيك؟ قال : أعددتها للصائمين . فقال: نعم الجارُ أنت ، فلمّا كان عند المغرب ، دنا العصفور ليأخذها ، فخنقه الفخ ، فقال العصفور ، إن كانت العبادة تخنق كخنقتك فلا خير حينئذ في العبادة بعد اليوم .

من علمك هذه القضية ؟

قال : حدثنا المعافي بن زكريا قال : زعموا أنّ أسدًا وذئبا ، وثعلبا اصطحبوا ، فخرجوا يتصيدون، فصادوا حمارا وظبيا وأرنبا ، فقال الأسد للذئب : اقسم بيننا صيدنا . قال : الأمر أبين من ذلك ، الحمارُ لك، والأرنب لأبي معاوية ، والظبيُّ لي ، قال : فخبطه الأسد ، فأندر رأسه ، ثم أقبل على الثعلب وقال : قاتله الله . ما أجهله بالقسمة ، ثم قال : هات أنتَ . قال الثعلب : يا أبا الحارث ، الأمر أوضح من ذلك ، الحمار لغذائك ، والظبيُّ لعشائك ، وتخللُ بالأرنب فيما بينَ ذلك . قال الأسد: ويحك ما أقضاك ، من علمك هذه القضية . قال : رأس الذئب النادر بين عينيّ .

أعدو لنفسي ! ..

وذكر الحكماء في أمثالهم قالوا : قيل للذئب : ما بالك تعدو أسرع من الكلب؟ فقال : لأني أعدو لنفسي، والكلب يعدو لصاحبه .

في بيته يؤتى الحكم ..

وذكر أبو هلال العسكري قال : قالت العرب : وجدَت الضبع تمرة ، فاختلسها الذئب ، فلطمته لطمة، فتحاكما إلى الضب ، فقالت : يا أبا الحسيل . قال : سميعًا دعوتِ . قالت : جئناك نحتكم إليك . قال : في بيته يؤتى الحَكَم . قالت : إني التقطت تمرة . قال : حُلوة جنيْتِ. قالت: إن الثعلب أخذها . قال : حظ نفسه يعني . قالت : لطمته . قال : أشفيت ، والبادي أظلم . قالت : فلطمني . قال : حرٌّ انتصر لنفسه . قالت : اقض بيننا . قال : قضيت .

من أقوال العرب ..

قالوا : حدّث المخاطبَ حديثَيْن ، فإن لم يفهم فأربعة ، قال العسكري : المعنى إن لم يفهم حديثين كان ممن لا يفهم أربعة أقرب . قال : وقال بعض العلماء : إنما هو فأرْبِع أي أمسك ، وذلك غلط .

قالوا : وصادت حدأةٌ سمكة فهمت ببلعها ، فقالت : لا تفعلي ، فإنك إن أكلتيني لم أشبعك ، ولكن استحلفيني بما شئتِ أنني آتيك كل يوم بسمكة ، ففتحت فاها لتحلفها ، فانسابت منها ، فقالت : ارجعي، فقالت : ما رأيتُ في مجيئي إليك خيرًا فأعود .

قالوا : وكان رجل في صحراء ، فعرض له الأسد ، فهرب منه ، فوقع في بئر ، فوقع الأسد خلفه، فإذا في البئر دُبٌّ ، فقال له الأسد : منذ كم أنت هاهنا؟ قال : منذ أيام ، وقد قتلني الجوع ، فقال الأسد : أنا

وأنت نأكل هذا ، وقد شبعنا، فقال الدبُّ : فإذا عاودنا الجوع ، فما نصنع؟ وإنما الرأي أن نحلف له أننا لا نؤذيه ، ليحتال لخلاصنا وخلاصه ، فإنه أقدر على الحيلة منّا ، فحلفا له ، فأخذ في التحيل ، فلاح له ضوء، فنقب، فخرج به إلى فضاء ، فتخلص وخلصهما .

لو عرفتم حالي ..

قال : كان أبو أيوب المرزباني ، وهو وزير المنصور إذا دعاه يصفرُّ ويرعد ، فإذا خرج من عنده عادَ لوْنه ، فقالوا له : إنّا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين ، وأنسه بك تَتَغَيَّرَّ إذا دخلت عليه ، فقال: مثلي ومثلكم في هذا ، مثل بازيّ وديك تناظرا ، فقال البازيّ للديك : ما أعرف أقلّ وفاءً منك . قال: وكيف؟ قال : تؤخذ بيضة ، فيحضنك أهلك ، وتخرج على أيديهم ، فيطعمونك بأكفهم ، حتى إذا كبرْتَ صار لا يدْنُو منك أحد إلا طِرْت هاهنا ، وصحت هاهنا ، فإن علوتَ حائطا كنتَ فيها سنين طِرْتَ منها وتركتها ، وصرت إلى غيرها ، وأنا أُؤْخَذُ من الجبال وقد كبرُ سني ، فأُطعمُ الشيء اليسير، وأوثق يوما أو يمين ، ثم أطلقُ على الصيد فأطير وحدي ، فآخذهُ ، وأجيء به لصاحبي ، فقال له الديك : ذهبت عنك الحجة ، أما أنك لو رأيت بازين في سفود ما عدت إليهم أبدًا ، وأنا كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكا ، وأبيتُ معهم ، فأنا أوفى منك ، ولكن لو عرفتم مِنَ المنصور ما أعرف، لكنتم أسوأ حالاً مني عند صلبه إياكم .

قالوا : ورأت الضبع ظبية على حمار ، فقالت : اردفيني ، فأردفتها ، فقالت : ما أفره حماره ، ثم سارت يسيرًا ، فقالت : ما أفره حمارك ، فقالت الظبية : انزلي قبل أن تقولي : ما أفره حماري .

قالوا : وصادت الضبع ثعلباً ، فقال الثعلب: مِنّي عليَّ أمَّ عامر ، فقالت : خيرتُك خصلتين: إمّا أن آكُلَكَ ، وإمّا أُوكِلَكَ؟ فقال الثعلب : أما تذكرين أم عامرٍ التي نكحت في دارها؟ فقالت الضبع: متى ذا ؟ فانفتح فوها ، فأفلتَ الثعلبُ .

قالوا : وأَوْلَمَ طائر وليمة ، فأرسل يدعو بعض إخوانه ، فغلط بعض رسله ، فجاء إلى الثعلب ، فقال: أخوك يدعوك . فقال : السمع والطّاعة ، فلمّا رجع أخبر الطائر ، فاضطربت الطيور ، وقالوا : أهلكتنا وعرَّضتنا للحتف . قالت القنبرة : أنا أصرفه عنكم بحيلة ، فمضت ، فقالت : أخوك يقرأ عليك السلام ويقول لك : الوليمة يوم الاثنين ، فأين تحب أن يكون مجلسك؟ مع الكلاب السلوقية أو مع الكلاب الكردية ، فتجرعها الثعلب ، وقال : أبلغي أخي السلام وقولي له : أبو سرور يقرئك السلام ، ولكن قد تقدم لي نذر منذ دهر بصوم الاثنين والخميس .

قال أبو عمرو الصوري : مرّ تيْسٌ بزق ، ففرّ منه ، فقال له الزق: تنفر مني، مثلك كنت ومثلي تكون .

قال أبو سليم الخطابي: من أمثلتهم قولهم: لا أريد ثوابك اكفني عذابك، ومثله قول الشاعر:

كفاني الله شرّك يا خليلي ... فأمّا الخير منك فقد كفاني

قال أبو سليمان : نظيره قولهم : يدك عني وأنا في عافية ، وأصل هذا فيما يتكلم به الناس على ألسنة البهائم . إن فأرة سقطت من السقف ، فظفرت الهرة بحملها تقول : بسم الله عليك، فقالت الفأرة : يدك عني وأنا في عافية .

قال المصنف رحمه الله : سمعت عليّ بن الحسين الواعظ ، يحكي أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مرّ على حواء يطارد حيّة ليأخذها ، فقالت له : يا روح الله : قل له : لئن لم يلتفت عني لأضربنه ضربًا أقطعه قطعًا ، فمرّ عيسى عليه السلام ، ثم عاد وإذا الحيّة في سلته ، فقال لها عيسى: ألست القائل كذا وكذا ، فكيف صرت معه ؟ فقالت : يا روح الله ، إنه حلف لي ، فلئن غدر بي ، فسُمُّ غدره أضرُّ عليه من سُميّ .

والله الموفق للصواب

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

opeikandl.com

١ ـ كتب السنة المطهرة – أئمة السنّة .

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن – محمد فؤاد عبد الباقي .

٣ ـ لسان العرب – ابن منظور .

٤ ـ القاموس المحيط – الفيروزابادي .

٥ ـ أساس البلاغة – الزمخشري .

٦ ـ مختار الصحاح – الرازي .

٧ ـ الأعلام – الزركلي .

٨ ـ حياة الشعر في الكوفة – يوسف خليف .

٩ ـ شخصيات كتاب الأغاني – المجمع العلمي العراقي .

١٠ ـ التعريفات – الجرجاني .

١١ ـ تاريخ علوم البلاغة – المراغي .

١٢ ـ صيد الخاطر – ابن الجوزي .

١٣ ـ أخبار الحمقى والمغفلين – ابن الجوزي .

١٤ ـ مناقب عمر بن الخطاب – ابن الجوزي .

١٥ ـ مناقب عمر بن عبد العزيز – ابن الجوزي .

١٦ ـ طبقات الصوفية – السلمي .

١٧ ـ عجائب المخلوقات – القزويني .

١٨ ـ تاريخ الخلفاء – السيوطي .

١٩ ـ البداية والنهاية – ابن كثير .

٢٠ ـ حياة الصحابة – محمد يوسف الكاندهلوي .

٢١ ـ ميزان الاعتدال – الذهبي .

٢٢ ـ المجروحين – ابن أبي حاتم .

٢٣ ـ ديوان زهير بن أبي سُلمى .

٢٤ ـ السيرة النبوية – ابن هشام .

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس المحتويات

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس

تقديم	٣
التعريف بالمؤلف	٤
مقدمة الكتاب	٩
الباب الأول : في ذكر فضل العقل	١١
الباب الثاني : في ذكر ماهية العقل ومحله	١٢
الباب الثالث : في بيان معنى الذهن ، والفهم ، والذكاء	١٤
الباب الرابع : في ذكر العلامات التي يُستدل بها على ذكاء الذكي	١٥
الباب الخامس : في سياق المنقول عن الأنبياء المتقدمين مما يدل على قوة الفطنة	١٧
الباب السادس : في سياق المنقول من ذلك عن الأمم السالفة	١٩
الباب السابع : في سياق المنقول من ذلك عن نبيِّنا صلى الله عليه وسلم	٢١
الباب الثامن : في سياق المنقول من ذلك عن أصحاب نبيِّنا عليه الصلاة والسلام	٢٣
الباب التاسع : في سياق المنقول من ذلك على الخلفاء	٣٥
الباب العاشر : في سياق المنقول من ذلك عن الوزراء	٤٣
الباب الحادي عشر : في سياق المنقول من ذلك عن السلاطين والأمراء والحجاب والشرطة	٤٦
الباب الثاني عشر : في سياق المنقول من ذلك عن القضاة	٥٦
الباب الثالث عشر : في سياق المنقول من ذلك عن كبار علماء هذه الأمة وفقهائها	٦٣
الباب الرابع عشر : في سياق المنقول من ذلك عن العبّاد والزهاد	٧٤
الباب الخامس عشر : في سياق المنقول من ذلك عن العرب وعلماء العربية	٧٥
الباب السادس عشر : في ذكر من احتال بذكائه لبلوغ غرض	٨٠

obeikandl.com

الباب السابع عشر ، فيمن احتال فانعكس عليه مقصوده	٩٠
الباب الثامن عشر ، فيمن وقع في آفة فتخلص بالحيلة منها	٩٤
الباب التاسع عشر ، في ذكر من استعمل بذكائه المعاريض	١٠١
الباب العشرون ، في ذكر من فلج على خصمه بالجواب المسكت	١٠٥
الباب الحادي والعشرون ، فيمن غلب من العوام بذكائه كبار الرؤساء	١١٢
الباب الثاني والعشرون ، في أقوال وأفعال صدرت من أواسط الناس وعوامهم، تدل على قوة الذكاء	١١٤
الباب الثالث والعشرون ، في احترازات الأذكياء	١٢٢
الباب الرابع والعشرون ، في طرف من أحوال الشعراء والمدّاحين	١٢٤
الباب الخامس والعشرون ، في طرف من حيل المحاربين	١٢٨
الباب السادس والعشرون ، في طرف من فطن المتطيِّبين	١٣٥
الباب السابع والعشرون ، في طرف من فطن المتطفلين	١٤١
الباب الثامن والعشرون ، في طرف من فطن المتلصصين	١٤٥
الباب التاسع والعشرون ، في طرف من أخبار فطناء الصبيان	١٥٥
الباب الثلاثون ، في طرف من فطن عقلاء المجانين	١٥٨
الباب الحادي والثلاثون ، في طرف من أخبار النساء المتفطنات	١٦٠
الباب الثاني والثلاثون ، فيما ذُكر عن الحيوان البهيم مما يشبه ذكاء الآدميين	١٧٦
الباب الثالث والثلاثون ، في ذكر ما ضربته العرب ، والحكماء مثلا على ألسنة الحيوان	١٨٣
مراجع التحقيق	١٨٧

obeikandl.com